كلية البنات الأزهرية بالمنيا الجديدة
المجلة العلمية

الدلالة القرآنية في قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام من خلال سورة الكهف

" دراسة موضوعية "

إعداد

د/ محمود حسني عبد الوهاب

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم المساعد
في كلية البنات الأزهرية بالمنيا الجديدة

(العدد الثالث)

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

الدلالة القرآنية في قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام من خلال سورة الكهف " دراسة موضوعية "

محمود حسني عبد الوهاب

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد ، قسم التفسير وعلوم القرآن ، كلية البنات الأزهرية بالمنيا الجديدة ، جامعة الأزهر ، المنيا ، جمهورية مصر العربية .

البريد الإلكتروني : mahmoudhosny953@gmaiL.com

الملخص :

يهدف البحث إلى الكشف عن بعض الوجوه المتعلقة بالدلالة القرآنية ، كما يهدف إلى الكشف عن بعض مضامين إعجاز النظم القرآني ، والتركيز على أثر القصص القرآني في غرس الإيمان في النفوس ، وذلك من خلال أحداث قصة موسى والخضر عليهما السلام .

ويساهم البحث في دراسة أحد أهم وجوه الإعجاز القرآني ، وكما يساهم أيضًا في إثراء الكشف عن بعض جهود المفسرين ، .

والمنهج في البحث هو المنهج الاستقرائي لكافة ما يتعلق بالدلالة القرآنية في القصة والمنهج التحليلي لما تم ، ومن ثم المنهج الوصفي ، وقد اشتمل البحث على أربعة مباحث يسبقها مقدمة ويعقبها خاتمة ، وفهرس للمصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية : **الدلالة ، القرآنية ، قصة ، موسى ، الخضر ، دراسة ، موضوعية.**

Quranic significance in a story Our master Musa and Al-Khidr, peace be upon them Through Surat Al-Kahf "An Objective Study"

Researcher name: Mahmoud Hosni Abdel-Wahhab
Assistant Professor of Interpretation and Qur'anic Sciences, Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Al-Azhar Girls College in New Minya, Al-Azhar University, Minya, Arab Republic of Egypt 0
Email: mahmoudhosny953@gmaiL.com

Summary

The research aims to reveal some aspects related to the Qur'anic significance, as well as to reveal some of the contents of the miraculous Qur'anic systems, and to focus on the impact of the Qur'anic stories in instilling faith in souls, through the events of the story of Moses and Al-Khidr, peace be upon them.

The research contributes to the study of one of the most important aspects of the Qur'anic miracle, and also contributes to enriching the disclosure of some of the efforts of the interpreters.

The method in the research is the inductive approach to everything related to the Qur'anic significance in the story, the analytical approach to what was done, and then the descriptive approach. The research included four topics preceded by an introduction and followed by a conclusion, and an index of sources and references.

Keywords: significance - Quranic - story - Moses - Al-Khidr – study – objectivity .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمدُه ونستغفره ونستعينه ونستهديه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهْدِه اللهُ فلا مضِلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، بعثه اللهُ رحمةً للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً، بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصحَ الأمّةَ فجزاهُ اللهُ خيرَ ما جزى نبياً من أنبيائه، صلواتُ اللهِ وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى صحابته وآل بيته، وعلى من أحبهم إلى يوم الدين.

ثم أما بعد...

فإن نصوص القرآن العظيم معجزة من حيث مبناها ومعناها ومغزاها، ومهما كانت إجادة الإنسان لأدوات الفهم والتفسير وإدراكه مناهج الدلالة فلن يبلغ من معاني كلمات الله إلا مقدار نقرة العصفور في ماء البحر، "قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا" "سورة الكهف:١٠٩". (١)

ولا ريب أن هناك ارتباطًا بين القرآن الكريم ولغة الوحي؛ لذا يتوقف فهم النص القرآني على امتلاك ناصية اللغة العربية بكل مكوناتها وعلومها، وأن العلاقة بين علوم الدين المستنبطة من نصوصه الثابتة وبين علوم اللغة علاقة تلازم وترابط لا انفكاك بينهما خاصة وأن معرفة أحكام الله تعالى المأخوذة من الكتاب لا بد فيها من إعمال النظر والفكر في الألفاظ والتعابير والأبنية والصيغ القرآنية؛ مما يعني أن للغة العربية وعلومها دوراً أساسياً وموقعاً مركزياً في استكشاف الأحكام الشرعية والحقائق العلمية من النصوص القرآنية.

ولما كان القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب، والتاريخ الإسلامي يحدثنا أن ازدهار الإسلام وانتشاره والتمسك به والعمل بأحكامه والحياة وفق تعاليمه، كان يصاحبه في الغالب ازدهار اللغة العربية وذيوعها وسيادتها لأنها لغة دين ودنيا، وعلوم وآداب، وثقافة

(١) ينظر: مناشئ الدلالة في القرآن الكريم، أ.د/ محمد سالم أبو عاصى، (ص٣)، مكتبة وهبة، الطبعة الأولي ـ القاهرة، ٢٠٢٠م.

وحضارة، حيث كانت اللغة العربية في زمن عز الإسلام سبيل النهضة والرقي لكل المسلمين عربيهم وأعجمهم، إذ السيادة أساسا للدين لا للعرق والجنس، والأخوة في الإسلام تقوم على وحدة العقيدة والدين قبل أية آصرة أخرى، ومن البديهي أن من مستلزمات الفهم السليم والإدراك الصحيح للقرآن وتمثل معانيه واستيعاب أحكامه وتعاليمه وقيمه، تعلم لغته التي نزل بها، ذلك أن فهم أي كتاب فهما حقيقيا- وخاصة كتاب الوحي- لا بد له من تعلم اللغة الأصلية التي جاء بها، ولهذا فإن الذي يريد الحديث عن القرآن وفهمه وإدراك مقاصده واستبطان أسراره لا بد له أن يتعلم اللغة العربية التعلم الكفيل بتحقيق ذلك، باعتبار أن دلالة الخطاب الإلهي لا يدركها ويتذوق معانيها ومغازيها إلا من امتلك ناصية اللغة.

ومن هذا المنطلق وقع اختياري على موضوع هذا البحث تحت عنوان:

" الدلالة القرآنية في قصة سيدنا موسي والخضر عليهما السلام من خلال سورة الكهف دراسة موضوعية"

- **حدود البحث**:

يركز البحث على دراسة الدلالة القرآنية وما يتعلق بها من هدايات وفوائد؛ من خلال قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام في سورة الكهف؛ من بداية الآية حتى نهاية الآية.

- **أهداف البحث**:

١- الكشف عن بعض الوجوه المتعلقة بالدلالة القرآنية وما تمتاز به.

٢- بيان بعض هدايات قصة سيدنا موسى مع الخضر؛ من خلال دلالة النظم القرآني.

٣- المشاركة في الكشف عن بعض مضامين إعجاز النظم القرآني.

٤- تبيين أهداف القصص القرآني وخصائصه، والتركيز على أثر القصص القرآني في غرس الايمان في النفوس من خلال أحداث قصة موسي والخضر عليهما السلام.

- **أهمية الموضوع**:

١- يسهم في دراسة أحد أهم وجوه الإعجاز القرآني.

٢- يشارك بضميمة أمثاله في بيان دقة التعبير القرآني وثرائه دلاليًا.

٣- يسهم في إثراء الدرس التفسيري؛ من خلال الكشف عن جهود المفسرين.

٤- المواقف الكثيرة المليئة بالعبر والدروس من خلال أحداث قصة موسي والخضر عليهما السلام.

- مشكلة البحث:

يمكن تلخيص مشكلة البحث من خلال الأسئلة الآتية:

- ما المراد بالقصة القرآنية؟ وما هي أهم خصائصها؟
- ما هي أهم معالم قصة سيدنا موسى والخضر في كتب السنة؟
- ما هو تحقيق القول في المراد بالعبد الصالح؟
- هل لدلالة السياق القرآني أثر في قصة سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح؟
- ما هي مناسبة ورود القصة في سورة الكهف دون غيرها من السور؟
- ما هي أهم الهدايات المستنبطة من الدلالة القرآنية للقصة؟

- الدراسات السابقة:

وقفت على عدد الدراسات التي عالجت مسائل تتعلق بقصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام؛ منها:

١- تأملات تربوية في قصة موسى والرجل الصالح د/عثمان قدري مكانس، وهو منشور بشبكة المعلومات الدولية، ويتضح من عنوان البحث تركيزه على الجوانب التربوية في القصة.

٢- قراءة معاصرة في القصص القرآني في ضوء سورة الكهف"، د /عبد الباسط مراشدة، د/ عبد الرحيم مراشدة، جامعة آل البيت، قسم اللغة العربية، الأردن، وهو بحث يتناول القصص القرآني بصورة عامة؛ من خلال نماذج قصص سورة الكهف.

٣- جماليات الترابط في قصص سورة الكهف، بحث للدكتور /علي بن محمد الحمودي أستاذ مشارك في كلية اللغة العربية ـ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية. وهو بحث يركز على قضية الترابط في قصص سورة الكهف.

ويختلف بحثي عن البحث السابق في المقصد والمنهج؛ حيث يركز بحثي على دراسة الدلالة القرآنية في قصة سيدنا موسى والخضر بمنهج تفسيري شامل.

- **منهج البحث**:

ينتهج البحث بصورة عامة مناهج: الاستقراء لكافة ما يتعلق بالدلالة القرآنية في القصة، والتحليل لما تم جمعه، ومن ثم الوصف.

- **خطة البحث**:

يشتمل البحث على أربعة مباحث، يسبقها مقدمة، ويتلوها خاتمة وفهرس للمصادر والمراجع.

- **المبحث الأول**: مدخل إلى قصة موسى والخضر عليهما السلام، ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالقصة القرآنية وأهم خصائصها.

المطلب الثاني: قصة سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح كما وردت في كتب السنة وبيان السبب في وقوعها.

المطلب الثالث: تحقيق القول في المراد بالعبد الصالح.

المطلب الرابع: دلالة السياق وأثرها في قصة سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح.

المطلب الخامس: مناسبة ورودها في سورة الكهف دون غيرها من السور القرآنية.

- **المبحث الثاني**: من لحظة الذهاب إلى مجمع البحرين حتى لقاء العبد الصالح . التفسير والدلالة ﴿الآيات من ٦٠ . ٧٠﴾ ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: خروج موسى عليه السلام مع فتاه إلى مجمع البحرين، "الآيات من" ٦٠ – ٦٤" التفسير والدلالة.

المطلب الثاني: إلتقاء موسى عليه السلام والعبد الصالح وما دار بينهما من حوار، الآيات من" ٦٥ – ٧٠" التفسير والدلالة.

- **المبحث الثالث**– رحلة الانطلاق مع العبد الصالح وما اتبعها من أحداث "الآيات من" ٧١ – ٧٨" وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الموقف من السفينة وأصحابها التفسير والدلالة.

المطلب الثاني: الموقف من الغلام التفسير والدلالة.

المطلب الثالث: الموقف من أصحاب القرية التفسير والدلالة.

ـ المبحث الرابع- رحلة الفراق بين موسى عليه السلام والعبد الصالح وتبيين جكمة ما وقع فيها من أحداث. "الآيات من" ٧٩ – ٨٢" التفسير والدلالة.

*** خاتمة البحث ونتائجه**.

المبحث الأول
مدخل إلى قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام

ويشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول: التعريف بالقصة القرآنية وأهم خصائصها.

المطلب الثاني: قصة سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح كما وردت في كتب السنة وبيان السبب في وقوعها.

المطلب الثالث: تحقيق القول في المراد بالعبد الصالح.

المطلب الرابع: دلالة السياق وأثرها في قصة سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح.

المطلب الخامس: مناسبة ورودها في سورة الكهف دون غيرها من السور القرآنية.

المطلب الأول
التعريف بالقصة القرآنية وأهم خصائصها:

أولاً: التعريف بالقصة القرآنية :

القصة القرآنية: مركب وصفي طرفاه: الموصوف"القصة"، والصفة "القرآنية"، وللوقوف على معناه تركيباً لابد من بيان المراد بطرفيه، ولما كان الوصف"القرآنية" واضحاً ؛ أكتفى ببيان المراد بالقصة:

التعريف اللغوي :

القصة – بالكسر – واحدة القِصص، اسم مشتق من مادة"قص" الدالة في أصل وضعها اللغوي على معنى التتبع بعمومه، يقال: قص الشيء: تتبع أثره، ثم اشتق العرب من هذا الأصل عدداً من الألفاظ المرتبطة به والدائرة حوله مثل:القِصاص، والقصة بمعنى الأمر والخبر المتتبع.[1]

(١) ينظر: العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، (٥/١٠، ١٢)، تحقيق د/ابراهيم السامرائي، د/ مهدي المخزومي، طبعة دار ومكتبة الهلال، لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (٧/٧٣، ٧٤)، طبعة دار صادر . بيروت، الطبعة الاولي، تهذيب اللغة محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، (٨/ ٢٠٩، ٢١٢)،المحقق: محمد عوض مرعب، دار= =إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي

وجاء في المعجم الوافي معني القصة:"يقُصُّة قَصًّا وقَصَصاً تتبعه شيئاً بعد شيء، وقص عليه الخبر والرؤيا، حدث بها علي وجهها ومنه قوله تعالي "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ"يوسف: ٣" أي نبين لك أحسن البيان، والقصَّة بالكسر النوع والشأن والأمر يقال: فلان في رأسه قصة يعني جملة من الكلام، والقصة، الاحدوثة التي تكتب جمع قصص وأقاصيص على غير قياس. (١)

فالمعنى المحوري لمادة: "قصّ " يدور حول تتبع أو تتابع باطراد مع تسوية حسية كقص الشعر ونحوه، أو معنوية، وتعني عدم التخلف، كقولهم: قصصت الشيء تتبعت أثره، والتسوية هنا الانضباط على ذلك، والاستواء في القصة يعني كمال التفاصيل، أو حكايتها متتابعة حسب ما سُمع أو وقع.(٢)

والذي يتأمل الالفاظ المشتقة من مادة القص يتضح محورية معني التتبع فيها، ففي القِصاص تتبع للقاتل ومساواة، وفي القِصة تتابع للأحداث والعبر وتتبع لهما، وفي قَص الشَعْر تتبع لأصوله واتجاهه.

يقول ابن فارس: القاف والصاد أصل صحيح، يدل على تتبع الشيء، من ذلك قولهم قص الشيء يَقُصُهُ قَصَصاً، وقِصَصًا، بمعنى تتبعه لأمر وغاية ينتهي إليها من ذلك التتبع، ومن ذلك قولهم: إِقْتَصَصْتُ الأثر إذا تتبعته، ومن ذلك اشتقاقُ القِصاص في الجِراح، وذلك أنَّه يُفعلَ به مثلُ فِعلهِ فكأنه اقتص أثره ومن الباب: قصصت الشعر، وذلك

أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي(٢/ ٥٠٥، ٥٠٦)، طبعة المكتبة العلمية ـ بيروت، أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (١/٥١٠)، طبعة دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضي الحسيني الزبيدي (١٨/٩٨، ٩٩)، طبعة دار الهداية، تحقيق مجموعة من المحققين.

(١) ينظر: معجم الوافي (معجم وسيط اللغة العربية) عبد الله البستاني، مادة قصص (ص ٥٠٤) طبعة ١٩٩٠مكتبة لبنان بيروت

(٢) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور /محمد حسن حسن جبل (ص: ١٧٨٩، ١٧٩٠)، طبعة مكتبة الأدب ـ القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠١٠م.

أنك إذا قصصته فقد سويت بين كل شعرة وأختها فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى مساوية لها في طريقها.[١]

قال الراغب[٢]:الْقَصُّ، تتبّع الأثر يقال:قَصَصْتُ أثره، والْقَصَصُ: الأثر قال تعالى"فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا "الكهف: ٦٤"وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ "القصص:" ١١"، ومنه قيل لما يبقى من الكلأ فيتتبّع أثره: قَصِيصٌ، وقَصَصْتُ ظُفْرَهُ، والْقَصَصُ:الأخبار المتتبّعة، قال تعالى" إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ"آل عمران: "وقوله تعالى"لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ""يوسف١١١"، "فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ""القصص: ٢٥"، "فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ""الأعراف:"٧"

"فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ""الأعراف: ١٧٦"، والقِصاصُ: تتبّع الدّم بالقود، قال تعالى"وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ""البقرة١٧٩ ""وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ""المائدة: ٤٥"ويقال: قَصَّ فلان فلاناً، وضربه ضرباً، فَأَقَصَّهُ، أي:أدناه من الموت.[٣]

فهو تتابع شيء بشيء أو جزءُ شيء بجزءِ شيء آخر أو أيٍّ كيفيَّة بأخرى ولا تتحقق هذه المتابعة إلا عن طريق البيان اللُّغويِّ الذي يُحسّنِ القصص فلا يكفي التمثيل أو مجرَّدُ السَّرد للأحداث،ويقال: اقتصصت الحديث رويته على وجهه[٤] فلا بدَّ إذا من الصدق والأمانة في حكاية القصَّة بيانيًّا.

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، مادة قص (١١/٥) تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت – لبنان، بدون طبعة، ١٣٩٩، ١٩٧٩، وطبعة دار الجيل، الطبعة الاولي ١٩٩١م.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ص٦٧١، ٦٧٢) تحقيق /صفوان عدنان الداودي، طبعة دار القلم، الدار الشامية، دمشق . بيروت، الأولي - ١٤١٢هـ.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٦٧١، ٦٧٢)، الكليات أبو البقاء أيوب ابن موسى الحسيني الكفوي، (ص:٧٣٤)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

(٤) ينظر: مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي (١٠٥١/٣)، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط١.

التعريف الاصطلاحي للقصة:

ولقد تناول مصطلح القصة القرآنية بالتعريف اصطلاحاً جماعة من المفسرين والمصنفين في علوم القرآن وأشهر هذة التعريفات هي:

١ـ تعريف الفخر الرازي: مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة.[١]

٢. تعريف ابن جزي[٢]:ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم كقصة أصحاب الكهف وذي القرنين.[٣]

٣ـ تعريف الطاهر بن عاشور: "الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصاً مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم". [٤]

---

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، (٢٥٠/٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ.

(٢) هو الإمام أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي الكلبي، فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة، من كتبه " القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية" تقريب الوصول إلى علم الأصول" و" الفوائد العامة في لحن العامة "و" التسهيل لعلوم التنزيل (ت:٧٤١هـ/١٣٤٠م) ينظر: الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، (٣٢٥/٥)، دار العلم، ط١٥، أيار، مايو ٢٠٠٢م للملايين.

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) (١/ ١٥)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.

(٤) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن محمد ابن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى:١٣٩٣هـ)، (٦٤/١)، الدار التونسية . تونس ١٩٨٤م.

وقد اتفقت معظم التعريفات على مفردات هذا التعريف وزاد بعض العلماء فيها إخبار القرآن عن الحوادث الواقعة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم مثل الغزوات وحوادث الهجرة والإسراء والمعراج ونحوها. (١)

كما عُرِّف قصص القرآن حديثاً بأنه: "أنباء وأحداث تاريخية لم تتلبس بشيء من الخيال، ولم يدخل عليها شيء غير الواقع، ومع هذا فقد اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من القصص من الإثارة والتشويق، مع قيامه على الحقائق المطلقة، الأمر الذي لا يصلح عليه القصص الأدبي بحال أبداً". (٢)

وعرفها الدكتور عبد الكريم الخطيب بقوله : أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدّث به من أخبار القرون الأولى في مجال الرسالات السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام.(٣)

وعرّفها الدكتور مناع القطان بأنها " إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه. (٤)

ومما سبق، يمكن اختيار تعريف يجمع بين تحديد المفهوم، وإبراز الخصائص والميزات، ورعاية المقاصد والغايات، فيقال في تعريف القصة القرآنية اصطلاحاً:"إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم

(١) ينظر: منهج القصة في القرآن لمحمد شديد (ص ٣٥) عكاظ للنشر -جدة -ط١، 1984م، القصص القرآني لعبد الكريم الخطيب (ص ٤٢ ٤٣)، دار المعرفة للطباعة النشر، بيروت -لبنان، الطبعة الثانية، 1395هـ 1975 م .وطبعة دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: الإعجاز القصصي في القرآن أ.د/ سعيد عطية علي مطاوع، (ص: ٣٩)، ط: دار الآفاق العربية بالقاهرة، الأولى، ٢٠٠٦م.

(٣) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، الدكتور عبد الكريم الخطيب، (ص٤٠).

(٤) ينظر: مباحث في علوم القرآن، الدكتور مناع القطان، (ص٣٠٠) مكتبة وهبة، القاهرة مصر، الطبعة السابعة، بدون تاريخ.

أفراداً وجماعات، من كائنات بشرية أو غير بشرية، بحق وصدق، للهداية والعظة والعبرة". (١)

ثانياً: أهم خصائص القصة القرآنية

تتميز القصة القرآنية عن غيرها من القصص الأدبية والروايات التاريخية بعدة خصائص فما ورد في القرآن من قصص وأخبار الأمم السابقة وأحداثها وأنبيائها وما وقع على الأمم الجاحدة من عذاب الله ونكاله اتصف بخصائص متنوعة. (٢)

ولمفهوم القصة القرآنية خصوصية وتميز يجعلانها تختلف عن مفهومها عند الأدباء وأهل التاريخ وغيرهم ممن تعرضوا لها، وقد تسبب الجهل بخصوصية القصة القرآنية في خطأ بعض الباحثين، فنظر بعضهم إلى القصص القرآني بمنظور القصة الأدبية وخصائصها.

يقول الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفه: وقد أخطأ بعض الباحثين عندما يطلبون في القصص القرآني أن يستكمل أركان القصة بالمعنى المحدث التي هي مستمدة من الخيال ومبنية على قواعد فنون الكتابة؛ وذلك لأنهم لم يفرقوا بين القصة بمعنى الحكاية والقصة بمعنى الخبر المحدث به على وجهه، والثاني هو المراد في القصص القرآني؛ لأن الأشخاص والزمان والمكان ليست بالضرورة أركانا للخبر المحدث به، فقد يبهم المكان والزمان كما في قوله تعالى "وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ""يوسف: ١٦"، وقد يبهم الزمان كما في قوله تعالى " ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ""يوسف: ٩٩"، وقد يبهم الشخص أو الأشخاص كما في قوله تعالى "إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ""القلم: ١٧"، فالذي يجب وجوده في القصص القرآني هو الحدث والعبرة، أما بقية عناصر القصة المحدثة فإنما توجد بحسب الحاجة إليها وأهميتها في القصة (الخبر)، فلو كان للشخصية مدخل كبير في الحدث، فإنها تذكر كمريم- عليها السلام-

(١) ينظر: القصص القرآني أ.د/ عبد الباسط إبراهيم بلبول (ص: ٣٩)، رسالة دكتوراه، مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة، الصدق والواقعية في القصة القرآنية أ.د/ أمين محمد عطية باشا (ص: ٦)، منشور بالشبكة الدولية للمعلومات.

(٢) ينظر: القرآن والملحدون، محمد عزة دروزة، (ص ١٥٢ بتصرف)، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط2، 1980.

في قصتها، والهدهد في قصة سبأ، وكثيرا ما تأتى الشخصية بصورة التنكير كما في قصة النملة، لأن الحدث مبناه منطق النملة وسماع سليمان عليه السلام لها، وقد يهتم بإبراز الزمان كما في قصة أهل الكهف في قوله تعالى" وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ""الكهف:" ٢٥"، وكذلك في قوله تعالى" فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ""البقرة:" ٢٥٩"، فالزمان المذكور إنما يذكر بمقدار ما يحتاجه الحدث، وكذلك المكان كمصر والأحقاف والكهف، وهذه تعد الميزة الأولى في القصص القرآني التي تميزه عن سائر القصص.(١)

فالفن القصصي يعُد وسيلة من وسائل القرآن المتعددة، وهو فخر لهذا الفن أن يعتمده القرآن الكريم وسيلة للدعوة الي الله، وسلاحاً لنضال خصوم الإسلام، وأن يتخذه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه أداة للتوجيه والإرشاد. (٢)

ومن أهم خصائص القصة القرآنية ما يلي:

١- مصدرها الوحي: يقول الدكتور فضل عباس رحمه الله: مصدر القصة القرآنية هو مصدر القرآن نفسه فهي وحي الله تبارك وتعالى فهي ذات هدف ديني أخلاقي لا ينفصل عن أهداف العقيدة والشريعة غير أنها تجمع إلى سمو الهدف رقي الشكل الفني، فهي قرآنية في المضمون والشكل تنساب مفرداتها انسيابًا طبيعيًا ذات طابع إعجازي في المضمون والبناء وهي كذلك ربانية المصدر والهدف والموضوع فهي من وحي رب العالمين الذي أنزله في كتابه الكريم. (٣)

---

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة (ص: ١٨٤، ١٨٥)، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر.

(٢) ينظر: نحو مذهب إسلامي في النقد الأدب د/ عبد الرحمن رأفت الباشا، (ص١٨٤)، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

(٣) ينظر: قصص القرآن الكريم صِدْقُ حَدَثٍ وَسُمُوُّ هَدَفٍ إرْهَافُ حِسّ وتَهْذِيْبُ نَفْسٍ. د فضل حسن عباس (ص٤٥)، دارالنفائس الاردن، ط٣، ١٤٠٣هـ، ٢٠١٠م، منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني(ص١٩) منى عبد الله داؤود –دار ابن حزم، (ط١) ـ بيروت ١٩٩٨م.

إن القصص القرآني نزل بوحي من الله تعالى، وأن الرسول صلي الله عليه وسلم لم يكن يعرفها من سابق، بدليل أن القرآن يقص عليه أشياء لم تكن على عهده بل سبقته وقصها الله تعالي.(١)

٢ – الشمول والعموم :فهي تخاطب جانبي الإنسان العقلي والوجداني مجتمعيْن كحوار الأنبياء مع أقوامهم سواء حوار مجادلة أو حوار توجيه وإرشاد أو منفرديْن كما في قصة مؤمن آل فرعون حين يخاطب العقل تارة وتارة أخرى يخاطب الوجدان وفي موقف آخر يجمع بينهما، كما أنها تناولت في موضوعاتها حياة الدنيا والآخرة، وذلك فيما قصه الله من حياة الأمم ومواقفهم مع أنبيائهم وقد شمل ذلك حياتهم في الدنيا وما يترتب عليها في الآخرة من ثواب وعقاب كما شملت الذكر والأنثى والفرد والجماعة وحتى الأطفال. (٢)

٣ . واقعية الحدث :فالقرآن الكريم لا يتحدث عن أساطير ولا يحكي خيالات أو بنات أفكار لا صحة لها ولا علاقة لها بالواقع بل كل القصص التي حكاها لنا القرآن الكريم قد حدثت بالفعل وباشر أبطالها أحداثها على أرض الحياة وفي دنيا الناس، فالقصة القرآنية لا تمت إلى الخيال بصلة حيث تمثل واقعًا معيشًا بكل ما يحمله هذا الواقع من مجريات الحياة الدنيا الاعتيادي. (٣)

(١) ينظر: القصة في القرآن الكريم مريم عبد القادر السباعي، (ص٣٩)، مكتبة مكة لتوزيع المطبوعات، ١٤٠٧/ ١٩٨٧ م، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة –مصر، بدون طبعة، 1987

(٢) ينظر: خصائص القصة الإسلامية– مأمون فريز جرار (ص٢٢٥) دار المنارة –جدة، ط١، ١٩٨٨م، منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني– منى عبد الله داؤود (ص ١٧٥) دار ابن حزم– بيروت–(ط١)، ١٩٩٨م

(٣) ينظر: مع قصص السابقين في القرآن– صلاح عبد الفتاح صلاح عبد الفتاح الخالدي، (ص١٥) دار القلم –دمشق–ط١، ١٩٨٨م.

وكما نجد في قصة موسى عليه السلام وابنتي شعيب وقضية الماء والمرعى والرعاة فهذة القصة وغيرها تجسد الواقعية للقصة القرآنية وقد بين هذا جمع من المفسرين.(١)

فواقعية الشخصية واضحة في شخصية الأنبياء، فعلى الرغم من أن الأنبياء نماذج مثالية في عصمتها رفيعة في بشريتها، إلا أن القصة القرآنية كانت واقعية في عرضها لهذة النماذج بمعنى دقة التصوير لجانب شخصية النبي.(٢)

والقصة القرآنية تمتاز عن القصص الأخرى بأنه لا مجال فيها للأسطورة والخيال ولا للكذب والافتراء، ولا للزخرفة والتنميق، ولا للخرافة والأوهام، ولا للإضافة والاستطرادات التي ترضي المشاهدين والمتفرجين، وتجتذب الأفكار والنفوس على حساب الواقع القائم والحدث الأصلي. (٣)

فالقصة القرآنية بنيت بناء محكماً من لبنات الحقيقة المطلقة التي لا يطوف بحماها طائف من خيال ولا يطرقها طارق منه....فعنصر الخيال الذي من شأنه أن يلون الأحداث بألوان غير ألوانها، وأن يبدل ويغير في صورها وأشكالها، وبهذا تكون القصة منسوجة على منوال لم يألفه الناس، فهذا اللون من القصص يعتمد على الإثارة والتشويق.(٤)

هذة الواقعية جعلت القصة القرآنية في أعلي درجات الكمال في البلاغة وجلال المعني وذلك لقوة تأثيرها في اصلاح القلوب والاخلاق.

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) (٥٥٦/١٩وما بعدها)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، مفاتيح الغيب (٥٨٧/٣٤).

(٢) ينظر: بناء الشخصية في القصة القرآنية مصطفى عليان (ص٣٢ . ٣٤) دار البشير -عمان- (ط١) ١٩٩٢م.

(٣) ينظر :القصة القرآنية (هداية وبيان (وهبة الزحيلي(ص١٨)، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

(٤) ينظر :ينظر :القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه عبد الكريم الخطيب، (٣٩/40).

٤- التميز في الأسلوب: يقصد بأسلوب القصة القرآنية طريقة سبك القصة التي انفرد القرآن الكريم بها في تأليف واختيار ألفاظه، فالقصص القرآني عرض بأساليب معينة ووزع على السور توزيعًا خاصًا بين إيجاز وإطناب، وكل منها منسجم مع أهداف السورة الأساسية ولا ينفصل أسلوب القصة عن أجواء السورة وأغراضها، ومن هنا كانت الحكمة في عدم تكرار القضية الواحدة في السورة الواحدة، لذا ينبغي دراسة القصة حسب أسلوب العرض في السورة. (١)

فأسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به وأساليب المتكلمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد أشخاصهم بل تتعدد في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها. (٢)

كما أن القصص بثت بأسلوب بديع إذ ساقها في مظان الاتعاظ بها مع المحافظة على الغرض الأصلي الذي جاء به القرآن من تشريع وتفريع.(٣)

وأسلوب القصة من الأساليب التي عُني القرآن الكريم بها عناية خاصة، لما فيها من عنصر التشويق، وجوانب الاتعاظ والاعتبار، وقد ألمح القرآن الي هذا في مواضع مختلفة منها قوله تعالي "فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" "الأعراف" ١٧٦"، الي غير ذلك من الآيات تبين اعتماد القرآن اسلوب القصص تحقيقاً لمقاصد وأغراض منها اثبات الوحي والرسالة لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وبيان وحدة الوحي الالهي والعبرة والموعظة، وتثبيت النبي صلي الله عليه وسلم في مجال الدعوة، وبث الطمأنينة في نفوس المؤمنين. (٤)

(١) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي مصطفى مسلم، (ص: ٢٠٣)، دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزُّرْقاني(المتوفى:١٣٦٧هـ)، (٣٠٣/٢)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١/ ٦٥).

(٤) ينظر: الواضح في علوم القرآن مصطفي ديب البغا، محي الدين ديب متو، (ص١٨٣- ١٨٥)، دار الكلم الطيب، دمشق، ط٢ ١٩٨٨م.

ومن الأمثلة التي تبين هذه الخصيصة ما جاء في قصة موسي والخضر عليهما السلام في قوله تعالي "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا"فالآية الكريمة تدل بأسلوبها البليغ على أن موسى- عليه السلام- كان مصمما على بلوغ مجمع البحرين مهما تكن المشقة في سبيل ذلك، ومهما يكن الزمن الذي يقطعه في سبيل.(١)

إن أسلوب القصص القرآن امتاز بأنه بليغ التراكيب، فصيح الألفاظ بين المعاني، بديع السبك بطريقة معجزة كسائر أسلوب القرآن الكريم، وبذلك اكتسب الأسلوب القرآني وبخاصة في إطار القصة كأحد عناصرها لوناً فريداً ساعد على أن تصل القصة إلى هدفها الذي سيقت له.

٥- التوازن بين الأحداث والشخصيات: تتميز القصة القرآنية بالتوازن بين الأحداث والشخصيات فلا تجد موقفًا تتأثر به الشخصية دون الحدث أو العكس، فتلتقى الشخصية مع الحدث أو الحدث مع الشخصية فيخرج مضمون هو الذي يصبح بطل الموقف، فالشخصية في القصة القرآنية ينظر إليها باعتبارها شاهدًا من شواهد الإنسانية في قوتها أو ضعفها وفي استقامتها أو انحرافها وفي حكمتها أو سفاهتها، فالأشخاص في القصة القرآنية ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث أنهم أشخاص تاريخيون يراد إبراز معالمهم وكشف أحوالهم تمجيدًا أو تنديدًا وكذلك الشأن في الأحداث التي تعرضها القصة القرآنية فهي ليست إلا مجال اختبار تظهر فيه معادن الرجال وتختبر بها مواطن القوة والضعف.(٢)

إن الشخصية في القصة القرآنية شخصية واقعية كان لها وجود ذاتي في زمانها ومكانها وتناقلتها الأخبار والكتب، فهي من صميم الواقع الصادق، لا تزيد فيها ولا عليها، شأن القرآن في كل ما يعرضه دائماً الصدق والواقعية والأمانة. (٣)

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوي، (٨/ ٥٤٧) دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى

(٢) ينظر: القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف عبدالكريم الخطيب (ص٤٠، ٤١) دار الفكر العربي، القاهرة

(٣) ينظر: القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، عبد الكريم الخطيب (ص٩٥).

وكما يعتبر الحدث من أهم عناصر القصة، إذ هو جزء أساسي من الموضوع في القصة القرآنية، وعن طريقه يكون الوصول إلى قلب القصة. (١)

فالصلة بين الحوادث والشخصيات في القصة أقوى من أن يدلل عليها أو يلفت الذهن إليها، ذلك لأنهما العنصران الرئيسان في كل قصة، ثم نحن لا نستطيع أن نتصور شخصاً من غير أحداث تلم به أو تقع عليه.

٦- الإيجاز: والإيجاز هو القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى، هذه خاصة لم تُعرف لغير القرآن، فإن أبلغ البلغاء من الناس لا يستطيع أن يأتي بكلام لفظه قليل، ومعناه واف وهو إن اتفق له في الموضع الواحد والموضعين، فلا يتفق له في جملة كلام شعراً، أو نثراً، وما هو بحاصل إلا على كلام نسبى غير مطرد، بحسب ما أوتِىَ من إلهام وتوفيق، فأبلغ البلغاء إذا حفل باللفظ أضر بالمعنى، وإذا حفل بالمعنى أضر باللفظ، نهايتان مَن حاول أن يجمع بينهما وقف منهما موقف الزوج بين ضرتين، لا يستطيع أن يعدل بينهما دون ميل إلى إحداهما. (٢)

إن خاصة الإيجاز المعجز فيما اورده القرآن الكريم من أخبار الأمم وقصص الرسل والأيام الغابرة من الخصائص الجديرة بان تلفت نظر الباحث ليتعمق بها بكل ما فيها من آلام وآمال وعبر ومواقف عظيمة وعصيبة. (٣)

فلو أخذت من القرآن مقدارا من الكلام، وقارنته بما يساويه من كلام البلغاء تجد عجبًا ، ثم انظر أي الكلامين تستطيع أن تتناوله بالتعديل أو التبديل دون أن تخل بمعناه

(١) ينظر ر: القصة في القرآن الكريم لمريم عبد القادر السباعي (ص١١٩).

(٢) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)، (١/ ١٦٣)، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٢، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم محمد بن عبد الله دراز (المتوفى، ١٣٧٧هـ)، (ص١١٠، ١١١)، اعتنى به أحمد مصطفى فضلية، قدم له أ. د عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة دار الثقافة قطر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٣) ينظر: القصة القرآنية، فتحي رضوان (ص١٢)، دار الهلال ـ القاهرة ١٩٧٨م.

؟ ! ، ولو نزعت منه لفظة ثم أدرت لسان العرب لتضع موضعها لفظة أحسن منها لم تجد.[١]

ومن الأمثلة التي تبين هذه الخصيصة ما جاء في قصة موسي والخضر عليهما السلام في قوله تعالي"فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة""الكهف ٧١"أي:فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر..فركبا، وقد دل على هذا الحذف سياق القصة.[٢]

٧- أنها للعظة والعبرة وليست للقصة ذاتها: وإنما وردت للعظة والتمثيل والتذكير والإلزام، والتنديد والوعيد والتسلية والتطمين ومن أمثلتها في القرآن قوله تعالى"أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ""التغابن ٥، ٦"، فالتسامي في الهدف، حيث لا يدعى فيالقصص القرآني إلى شيء إلا ويُقصد من ورائه هدف نبيل في غايته، ولا ينهى عن شيء إلا وكان للنهي عنه حكمة جّليلة.[٣]

يقول الطاهر بن عاشور: فإن في القصص تفكرا وموعظة، فيرجى منه تفكرهم وموعظتهم، لأن للأمثال واستحضار النظائر شأنا عظيما في اهتداء النفوس بها وتقريب الأحوال الخفية إلى النفوس الذاهلة أو المتغافلة، لما في التنظير بالقصة المخصوصة من تذكر مشاهدة الحالة بالحواس، بخلاف التذكير المجرد عن التنظير بالشيء المحسوس.[٤]

فالقصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين، وإنه ليحكي من عقائدهم الحق والباطل،

(١) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم المطعني (١٦٣/١)، النبأ العظيم عبدالله دراز (ص ١١٠، ١١١).

(٢) ينظر: النهر المهاد من البحر المحيط أبو حيان الأندلسي ت: عمر الأسعد، دار الجيل، بيروت، (٢٦٢/٣)، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

(٣) ينظر: القصة في القرآن الكريم، الدكتورة مريم عبد القادر السباعي، (ص٣٩ وما بعدها).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٩/ ١٧٩).

ومن تقاليدهم الصادق والكاذب، ومن عاداتهم النافع والضار؛ لأجل الموعظة والاعتبار، فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة، ولا تتجاوز موطن الهداية. [١]

يقول الفخر الرازي: فَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ قِصَّةَ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ وَذَكَرَ حَالَ عَاقِبَةِ فِرْعَوْنَ وَخَتَمَ ذَلِكَ بِهَذَا الْكَلَامِ وَخَاطَبَ بِهِ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَكُونُ ذَلِكَ زَاجِرًا لِأُمَّتِهِ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الدَّلَائِلِ، وَبَاعِثًا لَهُمْ عَلَى التَّأَمُّلِ فِيهَا وَالِاعْتِبَارِ بِهَا، فَإِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْقَصَصِ حُصُولُ الِاعْتِبَارِ كَمَا قَالَ تعالي" لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ""يوسف١١١".[٢]

٨- تنوع طريقة العرض: لقد امتاز القران الكريم بأسلوبه المعجز فلم يلتزم في عرض قصصه نمطا واحدا بل تنوعت الطرائق تبعا لتنوع الأغراض واختلفت الوسائل البيانية تبعا لتنوع الطرائق. [٣]

كما وردت بأساليب متنوعة تتحمل وجوها للتأويل ويكون عقل الإنسان عاجزا عن تأويلها، ويكون من واجب المسلم المخلص أن يكتفي بالقول" آمنا به كل من عند ربنا".[٤]

(١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار محمد رشيد رضا (١/٣٣٠) خرج آياته وأحاديثه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت

(٢) ينظر: التفسير الكبيرللرازي، (١٧/ ٢٩٨).

(٣) ينظر: البيان القصصي في القران الكريم، إبراهيم محمد إسماعيل عوضين، (ص ١٢٣)، السعودية، الرياض، دار الأصالة، ١٩٩٠م.

(٤) ينظر: القرآن والملحدون، محمد عزة دروزة، (ص١٥٢بتصرف).

المطلب الثاني
قصة سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح كما وردت في كتب السنة وفيها بيان السبب في وقوعها

إن القصص الوارد في القرآن الكريم وصحيح الحديث الشريف، صدق كله، وحق كله، فهو يحكي أخباراً وقعت ليس فيها نقص ولا زيادة "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ""الكهف ١٣"، وقوله "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ""آل عمران " ولا يكون القصص حقاً إلاّ إذ اقصه القاص كما وقع من غير زيادة فيه، والله تبارك وتعالي منزه عن الكذب فلا يمكن أن يقص قصصاً لم يقع ولم يحدث والله تعالي سميع بصير شاهد حاضر، ولذ فإنه عندما يقص علينا بعلم المشاهد الحاضر قال تعالي"فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ"

" الاعراف ٧"، وقد أمر الله تعالي رسوله صلي الله عليه وسلم بان يقص على الناس ما يعلمه من القصص لعل الناس يتفكرون في أحوال الغابرين ويقيسون الفهم بهم فيأخذون العبرة لأنفسهم فيبتعدون عن مسارهم إن كانوا ظالمين، ويتأسوا بهم كانوا صالحين"فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"، وقوله"لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ""يوسف ١١١".

لقد كان قصص القرآن وقصص الحديث النبوي ولا يزال زاداً تروي النفوس وتثبت القلوب كما قال تعالي "وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ" "الأعرف ١٢٠".

إن القِصص القرآنية والقِصص الحديثية تمثل الصورة الواقعية والعملية التي ترسم التعاليم القرآنية في مشاهد نابضة بالحياة وكثير من الناس يرون الحق من خلال الواقع العملي أكثر مما يعرفونة من خلال التعاليم المجردة ولذا فإن المستقيم من البشر قد يؤثر مسلكه في الناس أكثر مما تؤثر أقواله فيهم، وقد ذكرت قصة موسي والخضر عليهما السلام بتفاصيلها في أوثق كتب السنة الشريفة فقد وردت في الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي، فقد أوردها الامام البخاري في عدة مواطن من صحيحة وفي أبواب عدّة من كتاب العلم وفي الإجارة وفي الشروط وفي بدء الخلق وفي الأنبياء وفي التفسير، والامام مسلم أخرجها في كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام، فالسنة

الشريفة قد فصّلت وأضافت علي العرض القرآني الكثير فنجد ان القصة القرآنيةلم تذكر اسم الخضر، ولم تخبرنا عن المكان الذي حصل فيه اللقاء، سوى أنه مجمع البحرين، كما لم نعرف متى كان ذلك في حياة موسى، هل حدث هذا حين كان بمصر، أو بعد أن عبر ببني إسرائيل إلى سيناء، كما لم تذكر السبب الذي من أجله كان بحث موسى عن هذا العبد الصالح، وبعد أن ذكر لموسى الأسباب التي جعلته يفعل ما فعل، لم تخبرنا الآيات أين ذهب ولا ماذا كان من أمره، فالقصة كلها مفاجآت، تنتقل بك في عالم مجهول وأسرار لا تتضح لموسى نفسه، ولم يعرف عنها شيئًا إلا بعد أن آذنه العبد الصالح بفراقه؛ لأن موسى لن يستطيع معه صبرًا. (١)

فالقرآن الكريم في كثير من قصصه أغفل جزئيات كثيرة إما لعدم تأثيرها في السياق والعبر المستقاة من القصة، أو تشويقًا للسامع وإفساحًا لمجال فكرة وخياله لكي يملأ تلك الفجوات بالاحتمالات التي تخطر على باله، وفي ذلك تنشيط للذهن، وإثارة للتساؤلات لمتابعة الأحداث، وتتبلور هذه الأسس في قصة موسى والخضر عليها السلام في أبرز صورة:

– فالدافع لموسى عليه السلام في اتخاذ قرار بالسفر إلى مجمع البحرين لا وجود له في ثنايا القصة.

– ونفاجأ بالقصة وأحداثها وبموسى وفتاه وهما على متن الطريق وقد شرعا في السفر، وهما يتبادلان الحديث حول الوصول إلى الهدف والتصميم على ذلك.

– والمكان الذي كان منه الانطلاق مجهول وكذلك مكان اللقاء بالعبد الصالح وزمانه ولئن ذكر مجمع البحرين فهو غير معلوم بالتحديد لأحد من المفسرين، وقل مثل ذلك في زمان الحادثة هل كان قبل خروج بني إسرائيل من مصر، أو بعد الخروج، وهل وقع قبل التيه أو أثناءه.

– وهذا الفتى الذي رافق موسى عليه السلام من هو؟ ما دوره في مجريات الأحداث؟ ما مصيره بعد اللقاء بالعبد الصالح؟

---

(١) ينظر: التفسير الموضوعي، مناهج جامعة المدينة العالمية، (ص: ٢٤٩)، كود المادة: IUQR4093، المرحلة: بكالوريوس، الناشر: جامعة المدينة العالمية

– والعبد الصالح ما حقيقته؟ أنبي مرسل، أو ولي مكرم، أو عالم مطلع؟ وما المدة التي قضياها مصطحبين؟ وما وجهته ومصيره بعد الفراق؟ وجو الغموض والمفاجآت الذي يلف القصة من أولها إلى آخرها ملائم تمامًا للهدف منها،ولولا أن السنة النبوية الشريفة أكملت جوانب وألقت الأضواء على بعض التفصيلات، وأزاحت الستار عما خفي من اسرار هذه القصة لما وجدنا إلى العلم الصحيح بها سبيلًا.(١)

ففي الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي أن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نَوْفًا(٢) البِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الخَضِرِ، لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، حَدَّثَنِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ، فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ، قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَهُوَ، فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَنَامَا، وَاضْطَرَبَ الحُوتُ فِي المِكْتَلِ، فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ فِي البَحْرِ"فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا""الكهف ٦١"،وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الحُوتِ جِرْيَةَ المَاءِ، فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلَ الطَّاقِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ صَاحِبُهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالحُوتِ، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتَهُمَا حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الغَدِ قَالَ مُوسَى"لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا""الكهف: "قَالَ: وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَا المَكَانَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ"أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَبًا"قَالَ: فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَلِمُوسَى وَلِفَتَاهُ عَجَبًا، فَقَالَ مُوسَى"ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا"قَالَ:رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا

(١) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص: ٢٥٨/٢٥٩)، دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٢) نوف بفتح النون وسكون الواو ابن فضالة بفتح الفاء والمعجمة البكالي بكسر الموحدة وتخفيف الكاف ابن امرأة كعب شامي مستور وإنما كذّب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب، من الثانية مات بعد التسعين، ينظر: تقريب التهذيب أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، (ص: ٥٦٧)، ت/ محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا ط١، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى ثَوْبًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى فَقَالَ الخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ:نَعَمْ، أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا قَالَ"إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا" يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لاَ أَعْلَمُهُ، فَقَالَ مُوسَى"سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا، وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا""الكهف:٦٩"، فَقَالَ لَهُ الخَضِرُ"فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا""الكهف:" فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ، فَعَرَفُوا الخَضِرَ فَحَمَلُوهُمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَفْجَأْ إِلَّا وَالخَضِرُ قَدْ قَلَعَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ بِالقَدُومِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ قَدْ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا"لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا" قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" وَكَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا، قَالَ: وَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي البَحْرِ نَقْرَةً، فَقَالَ لَهُ الخَضِرُ:مَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ مِنْ هَذَا البَحْرِ، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ فَبَيْنَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذْ أَبْصَرَ الخَضِرُ غُلاَمًا يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الخَضِرُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى"أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا"، "قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا" قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الأُولَى قَالَ"إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي، قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا، فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ""الكهف: ٧٧" قَالَ:مَائِلٌ – فَقَامَ الخَضِرُ فَأَقَامَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُضَيِّفُونَا"لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا""الكهف ٧٧"، قَالَ"هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ""الكهف ٧٨" إِلَى قَوْلِهِ"ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا""الكهف: ٨٢" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ حَتَّى يَقُصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا " قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ"وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا" وَكَانَ يَقْرَأُ: "وَأَمَّا الغُلاَمُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ".[1]

(١) ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، (٦/ ٨٨)، حديث رقم (٤٧٢٥)،

وفي رواية اخري: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: إِنَّا لَعِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي بَيْتِهِ، إِذْ قَالَ:سَلُونِي، قُلْتُ:أَيْ أَبَا عَبَّاسٍ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، بِالكُوفَةِ رَجُلٌ قَاصٌّ يُقَالُ لَهُ: نَوْفٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَمَّا عَمْرٌو فَقَالَ لِي:قَالَ:قَدْ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، وَأَمَّا يَعْلَى فَقَالَ لِي: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:مُوسَى رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قَالَ:ذَكَّرَ النَّاسَ يَوْمًا حَتَّى إِذَا فَاضَتِ العُيُونُ، وَرَقَّتِ القُلُوبُ، وَلَّى فَأَدْرَكَهُ رَجُلٌ فَقَالَ:أَيْ رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ فِي الأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْكَ؟ قَالَ: لاَ، فَعَتَبَ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَى اللَّهِ، قِيلَ: بَلَى، قَالَ: أَيْ رَبِّ، فَأَيْنَ؟ قَالَ:بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، اجْعَلْ لِي عَلَمًا أَعْلَمُ ذَلِكَ بِهِ – فَقَالَ لِي عَمْرٌو – قَالَ: حَيْثُ يُفَارِقُكَ الحُوتُ – وَقَالَ لِي يَعْلَى – قَالَ: خُذْ نُونًا مَيِّتًا، حَيْثُ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ، فَقَالَ لِفَتَاهُ:لاَ أُكَلِّفُكَ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنِي بِحَيْثُ يُفَارِقُكَ الحُوتُ، قَالَ:مَا كَلَّفْتَ كَثِيرًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ"وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ""الكهف: ٦٠" يُوشَعَ بْنِ نُونٍ – لَيْسَتْ عَنْ سَعِيدٍ – قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ فِي ظِلِّ صَخْرَةٍ فِي مَكَانٍ ثَرْيَانَ، إِذْ تَضَرَّبَ الحُوتُ وَمُوسَى نَائِمٌ فَقَالَ فَتَاهُ:لاَ أُوقِظُهُ حَتَّى إِذَا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ أَنْ يُخْبِرَهُ، وَتَضَرَّبَ الحُوتُ حَتَّى دَخَلَ البَحْرَ، فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جِرْيَةَ البَحْرِ، حَتَّى كَأَنَّ أَثَرَهُ فِي حَجَرٍ – قَالَ لِي عَمْرٌو:هَكَذَا كَأَنَّ أَثَرَهُ فِي حَجَرٍ، وَحَلَّقَ بَيْنَ إِبْهَامَيْهِ وَاللَّتَيْنِ تَلِيَانِهِمَا"لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا" "الكهف: ٦٢"قَالَ:قَدْ قَطَعَ اللَّهُ عَنْكَ النَّصَبَ – لَيْسَتْ هَذِهِ عَنْ سَعِيدٍ أَخْبَرَهُ – فَرَجَعَا فَوَجَدَا خَضِرًا – قَالَ لِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ – عَلَى طِنْفِسَةٍ خَضْرَاءَ، عَلَى كَبِدِ البَحْرِ – قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ – مُسَجًّى بِثَوْبِهِ قَدْ جَعَلَ طَرَفَهُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ، وَطَرَفَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: هَلْ بِأَرْضِي مِنْ سَلاَمٍ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا، قَالَ: أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ التَّوْرَاةَ بِيَدَيْكَ، وَأَنَّ الوَحْيَ يَأْتِيكَ يَا مُوسَى، إِنَّ لِي عِلْمًا لاَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَهُ، وَإِنَّ لَكَ عِلْمًا لاَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَعْلَمَهُ، فَأَخَذَ طَائِرٌ بِمِنْقَارِهِ مِنَ البَحْرِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عِلْمِي وَمَا عِلْمُكَ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ البَحْرِ، حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ وَجَدَا مَعَابِرَ صِغَارًا،

كتاب تفسير القرآن، بَابُ {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} [الكهف: ٦٠]، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

تَحْمِلُ أَهْلَ هَذَا السَّاحِلِ إِلَى أَهْلِ هَذَا السَّاحِلِ الآخَرِ، عَرَفُوهُ فَقَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ الصَّالِحُ – قَالَ: قُلْنَا لِسَعِيدٍ: خَضِرٌ؟ قَالَ: نَعَمْ – لاَ نَحْمِلُهُ بِأَجْرٍ، فَخَرَقَهَا وَوَتَدَ فِيهَا وَتِدًا، قَالَ مُوسَى "أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا""الكهف: ٧١" قَالَ مُجَاهِدٌ: مُنْكَرًا –"قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا"، كَانَتِ الأُولَى نِسْيَانًا وَالوُسْطَى شَرْطًا، وَالثَّالِثَةُ عَمْدًا"قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا" "الكهف: ٧٣"، لَقِيَا غُلاَمًا فَقَتَلَهُ – قَالَ يَعْلَى: قَالَ سَعِيدٌ: وَجَدَ غِلْمَانًا يَلْعَبُونَ فَأَخَذَ غُلاَمًا كَافِرًا ظَرِيفًا فَأَضْجَعَهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ بِالسِّكِّينِ "اَلَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ""الكهف: ٧٤"لَمْ تَعْمَلْ بِالحِنْثِ – وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَرَأَهَا زَكِيَّةً "اَكِيَةً" مُسْلِمَةً كَقَوْلِكَ غُلاَمًا زَكِيًّا – فَانْطَلَقَا فَوَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ، فَأَقَامَهُ – قَالَ سَعِيدٌ بِيَدِهِ هَكَذَا، وَرَفَعَ يَدَهُ فَاسْتَقَامَ، قَالَ يَعْلَى:حَسِبْتُ أَنَّ سَعِيدًا قَالَ: فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ فَاسْتَقَامَ "لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا""الكهف: ٧٧" قَالَ سَعِيدٌ: أَجْرًا نَأْكُلُهُ "وَكَانَ وَرَاءَهُمْ""الكهف: ٧٩" وَكَانَ أَمَامَهُمْ – قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَامَهُمْ مَلِكٌ، يَزْعُمُونَ عَنْ غَيْرِ سَعِيدٍ أَنَّهُ هُدَدُ بْنُ بُدَدَ، وَالغُلاَمُ المَقْتُولُ اسْمُهُ يَزْعُمُونَ جَيْسُورٌ"مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا""الكهف: "}، فَأَرَدْتُ إِذَا هِيَ مَرَّتْ بِهِ أَنْ يَدَعَهَا لِعَيْبِهَا، فَإِذَا جَاوَزُوا أَصْلَحُوهَا فَانْتَفَعُوا بِهَا – وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: سَدُّوهَا بِقَارُورَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ بِالقَارِ"كَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ" وَكَانَ كَافِرًا "فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا، وَكُفْرًا""الكهف: ٨٠" أَنْ يَحْمِلَهُمَا حُبُّهُ عَلَى أَنْ يُتَابِعَاهُ عَلَى دِينِهِ، "فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً" لِقَوْلِهِ"قَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً""الكهف: ٧٤""وَأَقْرَبَ رُحْمًا""الكهف: ٨١"هُمَا بِهِ أَرْحَمُ مِنْهُمَا بِالأَوَّلِ، الَّذِي قَتَلَ خَضِرٌ – وَزَعَمَ غَيْرُ سَعِيدٍ: أَنَّهُمَا أُبْدِلاَ جَارِيَةً، وَأَمَّا دَاوُدُ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ فَقَالَ: عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ: إِنَّهَا جَارِيَةٌ.(١)

وفي رواية أخري في الصحيحين: عن عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ الفَزَارِيُّ فِي صَاحِبِ مُوسَى، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ خَضِرٌ، فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى، الَّذِي سَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ، هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ " قَالَ مُوسَى: لاَ، فَأَوْحَى

(١) ينظر: صحيح البخاري، (٦/ ٩١)، حديث رقم (٤٧٢٦)، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: {فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا} [الكهف: ٦١].

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى: بَلَى، عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ:إِذَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَارْجِعْ، فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، وَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الحُوتِ فِي البَحْرِ، فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ"أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ" قَالَ"ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا" فَوَجَدَا خَضِرًا، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ.(١)

وبالنسبة لمعاتبة موسى عليه السلام التي نحن بصدد الحديث عنها فهناك احتمالان:

أ- إنه نسي رد الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، كما نسي غيره من الأنبياء والمرسلين، كما نسي آدم عليه الصلاة والسلام، وكما نسي سليمان عليه السلام وكما نسي محمد صلى الله عليه وسلم "وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ".

ولكن النسيان في أمور الشرائع والعبادات لا يخلو من نوع من الأثر والتعقيب أو التعليق، فالنسيان في بعض العبادات يجبر بعمل لاحق كالصلاة، وفي بعض المعاملات بتحمل الآثار المالية وإن كانت المؤاخذة الأخروية غير واردة في شأن النسيان فإن التنبيه أو العتاب الدينوي مما يقوم الأمر ويعدله، هذا لعامة الناس، فكيف الأمر بالنسبة للقدوة وأئمة الهدى الذين تكون أقوالهم وأفعالهم وإقرارهم تشريعًا.

ب- إن موسى عليه السلام عندما نفى أن يكون من الناس من هو أعلم منه، إنما قصد الناس من أمته من بني إسرائيل وفي أمور الشرائع التي كلف بها ومن المعلوم عند العلماء، أن الرسول أعلم الناس بأمور الشرائع المنزلة عليه، فيستحيل أن يكون في أمته من هو أعلم منه ولو بجزئية من الشريعة لأن في ذلك خدشًا لمقام النبوة.(٢)

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (١/ ٢٦)، حديث رقم (٧٤)، كتاب العلم، بَابُ مَا ذُكِرَ فِي ذَهَابِ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي البَحْرِ إِلَى الخَضِرِ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، (٤/ ١٨٥٢)، حديث رقم (٢٣٨٠) كتاب الفضائل، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

(٢) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص: ٢٦٦).

والمتأمل للقصة النبوية على اختلاف أنواعها يجد أنها تشترك في غرضها ومقصدها، فهذه القصة إنما ساقها النبي صلي الله عليه وسلم بغرض التربية والتوجيه والدعوة ترغيباً في الخير، وترهيباً من الشر، فما كان النبي صلي الله عليه وسلم يعرض تلك القصص بمختلف أنواعها لذاتها كأنماط قصصية ذات طريقة فنية جميلة، أي أنه لم يعرضها لذات الفن القصصي وإن كان هذا يتحقق تبعاً، وإنما كان يعرضها وهو يستهدف بالدرجة الأولى المبادئ والأهداف السامية التي يريد نقلها لأمته صلي الله عليه وسلم.(١)

فيظهر اقتداؤه صلي الله عليه وسلم بالقصص القرآني في طريقة عرضه، فكان يختار القصص من تاريخ السابقين ليشرح لنا ما يريد من المعاني بالأمثلة التي تجسد الواقع في صورة الماضي المعروف سلفا ليرسخ في ذهن المتلقي فلا ينساه، وإنما كان هذا الاهتمام البالغ بالقصة لما لها من أثر واضح في التوجيه والتربية وإيصال المفاهيم، إذ الإنسان يولع بالقصص ويميل بفطرته إليها، وإذا ما قص عليه جزء من قصة حرص على متابعة أحداثها ليعرف مدى ما وصلت إليه، فغريزة حب الاستطلاع تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بشفتي القصصي البارع استشرافا لمعرفة ما خفي من بقيتها، ومما يدل على هذا الميل الفطري نحو القصة والرغبة في تتبع أحداثها ما ورد عنه أنه لما ذكر قصة موسى مع الخضر قال:"وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ فَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا.(٢)

فقصة موسي عليه السلام مع الرجل الصالح قدّمت الحق في صور مختلفة، إذ كان الطرفان متفقين في المبدأ، فموسي عليه السلام يبحث عن رجل أعلم منه ليتعلم منه، وكان العبد الصالح ذلك الرجل الذي منحه الله تعالي علماً من لدنه، ويتمثل السبب في قصة موسي عليه السلام بحثاً عن العبد الصالح كما ورد " إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ، فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ....." وهكذا كان انطلاق موسي عليه

(١) ينظر: القصص في الحديث النبوي، د محمد حسن الزير، (ص ٤٢٧) ـ الرياض ١٩٨٥ م.

(٢) ينظر: الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري)، (٤/ ١٥٦)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسي عليهما السلام، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

السلام في رحلته العجيبة الحافلة بالتشويق والمفاجآت والتي لم ترد في القرآن الكريم سوي في سورة الكهف، وهذة القصة أكدت أن العلم البشري المحدود يظل قاصراً عن معرفة كنه الأشياء والأسباب وأن فوق كل ذي علم عليم، وفيها دعوي الي ترك علم الغيب لله، وفي هذه القصة تبرز سمات طالب العلم وسماته وأخلاقه المتمثلة في التواضع وبذل الجهد فموسي عليه السلام مع علو شأنه لم يمنعه علوُّه عن تحمل المشاق في سبيل العلم دون نظر ال مكانة من يريد التعلم منه فموسي نبيّ الله وكليمه والخضر ليس بنبي، وانما هو من أولياء الله الصالحين، ومع ذلك لم يتردد موسي الكليم عن قطع المسافات الشاسعة ليلتقي بالعبد الصالح ويستفيد من علمه اللدني الذي وهبة الله إياه.(١)

فالقرآن الكريم لم يفصح عن أسباب رحلة موسى عليه السلام للبحث عن العبد الصالح شيئاً إلا أن السنة النبوية أوضحت أن سبب الرحلة كان عتاب الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى عليه السلام عندما سئل هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، ولولا أن السنة النبوية الشريفة أكملت جوانب وألقت الأضواء على بعض التفصيلات لما وجدنا إلى العلم الصحيح بها سبيلًا، فمثلاً وجود الحوت معهما ولم يحدثنا النص القرآني عن حكمة وجوده، إلا أن السنة النبوية بينت لنا أيضًا سبب حمله معهم، وهو أن عودة الحياة إليه علامة وصولهم إلى مجمع البحرين مكان وجود العبد الصالح –وأستبعد ما ذهب إليه بعض المفسرين من أنهم حملوه زادًا للسفر، لأن نص الحديث النبوي جعله أمارة البلوغ واللقاء – وسيأتي الحديث عن تفسير الآيات المتعلقة بالحوت إن شاء الله تعالي لذا كان من الضروري سرد ما ذكرته السنة الصحيحة في قصة موسي والخضر عليهما السلام للوقوف علي تمام المعني ليتحقق الغرض وتحصل الفائدة من ذكر القصة.

(١) ينظر: إيجاز البيان في سور القرآن محمد علي الصابوني(ص٧٧٧)، مكتبة الغزالي . سوريا، ط٢، ١٣٩٩ / ١٩٧٩م.

المطلب الثالث
تحقيق القول في المراد بالعبد الصالح

أولاً: اسْمه وَنسبه :

لم يذكر اسمه ولا نسبه في القرآن؛ فهو من مبهمات القرآن، ولكنه مذكور في السنة النبوية، حيث وضّح هذا النبي صلي الله عليه وسلم كما جاء في صحيح البخاري"بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ: لاَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: بَلَى، عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فلو لم يذكر الحديث اسمه لكان من مبهمات القرآن. (١)

والجمهور على أنه الخضر بفتح الخاء المعجمة وكسر الضاد وهو لقبه. (٢)

وفي ضبط كلمة الخِضْر يقول الازهري: يجوز فِي الْعَرَبيَّة الخِضْرُ: بِمَعْنى الخَضِرِ كَمَا يُقَال: كِبْدٌ وكَبِدٌ، وقال الجوهري:وخضر أيضا صاحب موسى عليهما السلام، ويقال خضر مثال كبد وكبد هو أفصح، فمن نطق الخَضِر فهو صحيح، ومن نطق الخِضْر فهو صحيح، بل هذا هو الأفصح.(٣)

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: والمراد بالعبد الخضر ووصف بأنه من عباد الله تشريفا له.(٤)

وقال الإمام القرطبي: الْعَبْدُ هُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ، وَبِمُقْتَضَى الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ، وَخَالَفَ مَنْ لَا يُعْتَدُّ بِقَوْلِهِ فَقَالَ لَيْسَ صَاحِبُ مُوسَى بِالْخَضِرِ بَلْ هُوَ عَالِمٌ آخَرُ...وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ كَانَ الْخَضِرَ، وبِذَلِكَ وَرَدَ الْخَبَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (١)

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (٤/ ١٥٤) (ح ٣٤٠٠) كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسي عليهما السلام.

(٢) ينظر: روح البيان إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ال متوفى١١٢٧هـ)، (٥/ ٢٦٧) دار الفكر – بيروت.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة للازهري (٧/ ٥٢)، تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، (٢/ ٦٤٨)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين –بيروت، ط٤ ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٩).

وجمهور المفسرين على أن العبد الصالح هو الخضر، وقيل اليَسَع وقيل إلياس، قال الألوسي: والحق الذي تشهد له الأخبار الصحيحة هو الأول. (٢)

ثانياً: سبب تسميته بالخضر جاءت السنة النبوية توضح السبب في هذة التسمية، وفي غيرها، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"إِنَّمَا سُمِّيَ الخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ". (٣)

وحكي عن مجاهد أنه قيل له الخضر لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله. (٤)

وقال الْخَطَّابِيُّ: إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ خَضِرًا لِحُسْنِهِ وَإِشْرَاقِ وَجْهِهِ، قَالَ ابْن كثير: هَذَا لَا ينافي مَا ثَبت فِي الصَّحِيح، فَإِن كَانَ وَلَا بُد من التَّغْلِيل بِأَحَدِهِمَا، فَمَا ثَبت فِي الصَّحِيح أولى وَأقوى، بل لَا يلْتَفت إِلَى مَا عداهُ. (٥)

ثالثاً: هل صاحب الْخضر سيدنا مُوسَى بن عمرَان – عَلَيْهِ السَّلَام – أم غَيره؟

يقول ابن كثير: والصحيح الذي دل عليه ظاهر سياق القرآن ونص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه أنه موسى بن عمران صاحب بني إسرائيل"إن موسي المذكور في القصة هو موسي بني اسرائيل عليه السلام خلافاً لظن" نوف البكالي" رحمة الله تعالي

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، (١١/ ١٦)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر نالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، (٥/ ٨٩٥)، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) – (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).

(٣) ينظر: صحيح البخاري (٤/ ١٥٦)، (باب حديث الخضر مع موسي عليهما السلام).

(٤) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (٦/ ٤٣٣)، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

(٥) ينظر: البداية والنهاية أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (١/ ٣٢٧)، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م.

ويؤيد هذا ما جاء في الصحيحين عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ.....الحديث".(١)، (٢)

ومنشأ هَذَا الْخلاف بَين المؤرخين هُوَ بعض الرِّوَايَات الإسرائيلية والتاريخية الَّتِي ورد فِيهَا: أَن مُوسَى بن مِيشَا بن يُوسُف بن يَعْقُوب نَبِي قبل مُوسَى بن عمرَان، وَأَنه هُوَ الَّذِي طلب الْخضر بن ملكان... " وَهُوَ قَول سَاقِط مَرْجُوح سندا وتأريخا.

وَالصَّحِيح الرَّاجِح فِي ضوء النُّصُوص الحديثية والتاريخية الصَّحِيحَة أَن مُوسَى بن عمرَان – عَلَيْهِ السَّلَام – الَّذِي أنزلت عَلَيْهِ التَّوْرَاة هُوَ صَاحب الْخضر الْمَعْرُوف الْوَارِد قصَّته مَعَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام – فِي سُورَة الْكَهْف.(٣)

يقول الإمام الفخر الرازي: أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ مُوسَى الْمَذْكُورَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ صَاحِبُ الْمُعْجِزَاتِ الظَّاهِرَةِ وَصَاحِبُ التَّوْرَاةِ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا ابْنَ امْرَأَةِ كَعْبٍ يَزْعُمُ أَنَّ الْخَضِرَ لَيْسَ صَاحِبَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، وَإِنَّمَا هُوَ صَاحِبُ مُوسَى بْنِ مِيشَا بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ... وَاحْتَجَّ الْقَفَّالُ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِنَا إِنَّ مُوسَى هَذَا هُوَ صَاحِبُ التَّوْرَاةِ، قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا ذَكَرَ مُوسَى فِي كِتَابِهِ إِلَّا وَأَرَادَ بِهِ صَاحِبَ التَّوْرَاةِ فَإِطْلَاقُ هَذَا الِاسْمِ يُوجِبُ الِانْصِرَافَ إِلَيْهِ وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ شَخْصًا آخَرَ مُسَمًّى بِمُوسَى غَيْرَهُ لَوَجَبَ تَعْرِيفُهُ بِصِفَةٍ تُوجِبُ الِامْتِيَازَ وَإِزَالَةَ الشُّبْهَةِ.(٤)

وقال الإمام النووي: وموسى الذى صحبه هو موسى بنى إسرائيل كليم الله تعالى كما جاء به الحديث المشهور في صحيحي البخاري ومسلم وهو مشتمل على عجائب من أمرهما، ولعل السبب الذي دفع نوف البكالي الي هذا القول هو استحالة أن يتعلم موسي النبي عليه السلام من الخضر وهو دونه في المنزلة، أو أنه أخذ هذا من الاسرائيليات حيث كان وثيق الصلة بكعب الأحبار فهو ربيبه وابن زوجته، وقيل: ابن أخته وعنه أخذ

(١) ينظر: البداية والنهاية أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (١/ ٣٤٤)، المحقق: على شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١ ١٤٠٨،هـ – ١٩٨٨ م.

(٢) ينظر: صحيح البخاري، (٨٨/٦)، صحيح مسلم (١٨٤٧/٤).

(٣) ينظر: الزهر النضر في حال الخضر (ص: ٢٢).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٤٧٧).

أخبار أهل الكتاب فلهذا نفي اجتماع موسي النبي عليه السلام بالخضر وأعتبر ذلك اللقاء مع شخص آخر من بني اسرائيل يقال له موسي.[١]

وما جاء في الحديث من قول ابن عباس: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ....." فهو محمول على إرادة المبالغة في الزجر والتنفير عن تصديق تلك المقالة.[٢]

وقال ابن التين: لم يرد ابن عباس إخراج نوْف عن ولاية الله، ولكن قلوب العلماء تنفر إذا سمعت غير الحق، فيطلقون أمثال هذا الكلام لقصد الزجر والتحذير منه، وحقيقته غير مرادة، وقد قاله في حال الغضب، وألفاظ الغضب تقع على غير الحقيقة غالبًا.[٣]

وعلق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي علي ما ورد عن ابن عباس بقوله: قال العلماء هو على وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله، لا أنه يعتقد أنه عدو الله حقيقة إنما قاله مبالغة في إنكار قوله لمخالفته قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في حال غضب ابن عباس لشدة إنكاره وحال الغضب تطلق الألفاظ ولا تراد بها حقائقها.[٤]

يقول بن حجر:والصحيح الذي دل عليه ظاهر سياق القرآن، ونص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه أنه موسى بن عمران صاحب بني إسرائيل والله تعالي أعلي وأعلم.[٥]

---

(١) ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، (١/ ١٧٦)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٨/ ٤١٣).

(٣) ينظر: فتاوى الشبكة الإسلامية (٨/ ١٥٥، بترقيم الشاملة آليا)، فتاوى الشبكة الإسلامي، المؤلف: لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية، تم نسخه من الإنترنت: في ١ ذو الحجة ١٤٣٠، هـ = ١٨ نوفمبر، ٢٠٠٩ م ـ http://www.islamweb.net

(٤) ينظر: صحيح مسلم، (٤/ ١٨٤٩).

(٥) ينظر: تقريب التهذيب أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، (ص: ٥٦٧)، ت/ محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، ط١، ١٤٠٦ – ١٩٨، قصص الأنبياء أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ال متوفى٧٧هـ)، (١٤١/٢)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار التأليف – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م

فإن أكثر الأنبياء ذكر باسمه في القرآن هو موسى عليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام، وقد تكرر اسمه في القرآن ستا وثلاثين ومائة مرة، كما قال محمد فؤاد عبد الباقي في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ولعل من حكم تكرار اسمه في القرآن أن الله تعالى فصل في حياة موسى ما لم يفصل في حياة الأنبياء الآخرين(١)

والظاهر مما سبق أن المراد موسى ابن عمران (عليه السلام) فلو أريد بما في هذه القصة غيره لضم إليه قرينة صارفة والله تعالي أعلي وأعلم.

رابعاً: نبوة الخضر عليه السلام .

اختلف العلماء في نبوة الخضر عليه السلام، فمنهم من قال: بنبوته وأنه يوحي إليه فهو ينفذ أمر الله ومنهم من قال: بأنه عبد ملهم وتصرفه كرامة من كرامات أولياء الله، وقيل بأنه ملك، وقيل رسول، والراجح انه نبي لتوافر الأدلة القوية على هذا واستدل القائلون بهذا بجملة من الأدلة.

الأدلة على نبوة الخضر عليه السلام.

ومما يدلل على نبوة الخضر قول سيدنا موسي عليه السلام "قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا" "قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا "وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا"

"قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ""قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا "الكهف٦٦/٧٠"، فلو كان ولياً وليس بنبي لم يخاطبه موسي بهذة المخاطبة، ولم يرد علي موسي هذا الرد، بل إن موسي سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه، فلو كان غير نبي لم يكن معصوماً، ولم تكن لموسي وهو نبي عظيم ورسول كريم، واجب العصمة، كبير رغبة ولا عظيم طلبه في علم ولي غير واجب العصمة، ولما عزم علي الذهاب اليه والتفتيش عليه، ولو أنه يمضي حقباً من الزمان قيل ثمانين سنة، ثم لما اجتمع به تواضع له وعظّمه واتبعه في صورة مستفيد

(١) ينظر: صحيح مسلم، (٤/ ١٨٤٩).

منه، دل هذا علي أنه نبي مثله، يوحي إليه كما يوحي إليه، وقد خُص من العلوم اللدنية، والأسرار النبوية بما لم يُطلع الله عليه موسي الكليم نبي بني اسرائيل.(١)

ومما يدلل على نبوته قول ابن حجر: وَقد دلّت قصَّة الْخضر مَعَ مُوسَى أَنه كَانَ مظْهرا على الْغَيْب، وَلَيْسَ ذَلِك لأحد من الْأَوْلِيَاء.

فمن السّنة: قَوْله صلي الله عليه وسلم" وددت أَن مُوسَى صَبر؛ حَتَّى يقص علينا من أَمرهمَا ".(٢)

فِي تمني النَّبِي – هَذَا للاطلاع على مَا يَقع بَينهمَا، دَلِيل على أَن الْخضر كَانَ موحى إِلَيْهِ، وَلَو لم يكن كَذَلِك لما جَازَ هَذَا التَّمَنِّي بِأَن ينْتَظر النَّبِي – أمرا غير موحى من إِنْسَان غير موحى إِلَيْهِ.

وتأْوِيل الْخضر – عَلَيْهِ السَّلَام – فِي قتل الْغُلَام كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث: " وَأما الْغُلَام فطبع يَوْم طبع كَافِرًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ قد عطفا عَلَيْهِ، فَلَو أَنه أدْرك أرهقهما طغيانا وَكفرا، "فأردنا أَن يبدلهما ربهما خيرا مِنْهُ زَكَاة وَأقرب رحما" (٣).

كذلك إِخْبَاره – عَلَيْهِ السَّلَام – أَن الْغُلَام طبع كَافِرًا وَأَن أَبَاهُ وَقع على أمه فَحملت وَولدت خيرا مِنْهُ لَهو من الْأُمُور الغيبية الْمَحْضَة الَّتِي لَا مجَال للاطلاع عَلَيْهَا إِلَّا من طَرِيق النُّبُوَّة وَالْوَحي، فَذَلِك من أقوى الْأَدِلَّة على أَنه كَانَ نَبيا، إِن لم يكن رَسُولا.

وَمن ذَلِك أيضاً قَول النَّبِي صلى الله عليه وسلم " لما لقى مُوسَى الْخضر عَلَيْهِمَا السَّلَام، جَاءَ طير فَألْقى منقاره فِي المَاء، فَقَالَ الْخضر لمُوسَى: تَدْرِي مَا يَقُول هَذَا الطير؟ قَالَ: وَمَا يَقُول؟ قَالَ: يَقُول: مَا علمك وَعلم مُوسَى فِي علم الله إِلَّا كَمَا أَخذ منقاري من المَاء؟ (٤)

---

(١) ينظر: القول النضر في نبوة الخضر عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة /جمع وترتيب /ايهاب عبد الله عباس، راجعه فضيلة الشيخ /أشرف عبدالدايم ـ wwwalukah.netالالوكة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب "فلما جاوزا قال لفتاه "، (٩١/٦) رقم ٤٧٢٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥٢/٣٥)، ح: ٢١١١٨.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث ابي ابن كعب رضي الله عنه (٤٠٠/٢)، (ح ٣٣٥١)، كتاب التفسير وهو حديث صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، المستدرك على

فَهَذَا صَرِيح فِي أَن الْخضر قد علم منطق الطير، وَهُوَ من الْغَيْب الَّذِي لَا يُعلمهُ الْبشر فَهُوَ فِي هَذَا على نَحْو النَّبِي سُلَيْمَان – عَلَيْهِ السَّلَام – الَّذِي حكى الله عَنهُ فِي الْقُرْآن "يَا أَيهَا النَّاس علمنَا منطق الطير" "سورة النمل ").

أيضاً حَدِيث أبي ابْن كَعْب الَّذِي ورد فِيهِ " بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلأ من بني اسرائيل إِذْ جَاءَهُ رجل، فَقَالَ: هَل تعلم أحدا أعلم مِنْك؟ قَالَ مُوسَى: لَا، فَأوحى الله إِلَى مُوسَى: بلَى، "عَبدنَا خضر".[1]

إن دلّ تَخْصِيص الله عز وَجل بِتِلْكَ الْأُمُور الغيبية بالخضر دون مُوسَى – عَلَيْهِمَا السَّلَام – مَعَ أَنه من أولي الْعَزْم من الرُّسُل فَإِنَّمَا يدل على نبوة الْخضر، وَيُؤَيِّدهُ سِيَاق هَذَا الحَدِيث حَيْثُ قَالَ الله عز وَجل"بلَى عَبدنَا خضر "وَالله تَعَالَى أعلم. [2]

وقد ذكر العلامة الشنقيطي خلاف العلماء في نبوة الخضر عليه السلام تم قال:وَمِنْ أَظْهَرِ الْأَدِلَّةِ فِي أَنَّ الرَّحْمَةَ وَالْعِلْمَ اللَّدُنِّيَّ اللَّذَيْنِ امْتَنَّ اللَّهُ بِهِمَا عَلَى عَبْدِهِ الْخَضِرِ عَنْ طَرِيقِ النُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْهُ "وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي" أَيْ وَإِنَّمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَمْرُ اللَّهِ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، إِذْ لَا طَرِيقَ تُعْرَفُ بِهَا أَوَامِرُ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ إِلَّا الْوَحْيَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَلَا سِيَّمَا قَتْلُ الْأَنْفُسِ الْبَرِيئَةِ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ، وَتَعْيِيبُ سُفُنِ النَّاسِ بِخَرْقِهَا؛ لِأَنَّ الْعُدْوَانَ عَلَى أَنْفُسِ النَّاسِ وَأَمْوَالِهِمْ لَا يَصِحُّ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ حَصَرَ تَعَالَى طُرُقَ الْإِنْذَارِ فِي الْوَحْيِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى"قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ" وَ"إِنَّمَا" صِيغَةُ حَصْرٍ، فَإِنْ قِيلَ: قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ الْإِلْهَامِ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ الْمُقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ أَنَّ الْإِلْهَامَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ لَا يَجُوزُ الِاسْتِدْلَالُ بِهِ عَلَى شَيْءٍ، لِعَدَمِ الْعِصْمَةِ، وَعَدَمِ الدَّلِيلِ عَلَى الِاسْتِدْلَالِ بِهِ، بَلْ لِوُجُودِ الدَّلِيلِ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ الِاسْتِدْلَالِ

الصحيحين أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠

(١) ينظر: صحيح البخاري (٢٦/١) حديث رقم ٧٨، باب الخروج في طلب العلم.

(٢) ينظر: الزهر النضر في حال الخضر أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) (ص: ٣٢ /٣١) ت/ صلاح مقبول أحمد، مجمع البحوث الإسلامية – جوغابائي نيودلهي –الهند، ط١ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

بِهِ، وَمَا يَزْعُمُهُ بَعْضُ الْمُتَصَوِّفَةِ مِنْ جَوَازِ الْعَمَلِ بِالْإِلْهَامِ فِي حَقِّ الْمُلْهَمِ دُونَ غَيْرِهِ.. كُلُّهُ بَاطِلٌ "..... وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الصُّوفِيَّةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْخَيْرِ وَالدِّينِ وَالصَّلَاحِ قَوْلُ الشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ الْجُنَيْدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْجُنَيْدِ الْخَزَّازِ الْقَوَارِيرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:(مَذْهَبُنَا هَذَا مُقَيَّدٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)، نَقَلَهُ عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِمَّنْ تَرْجَمَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ، كَابْنِ كَثِيرٍ وَابْنِ خِلِّكَانَ وَغَيْرِهِمَا، وَلَا شَكَّ أَنَّ كَلَامَهُ الْمَذْكُورَ هُوَ الْحَقُّ فَلَا أَمْرَ وَلَا نَهْيَ إِلَّا عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ.(١)

فقصة موسى مع الخضر عليهما السلام لا حجة فيها على تجويز خروج أحد من الأولياء على الشريعة المحمدية لأن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام عامة ورسالة موسى عليه السلام خاصة ببني إسرائيل، ولم يكن مبعوثا إلى الخضر عليه السلام ولا كان على الخضر عليه السلام اتباعه، وأيضا فإن ما فعله الخضر عليه السلام لم يكن مخالفا لشريعة موسى عليه السلام، ولهذا لما بين له الخضر أسباب ما فعل وافقه موسى عليه السلام على ذلك. (٢)

ويري الإمام البيضاوي وأبو السعود وأبو حيان: هي الوحي والنبوة. (٣)

ويقول الإمام الفخر الرازي: ورجح الإمام القرطبي نبوته فقال: وَالْخَضِرُ نَبِيٌّ عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَقِيلَ: هُوَ عَبْدٌ صَالِحٌ غَيْرُ نَبِيٍّ وَقِيلَ: كَانَ مَلَكًا أَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَأْخُذَ عَنْهُ

---

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) (٣/ ٣٢٣)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م بتصرف يسير.

(٢) ينظر: الوعد الأخروي شروطه وموانعه د/ عيسى بن عبد الله السعدي (٢/٨٩٠)، دارعالم الفوائد.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٥/ ٢٣٤) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، البحر المحيط في التفسير أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين= =الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، (٧/ ٢٠٤)، ت/ صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ، تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين أبو سعيد عبد الله تبن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، (٣/ ٢٨٧)، ت/ محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

مِمَّا حَمَلَهُ مِنْ عِلْمِ الْبَاطِنِ وَالْآيَةُ تَشْهَدُ بِنُبُوَّتِهِ لِأَنَّ بَوَاطِنَ أَفْعَالِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِوَحْيٍ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَعَلَّمُ وَلَا يَتَّبِعُ إِلَّا مَنْ فَوْقَهُ، وَلَيْسَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَوْقَ النَّبِيِّ مَنْ لَيس بنبي، وَالْأَوَّلُ الصَّحِيحُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.(١)

والإمام الألوسي عند تفسيره لقوله" فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا"قد رجح نبوة الخضر عليه السلام وذكر ثلاثة أقوال وأشار إلي تضعيفها ثم قال: والجمهور على أنها الوحي والنبوة وقد أطلقت على ذلك في مواضع من القرآن... والمنصور ما عليه الجمهور، وشواهده من الآيات والأخبار كثيرة وبمجموعها يكاد يحصل اليقين.(٢)

وقال ابن كثير: وَفِيهِ دَلَالَةٌ لِمَنْ قَالَ بِنُبُوَّةِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ "فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَآ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ ".(٣)

وورد في السنة ما يدل على نبوته في قوله صلى الله عليه وسلم: "بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: لا، فأوحى الله إلى موسى: بلى عبدنا الخضر.." الحديث. (٤)

فسياق الحديث يوضح أن الله تعالي قد خص الخضر بتلك الأمور الغيبية دون موسي عليهما السلام مع أن موسي عليه السلام من أولي العزم من الرسل وفي هذا دلالة على نبوة الخضر عليه السلام.

حياة الخضر عليه السلام: أما عن الخضر هل هو حي أم لا؟ هذا وقع فيه اختلاف بين العلماء .

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ١٦).

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، (٨/ ٣٠٢)، ت/ علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

(٣) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، (٢/ ٤٣٢)، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط٧ ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م.

(٤) ينظر: صحيح البخاري (١٢٦/٤)، صحيح مسلم (١٨٥٢/٤).

القول الأول: وهو أن الخضر قد مات قبل بعثة الرسول صلي الله عليه وسلم واستدلوا بما يلي:

يقول ابن الجوزي: وَقَدْ أَغْرَى خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَهْوُسِينَ بِأَنَّ الْخَضِرَ حَيٌّ إِلَى الْيَوْمِ وَرَوَوْا أَنَّهُ الْتَقَى بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَبِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَنَّ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الصَّالِحِينَ رَأَوْهُ، وَصَنَّفَ بَعْضُ مَنْ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَلَمْ يَعْرِفْ عِلَلَهُ كِتَابًا جَمَعَ فِيهِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَسْأَلْ عَنْ أَسَانِيدَ مَا نَقَلَ، وَانْتَشَرَ الأَمْرُ إِلَى أَنَّ جَمَاعَةً من المتصنعين بالزهد يَقُولُونَ رَأَيْنَاهُ وَكَلَّمْنَاهُ فَوَاعَجَبًا أَلَهُمْ فِيهِ عَلامَةٌ يَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ وَهَلْ يَجُوزُ لِعَاقِلٍ أَنْ يَلْقَى شَخْصًا فَيَقُولُ لَهُ الشَّخْص أَنا الْخضر فيصدقه.(١)

وقد أجمع المحققون من العلماء كالإمام البخاري والإمام إبراهيم الحربي والقاضي ابن العربي وابن القيم والحافظ ابن حجر وغيرهم كثير أجمعوا على أن الخضر عليه الصلاة والسلام قد مات منذ أمد بعيد، وأما ما يروى في بقاء الخضر من الروايات فيقول الإمام ابن القيم: "والأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد.(٢)

وحديث بن عباس رضي الله عنهما "ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه" (٣)، ولم يأت في خبر صحيح أنه جاء إلى

---

(١) ينظر: الموضوعات جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، (١٩٦/١) تقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط١، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م.

(٢) ينظر: منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو بكر بن أبي طاهر الأزدي السلماسي (المتوفى: ٥٥٠هـ)، (ص ٢٢)، المحقق: محمود بن عبد الرحمن قدح، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١ ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، المنار المنيف في الصحيح والضعيف محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، (٦٧/١)، المحقق/ عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية . حلب، ط١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

(٣) ينظر: سنن أبي داود ت الأرنؤوط، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، باب قيام الساعة، (٦/ ٤٠٣) ت: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

النبي صلى الله عليه وسلم ولا قاتل معه وقد قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر" اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض".(١)

فلو كان الخضر موجودا لم يصح هذا النفي وقال صلى الله عليه وسلم "رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما" فلو كان الخضر موجودا لما حسن هذا التمني ولأحضره بين يديه وأراه العجائب وكان أدعى لإيمان الكفرة لا سيما أهل الكتاب.(٢)

وقوله – صلى الله عليه وسلم – عن الساعة أن سيدنا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ: "تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ؟، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ.(٣)

---

(١) ينظر: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلم ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ، (١٣٨٣/٣)، (حديث١٧٦٢)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، السنن الكبرى أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، كِتَابُ السِّيَرِ، الصَّلَاةُ عِنْدَ الِالْتِقَاءِ، (٢٨/٨)، (حديث٨٥٧/٤)، كِتَابُ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، الِاسْتِنْصَارُ عِنْدَ اللِّقَاءِ، (٢٢٤/٩)، (ح١٠٣٦٧)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٦/ ٤٣٤) كتاب العلم، باب السمر في العلم، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيبت، والحديث اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب احاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسي عليهما السلام عن أبي ابن كعب رضي الله عنه (١٥٤/٤)، (حديث ٣٣٤٠١) تحقيق محمد زهير ناصر، طبعة دار طوق النجاة، الطبعة الاولي ١٤٢٢هـ، واخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل ، باب من فضائل الخضر عليه السلام (١٨٤٧/٤)، (حديث ٣٢٨٠) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي ـ بيروت،، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، (٦/ ٨٨)، حديث رقم (٤٧٢٥)، كتاب تفسير القرآن، بَابُ{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا}[الكهف: ٦٠].

(٣) ينظر: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ـ صحيح مسلم (١٩٦٦/٤) كتاب

فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ الصِّحَاحُ تَقْطَعُ دَابِرَ دَعْوَى حَيَاةِ الْخَضِرِ فَالْخَضِرُ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَدْرَكَ زَمَانَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا هُوَ الْمَظْنُونُ الَّذِي يَتَرَقَّى فِي الْقُوَّةِ إِلَى الْقَطْعِ فَلَا إِشْكَالَ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَدْرَكَ زَمَانَهُ فَهَذَا الْحَدِيثُ يَقْتَضِي أنه لم يعش بعد مِائَةَ سَنَةٍ فَيَكُونُ الْآنَ مَفْقُودًا لَا مَوْجُودًا لِأَنَّهُ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْعُمُومِ وَالْأَصْلُ عَدَمُ الْمُخَصَّصِ لَهُ حَتَّى يَثْبُتَ بِدَلِيلٍ صَحِيح يَجِبُ قَبُولُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.(١)

وقال ابن حجر في الزهر النضر: ولَا يخفى على طَالب الحَدِيث الَّذِي لَهُ أدنى إِلْمَام بقواعد نقد الحَدِيث أَن الْأَحَادِيث المرفوعة والموقوفة فِي اسْتِمْرَار حَيَاة الْخضر، وَكَذَلِكَ الْأَخْبَار والحكايات الْوَارِدَة بِهَذَا الصدد، واهية الصُّدُور والإعجاز لَا تقوم بِمِثْلِهَا حجَّة، كَمَا هُوَ مُقَرر فِي قَوَاعِد النَّقْد والتمحيص والبحث والدراسة، وسيتضح على القاريء الْكَرِيم من مطالعة هَذَا الْكتاب زيف هَذِه الرِّوَايَات فِي ضوء دراسة أسانيدها وفحص متونها إِن شَاءَ الله. (٢)

وكما رجح آخرون من المحدثين وغيرهم موت الخضر عليه السلام واحتجوا بقوله"وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد""الأنبياء:٣٤"، وبقول النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر "اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض"، ولم ينقل أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حضر عنده، ولا قاتل معه، ولو كان حيا لكان من أتباع

فضائل الصحابة، باب قوله – صلى الله عليه وسلم "لا تأتي مائة سنة، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) ينظر: البداية والنهاية أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (٣٣٦/١) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، وهذا نقله ابن كثير في البداية والنهاية عن ابن الجوزي وأصل كلامه في كتابه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر وهو غير مطبوع، ينظر: منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين أحمد بن علي الزاملي عسيري، (ص: ٤١٠)، إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.

(٣) ينظر: الزهر النضر في حال الخضر لابن حجر (ص: ٣٥)

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأنه عليه السلام كان مبعوثا إلى جميع الثقلين الجن والإنس، وقد قال صلي الله عليه وسلم:"لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي[١]، وأخبر صلي الله عليه وسلم قبل موته بقليل: أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف، إلى غير ذلك من الدلائل[٢].

وقال الحافظ ابن حجر: وَأقوى الْأَدِلَّة على عدم بَقَائِهِ عدم مَجِيئه إِلَى رَسُول الله، وانفراده بالتعمير من بَين أهل الْأَعْصَار الْمُتَقَدّمَة بِغَيْر دَلِيل شَرْعِي. [٣]

وبمجموع هذه الأدلة فإن الراجح –والله أعلم– موت الخضر عليه السلام.

القول الثاني: وذهبت طائفة من العلماء إلى أن الخضر عليه السلام حي، وهو من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن أبرز القائلين بذلك: الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم، والقرطبي في تفسيره، وابن الصلاح الشهرزوري في فتاواه... ثم ساق بعض الأدلة التي ذكروها للدلالة علي حياة الخضر وعقب قائلاً " والروايات التي استدل بها القائلون بحياة الخضر عليه السلام لا يتوفر فيها شرط الصحة –فضلًا عن الثبوت القطعي– إلى رسول الله صلى الله عليه. [٤]

المطلب الرابع
دلالة السياق وأثرها في قصة موسي والخضر عليهما السلام

إن المهمة الكبرى للسياق هي منع تعدد المعاني بحيث يشكل العامل الحاسم الذي يحدد معنى اللفظ فالسياق محور رئيسي من محاور علم الدلالة، وهو ثمرة من ثمرات

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٢)،. أخرجه الامام أحمد مسنده (٣٤٩/٢٣)، (حديث رقم ١٥١٥٦)، وأخرجه البيهقي في شعب الايمان (٣٤٧/١) حديث (١٧٤ ـ ١٧٥) طبعة مكتبة الرشد ـ الرياض، ط١ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) (١٨٧/٥)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩.

(٣) ينظر: الزهر النضر في حال الخضر لابن حجر (ص ١٦٢).

(٤) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي مصطفى مسلم (ص ٢٩٤).

اللسانيات، وللسّياق أهمية كبيرة في تحديد دلالة الكلام، ومعرفة مُراد المتكلم؛حيث يختلف معنى اللفظ ذاته من موضع لآخر ومن جملةٍ لأخرى، والذي يغيّر هذا المعنى من نصٍّ لآخر أو جملة لأخرى هو السّياق إذ لا يمكن بحال نزع الكلمات أو الآيات من سياقها ثم تفسيرها، فالسياق يمثل روح المعنى للآية ومن خلاله يمكن التعرف على معاني الآيات والمناسبة بينها ومقاصدها بل والتحقق من أسباب نزولها وترجيح مقصود بعضها على البعض الآخر.

يقول صاحب كتاب دلالة السياق: أما السياق القرآني فإننا نقصد به أمرين:

الأول ـ الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن، إلى جانب النظم الإعجازي، والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته.

الثاني ـ الآيات والمواضع التي تتشابه في موضوعها، مع اختلاف يسير في طريقة سردها وترتيب كلماتها لمناسبة المقام، ولحكمة بلاغية تتصل بأغراض السور.[1]

السياق في اللغة من الثلاثي "سَوُقَ"

تكاد تتفق المعاجم العربية كلها علي أن السياق في اللغة مأخوذ من الثلاثي سَوُقَ السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء يُقَالُ:سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا، وَالسَّيِّقَةُ: مَا اسْتِيقَ مِنَ الدَّوَابِّ وَيُقَالُ سُقْتُ إِلَى امْرَأَتِي صَدَاقَهَا وَأَسَقْتُهُ، وَالسُّوقُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذَا لِمَا يُسَاقُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْجَمْعُ أَسْوَاقٌ، وَالسَّاقُ لِلْإِنْسَانِ وَغَيْرُهُ، وَالْجَمْعُ سُوقٌ، إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمَاشِيَ يَنْسَاقُ عَلَيْهَا، وَيُقَالُ امْرَأَةٌ سَوْقَاءُ، وَرَجُلٌ أَسْوَقُ إِذَا كَانَ عَظِيمَ السَّاقِ.[2]

وقال الزمخشري: وتساوقت الإبل تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق و" إليك يساق الحديث "وهذا الكلام مساقة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده.[3]

---

(١) ينظر: دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، (ص٨٩)، دار عمار للنشر والتوزيع الأردن، ط1 ، ١٤٠٩هـ.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي، (٣/ ١١٧).

(٣) ينظر: أساس البلاغة أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، (١/ ٤٨٤)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

وقال الجوهري: والسياق من التتابع دون انقطاع ويقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة أي بعضهم على إثر بعض ليست بينهم جارية.... والسياق نزع الروح يقال :رأيت فلانا يسوق: أي ينزع عند الموت.(١)

وقيل السويق طعام يتخذ من قوت الحنطة والشعير سمي بذلك لانسياقه في الحلق من غير مضغ.(٢)

وقال الزبيدي:واصل السياق سواقُ قلبت الواو ياء لكسرة السين..ومن المجاز وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وكلامه مساقةُ إلي كذا وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده.(٣)

وبهذا يتبين أن هذه المادة تدور على معنى التتابع والاتصال والتسلسل، وأن استعمال العرب لهذه المادة ومشتقاتها يدور على ذلك، فسوق الإبل وتساوقها من التتابع، والتتابع اتصال لا انقطاع فيه، وساق الإنسان كذلك، والمهر، وسوق الروح، والسوق، سوق البيع والشراء، كل ذلك يدور على معنى التتابع والاتصال.

السياق في الاصطلاح.

تنوعت تعريفات العلماء حوله، ولابد أن نستعرض شيئاً من أقوالهم في ذلك ليتبين المراد.

يقول صاحب الإتقان: وعليه . أي المفسر بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام.(٤)

---

(١) ينظر: الصحاح لشهاب الدين أبو عمر الجوهري، (١١٣٨/٢)، دار الفكر . بيروت، ط١، ١٣٩٤هـ.

(٢) ينظر: دلالة السياق وآثارها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسي عليه السلام (ص١٢)، رسالة ماجستير جامعة أم القري . مكة، ٢٠٠٥م.

(٣) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضي الزبيدي (٤٧٥/٢٥)، تحقيق/جماعة من المحققين، مطبعة حكومة الكويت ١٣٨٥هـ، أساس البلاغة (١/ ٤٨٤).

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، (٤/ ٢٢٧)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

وقيل: السياق هو الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولاً عليه بلفظ المتكلم أو حاله أو أحوال الكلام أو المتكلم فيه أو السامع.(١)

وقيل: السياق القرآني هو ما يُحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه من سابقٍ أو لاحقٍ، أو حال المخَاطِب والمُخاطَب والغرض الذي سيق له والجو الذي نزل فيه.(٢)

يقول ابن دقيق العيد: أَمَّا السِّيَاقُ وَالْقَرَائِنُ فَإِنَّهَا الدَّالَّةُ عَلَى مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ كَلَامِهِ.(٣)

ويتضح مما سبق أن السياق يتألف من ثلاثة عناصر:

١. الغرض والمقصود ومراد المتكلم.

٢. تآلف الكلام وتتابعه وجريانه على اسلوب واحد.

٣. الظروف المحيطة بالنص وأحوال المخاطبين فيه.

ويمكن أن نخلص تعريف أدق للسياق وهو أن السياق ما يحيط بالنص القرآني من قرائن لفظية وحالية لها أثر في فهمه ومعرفة الغرض منه.

والمقصود بالقرائن اللفظية: القرائن النصية وهي ما احتواه النص من التغيير والتركيب والارتباط بين الآيات ونحوها، والمقصود بالقرائن الحالية: الاسباب والأحوال التي نزلت الآية فيها.

أهمية السياق في قصة موسي والخضر عليهما السلام.

---

(١) ينظر: دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسي عليه السلام / فهد بن شتوي بن عبد المعين، (ص ٢٦)، رسالة ماجستير، جامعة أم القري ـ مكة المكرمة ـ كلية الدعوة وأصول الدين.

(٢) ينظر: السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة "دراسة نظرية تطبيقية " د/سعد ابن محمد بن سعد الشهراني (ص٢٩)، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ط١، ١٤٣٦هـ جامعة الملك سعود ـ الرياض.

(٣) ينظر: إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام المؤلف: ابن دقيق العيد (٢١/٢)، مطبعة السنة المحمدية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].

لقد اعتبر المفسرون السياق القرآني عموما هو اللَّبِنة الأساسية في قواعد التفسير؛ ولذلك نص الامام الطبري أن تفسيره للقرآن كان سائراً على النهج المعتبر للسياق فقال: فإنما اخترنا ما اخترنا من التأويل طلب اتساق الكلام على نظام في المعنى.(١)

يقول الشيخ ابن دقيق العيد: أَمَّا السِّيَاقُ وَالْقَرَائِنُ فَإِنَّهَا الدَّالَّةُ عَلَى مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ كَلَامِهِ، وَهِيَ الْمُرْشِدَةُ إلَى بَيَانِ الْمُجْمَلَاتِ، وَتَعْيِينِ الْمُحْتَمَلَاتِ. (٢)

وقد تناول المفسرون السياق من جوانب عدة سياق القرآن عموماً، وسياق السورة، وسياق المقطع، كما رجّحوا به بين الأوجه المحتملة في تعيين المعنى المراد من اللفظ المشترك، وترجيح القراءات به، فطبيعة القصص القرآني المعجز وما له من خصوصية تمثل في الحذف تقتضي عدم الوقوف على كل التفاصيل، إذ إنها تركز على الخطوط البارزة للقصة، وتدع ما هو ثانوي للمتلقي ليحاول إدراكه من خلال السياق وتعاقب أحداث القصة، وفي هذا تفاعل واستمرارية بين النص والمتلقي، فقد تعددت أنواع السياق القرآني فهناك سياق السورة الذي يشكل وحدة عضوية متكاملة متتامة، وسياق المقطع الذي يشكل محورا رئيسيا من محاور سياق السورة،

وسياق الآية الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بسياق المقطع، حيث يشكل سياق الآية لبنة في بناء سياق المقطع وتتحد مباني الآيات حول معاني مقطعها، ويشكل المقطع عضوا أساسيا في جسم السورة، حيث تدور جميع المقاطع حول تلك السورة الواحدة، ألا وهو موضوعها الذي سيقت المعاني والموضوعات لأجله.(٣)

وطريقة عرض الاحداث في قصة موسي والخضر تقوم على تقديم مشاهد بينها فجوات مسكوت عنها ولأن القصة القرآنية تعمد الي اختيار المواقف والمشاهد والفترات التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالموضوع وتحقق المقاصد التي من أجلها سيقت تلك القصة القرآنية فمنهج القصة القرآنية في هذا الجانب أن يختار لقطات حية من الوقائع التاريخية ولا يثقلها بما هو تافه من الجزئيات والتفاصيل التي تصرف الفكر عن التدبر والاعتبار

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (٢/ ٤٨٠).

(٢) ينظر: إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام ابن دقيق العيد (٢/ ٢١).

(٣) ينظر: نظرية السياق القرآني عبد الفتاح محمود المثنى (ص٧٧)، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، الطبعة الاولي، ٢٠٠٨م.

كما يختار الرسام للمشاهد من الأشكال والالوان ما يحقق له الانسجام والاّ فحسبة الصورة الفوتوغرافية الآلية. (١)

فقد اكتفت القصة القرآنية بتقديم المشاهد التي تثري القصة موضوعياً وفنياً وأما الفجوات المتروكة فيعرف ما فيها من السياق العام للقصة. (٢)

فنجد عناية القصص القرآني بإبراز الأحداث ذات الصلة بموضوع القصة دون الالتفات الي الجزئيات التي يشير اليها واقع الحال وتدل عليها دلالات ما بعدها وما قبلها وهذا يُعد عنصر من عناصر القوة في القصص القرآني. (٣)

فنجد في مطلع قصة موسي عليه السلام تصميم موسي عليه السلام علي تحمل كل المشاق في سبيل طَلِبَته التي لا نعلم ما هي قبل لقائه للخضر، وفجأة نجده مع فتاه عند مجمع البحرين دون أن نعرف الطريق الذي سلكاه ولا الزمان الذي اختاراه لهذة الرحلة الغريبة ولا شيئاً عمّا لقياه أثناء ذلك وهكذا تمضي التجربة مع الخضر وثباً علي رؤوس الأحداث لا تشير الي الفواصل بين أحدها والآخر إلا بكلمة"فَانْطَلَقَا".(٤)

ويظهر دور السياق في الوقوف على المعاني في قصة موسي والخضر عليهما السلام في آيات عدة منها :

قوله تعالي"قال له موسى" استئناف مبني على سؤال نشأ من السياق كأنه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى"هل أتبعك على أن تعلمن" استئذانا منه في اتباعه له على وجه التعلم.(٥)

وقوله تعالي "قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا" ثم قال بعدها مباشرة "فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ" فبين هاتين المرحلتين محذوفات

(١) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن /د التهامي نقرة، (ص٨٧)، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٤م.

(٢) ينظر: جماليات الترابط في قصص سورة الكهف (٢٥ص)، بحث للدكتور /علي بن محمد الحمودي استاذ مشارك في كلية اللغة العربية ـ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

(٣) ينظر: القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور لعبد الكريم الخطيب، (ص٥٦)، مؤسسة دار الأصالة، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

(٤) ينظر: نظرات تحليلية في القصة القرآنية محمد المجذوب، (ص٩١)، دار الشوق ـ الرياض ط٥.

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود (٥/ ٢٣٤).

تقديرها أي :فقبل موسى عليه السلام هذا الشرط، ثم اتبع الرجل الصالح"فانطلقا" لكن هذه الجملة المحذوفة يمكن للمتلقي إدراكها من خلال تعاقب الأحداث في سياق القصة فلا شك أن السياق له أهمية في ملء هذه الفراغات، وهذا السياق من بين أنماط الكفاءة التي يجب أن تتوافر لدى المتلقي للنص.

وقوله تعالى"فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ " أي: فعلم أن هناك ملكا جبارا يأخذ كل سفينة غصبا فخرقها، فلم تستطع السير في البحر فتركها أهلها ونجوا من هذا الملك، وهذه كلها أمور أو أحداث ثانوية بالنسبة للحدث الرئيسي، وهو إحداث الخرق في السفينة، وهذه المكملات المحذوفة من وظيفة المتلقي معرفتها حتى تكتمل صور النص الدلالية في ذهنه.(١)

يقول الطاهر بن عاشور: أي فعقب تلك المحاورة أنهما انطلقا والانطلاق الذهاب والمشي مشتق من الإطلاق وهو ضد التقييد لأن الدابة إذا حل عقالها مشت، فأصله مطاوع أطلقه و"حتط غاية للانطلاق أي إلى أن ركبا في السفينة وقيل"حتى"ابتدائية وفي الكلام إيجاز دل عليه"إذا ركبا في السفينة" أصل الكلام حتى استأجرا سفينة فركباها فلما ركبا في السفينة خرقها.(٢)

وكما يظهر أهمية السياق في قوله تعالي "يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا" فإن قال قائل: فما أغنى خَرْق هذا العالم السفينة التي ركبها عن أهلها، إذ كان من أجل خرقها يأخذ السفن كلها، مَعِيبها وغير معيبها، وما كان وجه اعتلاله في خرقها بأنه خرقها، لأن وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا؟ قيل: إن معنى ذلك أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا، ويدع منها كلّ معيبة، لا أنه كان يأخذ صحاحها وغير صحاحها فإن قال: وما الدليل على أن ذلك كذلك؟ قيل: قوله"فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا" فأبان بذلك أنه إنما عابها لأن المعيبة منها لا يعرض لها فاكتفى بذلك من أن يقال "وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا" على أن ذلك في بعض القراءات كذلك، وهذا التقدير للمحذوف يلتحم فيه

(١) ينظر: بنية النص في سورة الكهف مقاربة نصية للاتساق والسياق، اعداد / شعيب حمودي، (ص ١٠٠)، رسالة ماجستير كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري ــ قسنطينة . الجزائر ٢٠٠٩/٢٠١٠م.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٧٤).

قول الخضر عليه السلام وقصده مع فعله وتعليله ولو لم تقدر "صالحة " أو "صحيحة" لما تلائم الكلام مع الفعل منه . عليه السلام . ولكان خرق السفينة إضاعة لمال المسلمين.[١]

يقول فضيلة الشيخ الشعراوي في قوله تعالي "وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً" كلمة "كل" ترسم سُوراً كُلياً لا يترك شيئاً، فالمراد يأخْذ كل سفينة سواء أكانت معيبة أم غير معيبة، لكن الحقيقة أنه يأخذ السفينة الصالحة للاستعمال فقط، ولا حاجةَ له في المعيبة الغير صالحة، وكأن في سياق الآية صفة مُقدَّرة: أي يأخذ كل سفينة صالحة غَصْباً من صاحبها، وكلمة "وَرَآءَهُم" هنا بمعنى أمامهم؛ لأن هذا الظالم كان يترصَّد للسفن التي تمر عليه فما وجدها صالحة غصبها فهو في الحقيقة أمامهم، على حَدِّ قوله تعالى "مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ ويسقى مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ"إبراهيم:" ١٦" وهل جهنم وراءه أم أمامه؟

وتستعمل وراء بمعنى: "بَعْد" كما في قوله تعالى"فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ" "هود: ٧١" وتأتي وراء بمعنى: "غير" كما في قوله تعالى في صفات المؤمنين"والذين هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ على أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابتغى وَرَآءَ ذلك فأولئك هُمُ العادون" "المؤمنون: ٥ / ٧"

وفي قوله تعالى "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ" إلى "وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذلكم" "النساء: ٢٤/٢٣"

وقد تستعمل وراء بمعنى "خلف" كما في قوله تعالى "وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ الذين أُوتُواْ الكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ" "آل عمران: ١٨٧"

إذن: كلمة "وَرَاءَ" جاءتْ في القرآن على أربعة معَانٍ: أمام . خلف . بعد . غير، وهذا مما يُميِّز العربية عن غيرها من اللغات، والملَكة العربية قادرة على أن تُميّز المعنى المناسب للسياق فكلمة العَيْن مثلاً تأتي بمعنى العين الباصرة أو عين الماء، أو بمعنى الذهب والفضة، وبمعنى الجاسوس، والسياق هو الذي يُحدد المعنى المراد.[٢]

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل للطبري، (١٨/ ٨٤).

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي – الخواطر للشيخ محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، (٨٩٦٧/١٤)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل، المطبوع، أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧م

ولقد تحددت في اللغة دلالة الظروف زمانا كان أو مكانا، إلا أن السياق في قوله تعالى "وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا" قد اتخذ دلالة سياقية جديدة، فقد يسأل سائل ما الحكمة من خرق السفينة إذا كان الملك الجبار المغتصب للسفن الصالحة "وراءهم" أي تعدوه وابتعدوا عنه؟ ولكن كلمة "وراءهم" لا تعني فقط الظرف خلف كما يتوقع فيمكن أنه لازال يتبعهم وأمثالهم بجنده في كل مكان فقد ملك عليهم الأنحاء كلها، ومن التفاسير أن "وراءهم "تعني أمامهم فمن كان وراءك قد يدعمك ويساندك وقد يؤذيك، وهذه دلالة انزياحية توجه إليها النص والسياق.(١)

وقد ظهرت أهمية دلالة السياق أيضاً في قصة موسي والخضر عليهما السلام من خلال ما ورد في السنة النبوية الشريفة وفيه قول النبي صلي الله عليه وسلم كما جاء في صحيح البخاري" فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَلَهُمَا عَجَبًا".(٢)

ووجه ذلك: أن الله قال في سورة الكهف في الموضع الأول عن الحوت الذي حمله موسى عليه السلام وفتاه"فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا""الكهف ٦١"وقال في الموضع الثاني" قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا""الكهف ٦٣" فالقصة واحدة، ولكن الوصف لذلك الحوت اختلف، ففي الأولى كان"سَرَبًا" وهو وصف للحوت الذي انسلّ ودخل البحر، وفي الثانية "عَجَبًا" لأنه بيان لحال موسى وفتاه عليهما السلام والذي بين ذلك هو السياق.(٣)

---

(١) ينظر: دراسة أسلوبية في سورة الكهف، "مروان محمد سعيد عبد الرحمن، (ص٧٩)، إشراف /أ. د/ خليل عودة، قُدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ٢٠٠٦م.

(٢) ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (٤/ ١٥٥)، باب حديث الخضر مع موسي عليهما السلام، كتاب أحاديث الأنبياء.

(٣) ينظر: دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في توجيه قصة موسى عليه السلام (ص ٥١).

وقد ورد الفعل"جاوَزا "في القرآن الكريم دالاً علي طول مدّة السير، والسياق القرآني دل علي ذلك ففي قصة موسي والخضر عليهما السلام ورد"جاوَزا "في قوله تعالي"وإِذْ قَالَ مُوسى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً فَلَمَّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذَا نَصَباً قالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَما أَنْسانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبا""الكهف ٦٠" "ففي الآية الكريمة عدّة قرائن دلت علي المبالغة في قطع المسافة ومنها القرينة اللفظية في قوله "أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً"ويروي أن الحقب زمن طويل نحو الثمانين سنة(١) ومعني هذا أن موسي سار زمناً طويلاً.

وحذف ذكر الغرض الذي سار لأجله موسى- عليه السلام- لأنه سيذكر بعد وهو حذف إيجاز وتشويق له موقع عظيم في حكاية القصة لإخراجها عن مطروق القصص إلى أسلوب بديع الحكم والأمثال قضاء لحق بلاغة الإعجاز. (٢)

يقول الإمام الرازي: وَحَاصِلُ الْكَلَامِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ أَعْلَمَ مُوسَى حَالَ هَذَا الْعَالِمِ، وَمَا أَعْلَمَهُ مَوْضِعَهُ بِعَيْنِهِ، فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا أَزَالُ أَمْضِي حَتَّى يَجْتَمِعَ الْبَحْرَانِ فَيَصِيرَا بَحْرًا وَاحِدًا أَوْ أَمْضِي دَهْرًا طَوِيلًا حَتَّى أَجِدَ هَذَا الْعَالِمَ، وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنْ مُوسَى بِأَنَّهُ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى تَحَمُّلِ التَّعَبِ الشَّدِيدِ وَالْعَنَاءِ الْعَظِيمِ فِي السَّفَرِ لِأَجْلِ طَلَبِ الْعِلْمِ.(٣)

ومنها القرينة اللفظية في قوله "نَصَباً"إذ يدل النصب علي التعب والمشقة والتعب والمشقة لا يكونان إلاّ بعد بذل جهد عظيم، فالسير الطويل الذي بذله موسي عليه السلام

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوي (٢٥٥/١٥)، التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٣٠/ ٣٦).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦١)

(٣) ينظر: التفسير الكبيرللرازي (٢١/ ٤٧٩)، اللباب في علوم الكتاب أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، (٥٢٣/١٢)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

وفتاه واضح من السياق فقد روي أنهما سارا أربعين يوماً لم يحتاجا الي طعام الإّ أنّ مسّهما التعب (١)، وقيل قد سار ليلة وجزءاً من النهار بعد أن جاوز الصخرة وهو السبب في النصب الذي أصيبا به. (٢)

ومن القرائن الدالة علي طول مدة السير أن موسي عليه السلام أوي الي الصخرة أي نام عندها لكثرة ما أصابه من عناء السفر فسار الحوت في البحر، بينما كان موسى نائما فهذة دلائل سياقية واضحة علي المبالغة في المجاوزة، وكذلك لِتَمهيدِ العُذرِ؛ فإنَّ الإواءَ إليها والنَّومَ عِندَها ممَّا يُؤدِّي إلى النِّسيانِ عادةً.(٣)

وفي قوله" مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ"قيل: هما مجاز عن موسى والخضر عليهما السلام لأنهما بحرا علم، والمراد بملتقاهما مكان يتفق فيه اجتماعهما، وهو تأويل صوفي والسياق ينبو عنه.(٤)

وقوله تعالي"فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا""الكهف:"٧٤"ولا يتصور أنهم لقوا الغلام في البحر، ولكن المقصود أنهم تجاوزوا البحر، ودخلوا مدينة على شاطئ البحر، وقد مر معنا كثير مثله، وسميناه إيجاز حذف وقلنا: إن القرآن فيه مساواة وفيه إطناب وفيه إيجاز، وكل ما يقتضيه السياق جاء في القرآن على أحد هذه الأنماط الثلاثة: الإيجاز أو الإطناب أو المساواة.(٥)

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الاندلسي (ت ٥٤٦هـ)، (٥٢٩/٣)، تحقيق / عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

(٢) ينظر صفوة التفاسير محمد علي الصابوني، (٢/ ١٨٢) دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٧، ١٩٩٧ م

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، (١/ ٤٧٠)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ، البحر المديد أحمد بن محمد الادريسي الشاذلي (ت ١٢٢٤هـ)، (٢٥٣/٤)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٤) ينظر: روح المعاني للالوسي، (٨/ ٢٩٤).

(٥) ينظر: سلسلة محاسن التأويل – المغامسي (٤٨/ ٣)، بترقيم الشاملة آليا).

كما أن السياق له دور في ترجيح بعض الأقوال على بعض كما جاء في قوله تعالي "واتخذ سبيله في البحر عجبا" وعلى هذا تكون جملة "واتخذ سبيله في البحر عجبا" من بقية كلام يوشع للتعجب مما حدث من الحوت، حيث عادت إليه الحياة بقدرة الله- تعالى- ، واتخذ طريقه في البحر بتلك الصورة العجيبة.

وقيل: إن هذه الجملة من كلام الله- تعالى- لبيان طرف آخر من أمر هذا الحوت العجيب بعد بيان أمره قبل ذلك بأنه اتخذ سبيله في البحر سربا.

ويبدو لنا أن الرأي الأول أرجح، لأن سياق الآية يدل عليه، لذا اكتفى به بعض المفسرين دون أن يشير إلى غيره.(١)

يقول الإمام القرطبي "فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما""الكهف٨٠" قِيلَ: هُوَ مِنْ كَلَامِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الَّذِي يَشْهَدُ لَهُ سِيَاقُ الْكَلَامِ، وَهُوَ قَوْلُ كَثِيرٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، أَيْ خِفْنَا أي خفنا أن يرهقهما طغيانا وكفرا. (٢)

وقوله تعالي" وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ""الكهف٨٢"، ومعنى الآية: أن هذا الجدار إنما أصلحه لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما، قال عكرمة وقتادة، وغير واحد: كان تحته مال مدفون لهما وهذا ظاهر السياق من الآية، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله.(٣)

يقول مولانا فضيلة الشيخ الشعراوي في قوله تعالي "وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا.""الكهف: ٨٢" فقوله"لِغُلَامَيْنِ" أي: لم يبلغا سِنَّ الرشْد وفوق ذلك هما يتيمان... فعلَّة إصلاح الجدار ما كان تحته من مال يجب أنْ يحفظ لحين أنْ يكبُرَ هذان الغلامان ويتمكنا من حفظه وحمايته في قرية من اللئام..... ويقال:

(١) ينظر: التفسير الوسيط للاستاذ الدكتور طنطاوي (٨/ ٥٥٠).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١١/ ٣٦).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ال متوفى٧٧٤هـ)، (٥/١٨٥)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

إنه بنَاهُ بناءً موقوتاً يتناسب وعُمْرَ الغلامين، وكأنه بناه على عمر افتراضي ينتهي ببلوغ الغلامين سِنَّ الرشْد والقدرة على حماية الكنز فينهار، وهذه في الواقع عملية دقيقة لا يقدر على حسابها إلا مَنْ أُوتِي علماً خاصاً من الله تعالى.

ويبدو من سياق الآية أنهما كانا في سِنٍّ واحدة توأمين لقوله تعالى"فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا" أي: سوياً"الكهف: ٨٢".[١]

ويظهر دور السياق في الوقوف علي المراد بموسي في القصة فقد قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ: إِنَّ مُوسَى هَذَا الَّذِي رَحَلَ إِلَى الْخَضِرِ هُوَ مُوسَى بْنُ منسا بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، وَتَابَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ مَنْ يَأْخُذُ مِنْ صُحُفِهِمْ وَيَنْقُلُ عَنْ كُتُبِهِمْ مِنْهُمْ نَوْفُ بْنُ فَضَالَةَ الْحِمْيَرِيُّ الشَّامِيُّ الْبِكَالِيُّ، وَيُقَالُ إِنَّهُ دِمَشْقِيٌّ، وَكَانَتْ أُمُّهُ زَوْجَةَ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، وَالصَّحِيحُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ سِيَاقِ الْقُرْآنِ وَنَصُّ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الصَّرِيحِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: أَنَّهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ صَاحِبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ.[٢]

ومن خلال السياقات السابقة، يظهر لنا ترابط السورة دلاليا، سواء ترابطها الكلي الشامل من أول السورة إلى نهايتها، كما هو واضح في سياق السورة، أو ترابط وانسجام بعض الأجزاء من السورة، كما في سياق قصة موسي والخضر عليهما السلام.

فأهمية السياق تتجلي في أمور كثيرة أبرزها معرفة المراد من الآيات، والترجيح بين أقوال المفسرين عند الاختلاف، ومعرفة أوجه التناسب بين السور والآيات، وتوجيه المتشابه اللفظي كما أنه يساعد في دفع موهم الاختلاف والتناقض عن آي القرآن الكريم.

---

(١) ينظر: تفسيرالشيخ الشعراوي (١٤/ ٨٩٧٣).

(٢) ينظر: قصص الأنبياء (٢/ ١٤١)، البداية والنهاية أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، (١/ ٣٤٤)، المحقق: على شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١ ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.

المطلب الخامس

مناسبة ورودها في سورة الكهف دون غيرها من السورالقرآنية

إعلم أن وجود القصة في سورة واحدة لـه أسباب وحكم قد نعلم بعضـها، وقد نجهل البعض الاخر، إذ يظل العلم البشري قاصراً عن الاحاطة بقدرة الخالق عز وجل.

ومـن المعلـوم أن قصـة موسـى والخضـر عليهمـا السـلام تتعلـق بالهـدف الأساسـي لسورة الكهف من حيث الاستنكار على اليهود الذي زودوا وفد قريش بأسئلة تعجيزيـة ليتثبتوا –حسب زعمهم– من صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به، فسيقت لهم هذه الحادثة أن هذا المنهج ليس فهمًا صحيحًا في التثبيت من صدق النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا موسى عليه السلام من أعظم أنبياء بني إسرائيل وأكرمهم على الله تعالى، قد جهل ثلاث مسائل واحتاج إلى من يعلمه إياها، ولم يؤثر ذلك في مكانته العظيمة وفضله وسبقه وكونه من أولي العزم من الرسل، ووجود القصة في سورة الكهف تعتبر فريدة من وجه لأنها تتعلق بالسيرة الذاتية لموسى عليه السلام وبمداركه العلمية وتلمذته على الرجل الصالح الذي علمه ربه من لدنه علمًا.[1]

يقول الامام الرازي: اعْلَمْ أَنَّ هَذَا ابْتِدَاءُ قِصَّةٍ ثَالِثَةٍ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَهِيَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَهَبَ إِلَى الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ الْعِلْمَ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ كَلَامًا مُسْتَقِلًّا فِي نَفْسِهِ إِلَّا أَنَّهُ يُعِينُ عَلَى مَا هُوَ الْمَقْصُودُ فِي الْقِصَّتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ، أَمَّا نَفْعُ هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْكُفَّارِ الَّذِينَ افْتَخَرُوا عَلَى فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْصَارِ، فَهُوَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ كَثْرَةِ عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ وَعُلُوِّ مَنْصِبِهِ وَاسْتِجْمَاعِ مُوجِبَاتِ الشَّرَفِ التَّامِّ فِي حَقِّهِ ذَهَبَ إِلَى الْخَضِرِ لِطَلَبِ الْعِلْمِ وَتَوَاضَعَ لَهُ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّوَاضُعَ خَيْرٌ مِنَ التَّكَبُّرِ، وَأَمَّا نَفْعُ هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ فَهُوَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِكُفَّارِ مَكَّةَ: إِنْ أَخْبَرَكُمْ مُحَمَّدٌ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ فَهُوَ نَبِيٌّ وَإِلَّا فَلَا، وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ نَبِيًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِجَمِيعِ الْقِصَصِ وَالْوَقَائِعِ، كَمَا أَنَّ كَوْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيًّا صَادِقًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَمْ يَمْنَعْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِيَّاهُ بِأَنْ

(١) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي مصطفى مسلم، (ص: ٢٥٤/٢٥٨).

يَذْهَبَ إِلَى الْخَضِرِ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ فَظَهَرَ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ قِصَّةٌ مُسْتَقِلَّةٌ بِنَفْسِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ نَافِعَةٌ فِي تَقْرِيرِ الْمَقْصُودِ فِي الْقِصَّتَيْنِ الْمُتَقَدِّمَتَيْنِ.(١)

وإضافة الي ما ذكر الفخر الرازي فإن للقصة علاقة بموضوع سورة الكهف الأساسي، وهو الاختبار والابتلاء وسبيل العصمة من الفتن وطرق النجاة منها، وفتنة العلم من الفتن الكبري التي يتعرض لها أهل العلم من علماء ومتعلمن، وقد بين الله سبحانه في قصة موسي والرجل الصالح السبل المنجية من فتنة العلم ببيان الصفات الطبية التي ينبغي أن يتصف بها العالم والمتعلم، والعلم معرفة وادراك يجعل الانسان العالم يشعر بامتياز علي غيره من الناس، فهو يعرف ما لا يعرفون ويدرك ما لا يدركون، والشعور بالتميز والتفوق سبب لفتنة كبري تؤدي الي وقوع الفرقة والاختلاف ونشوب الاقتتال بين الناس، إن فكرة التفوق والامتياز أصل الفكرة النازية الألمانية التي أغرقت العالم في بحار من الدماء والنكبات والكوارث في الحربين العالميتين الأولي والثانية.

والعلم أيضاً سلاح ذو حدين خطير، يمكن أن يسخر للاحتيال والغش والخداع والتزوير وسلب حقوق الضعفاء والسذج والبسطاء، كما هو الحال في العصر الحاضر، إذ تمكنت المجتمعات البشرية في أوربا وأمريكا بسبب تفوقها في بعض العلوم التجريبية أن تخقق مستويات عالية من الرفاهية والترف والسرف، لأنهم سخروا العلم لمآربهم الذاتية ومصالح أممهم وسرقة خيرات الأمم والشعوب التي يسمونها النامية أو المتخلفة أو شعوب العالم الثالث، كما سخروا أيضاً العلم للتدمير والتخريب بما صنعوا من آلات الحرب والدمار مما هو معروف ومشهور.

كل هذا يبين لنا خطورة فتنة العلم، العلم البعيد عن الإيمان بالله، وفي قصة موسي والرجل الصالح بيان لأسباب النجاة من فتنة تنكشف بإذن الله تعالي لمن تدبر آيات هذة القصة وأمعن النظر فيها.(٢)

المبحث الثاني

من لحظة الذهاب إلى مجمع البحرين حتى لقاء العبد الصالح ـ التفسير والدلالة

(١) ينظر: التفسير الكبيرللفخر الرازي (٢١/ ٤٧٧)، التفسير الوسيط ا.د طنطاوي (٨/ ٥٤٦).

(٢) ينظر: العواصم من الفتن في سورة الكهف، عبد الحميد محمود طهماز، (ص٩١)، دارالقلم للطباعة والنشر ـ دمشق، دار المنار للطباعة والنشر ـ بيروت، الطبعة الاولي ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

"الآيات من ٦٠ ــ ٧٠"

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: خروج موسى عليه السلام مع فتاه إلى مجمع البحرين، "الآيات من ٦٠ – ٦٤" التفسير والدلالة.

المطلب الثاني: إلتقاء موسى عليه السلام والعبد الصالح وما دار بينهما من حوار، الآيات من" ٦٥ – ٧٠" التفسير والدلالة.

قال تعالي"وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا""فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ""فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا""قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا""قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ""فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا""قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ""قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ""وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا""قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ""قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا " "الكهف٦٠/٧٠"

المطلب الأول
خروج موسى عليه السلام مع فتاه إلى مجمع البحرين

" الآيات من ٦٠ ـ ٦٤ " التفسير والدلالة

تفسير قوله تعالى "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا" "فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا" "الكهف٦٠/٦١"

ذكر الطاهر ابن عاشور رحمه الله وجه المناسبة بين هذه القصة وقصة آدم وإبليس قائلا: لما جرى ذكر قصة خلق آدم وأمر الله الملائكة بالسجود له، وما عرض للشيطان من الكبر والاعتزاز بعنصره جهلا بأسباب الفضائل ومكابرة في الاعتراف بها وحسدا في الشرف والفضل، فضرب بذلك مثلا لأهل الضلال عبيد الهوى والكبر والحسد، أعقب تلك القصة بقصة هي مثل في ضدها لأن تطلب ذي الفضل والكمال للازدياد منهما وسعيه للظفر بمن يبلغه الزيادة من الكمال اعترافا للفاضل بفضيلته، وفي ذلك إبداء المقابلة بين الخلقين وإقامة الحجة على المماثلة والمخالفة بين الفريقين المؤمنين والكافرين، وفي خلال ذلك تعليم وتنويه بشأن العلم والهدى وتربية للمتقين، وفي سوق هذه القصة تعريض بأهل الكتاب بأن الأولى لهم أن يدلوا الناس على أخبار أنبياء بني إسرائيل وعلى سفر لأجل تحصيل العلم والحكمة لا سفر لأجل بسط الملك والسلطان فجملة "وإذ قال موسى" معطوفة على جملة "وإذ قلنا للملائكة" "الكهف:٥٠" عطف القصة على القصة، والتقدير: واذكر إذ قال موسى لفتاه، أي اذكر ذلك الزمن وما جرى فيه، وناسبها تقدير فعل "اذكر" لأن في هذه القصة موعظة وذكرى كما في قصة خلق آدم.

والفتى: الذكر الشاب، والأنثى فتاة، وهو مستعمل مجازا في التابع والخادم، وتقدم عند قوله تعالى "تراود فتاها" في سورة يوسف "سورة يوسف ٣٠" وفتى موسى: خادمه وتابعه فإضافة الفتى إلى ضمير موسى على معنى الاختصاص كما يقال: غلامه. (١)

والمعني: واذكر- أيها الرسول الكريم- لقومك لكي يعتبروا ويتعظوا وقت أن قال أخوك موسى- عليه السلام- لفتاه يوشع بن نون، اصحبنى في رحلتي هذه فإنى لا أزال سائرا حتى أصل إلى مكان التقاء البحرين، فأجد فيه بغيتي ومقصدي، "أو أمضى" في سيرى "حقبا" أى: زمنا طويلا، إن لم أجد ما أبتغيه هناك. (٢)

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/٣٥٩).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٨/ ٥٤٧)

يقول الإمام الزمخشري: وإنما قيل: فتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه، وقيل:كان يأخذ منه العلم وهو خليفة موسى على قومه من بعده [١]، و"الفتي" في كلام العرب الشاب، ولما كان الخدمة أكثر ما يكونون فتيانا قيل للخادم فتى، على جهة حسن الأدب، وندبت الشريعة إلى ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يقل أحدكم عبدي ولا أمتي وليقل فتاي وفتاتي"[٢]، فهذا ندب إلى التواضع و"الفتي" في الآية هو الخادم، ويوشع بن نون يقال هو ابنا أخت موسى عليه السلام. [٣]

ولما صحّت صحبة يوشع مع موسى عليهما السلام استحقّ اسم الفتوة، ولذا قال: "وَإِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ" وهو اسم كرامة لا اسم علامة. [٤]

ويوشع أحد الرجال الاثني عشر الذين بعثهم موسى- عليه السلام- ليتجسسوا في أرض كنعان في جهات حلب وحبرون ويختبروا بأس أهلها وخيرات أرضها، وهو أحد الرجلين اللذين شجعا بني إسرائيل على دخول أرض كنعان اللذين ذكرهما القرآن في آية "قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون" "المائدة: ٢٣".

وكان يوشع أحد الرجلين اللذين عهد إليهما موسى- عليه السلام- بأن يقسما الأرض بين أسباط بني إسرائيل بعد موسى- عليه السلام- وأمر الله موسى بأن يعهد إلى يوشع بتدبير أمر الأمة الإسرائيلية بعد وفاة موسى- عليه السلام- فعهد إليه موسى بذلك

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، (٢/ ٧٣١)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي) أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، (٢/ ٢٥٤)، تحقيق/ الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي دار ابن حزم – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(٢) ينظر: صحيح البخاري (٢١٢/٥)، رقم ٢٤١٤، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرفيق وقوله عبدي أو أمتي.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٢٧).

(٤) ينظر: لطائف الإشارات = تفسير القشيري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، (٢/ ٤٠٦)، تحقيق/ إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط٣

فصار نبيئا من يومئذ ودبر أمر الأمة بعد موسى سبعا وعشرين سنة، وكتاب يوشع هو أول كتب الأنبياء بعد موسى عليه السلام. (١)

يقول جل ذكره تعالي لنبيه صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لفتاه يوشع "لا أَبْرَحُ" أي: لا أزال أسير أو لا أزال أمشي وقيل: لا أنتهي وقيل: لا أبرح ما أنا عليه بمعنى: ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ.(٢)

يقول العلامة الزمخشري: فإن قلت "لا أَبْرَحُ" إن كان بمعنى لا أزول- من برح المكان- فقد دل على الإقامة لا على السفر، وإن كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر، قلت: هو بمعنى لا أزال، وقد حذف الخبر لأنّ الحال والكلام معا يدلان عليه، أمّا الحال فلأنها كانت حال سفر، وأمّا الكلام فلأن قوله "حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ" غاية مضروبة تستدعى ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى: لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، ووجه آخر: وهو أن يكون المعنى: لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن "حتى أبلغ" هو الخبر، فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم، فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف، ويجوز أن يكون المعنى: لا أبرح ما أنا عليه، بمعنى: ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ كما تقول: لا أبرح المكان. (٣)

وقوله "لا أَبْرَحُ" فكونه فعلا ناقصا يكون خبره محذوفاً، أي لا أبرح أسير(٤)، وحذفه بقرينة المقام أي لا ابرح سائراً، وعن الرضي أن حذف خبرها قليل، وحذف ذكر الغرض الذي سار لأجله موسى عليه السلام لأنه سيذكر بعد، وهو حذف إيجاز وتشويق، وله

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٠).

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، (١٨/ ٥٦، ٥٥)، إيجاز البيان عن معاني القرآن محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ)، (٢/ ٥٢٧)، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.

(٣) ينظر: تفسير الكشاف للزمخشري، (٢/ ٧٣١).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٣/٢٥٧).

موقع عظيم في حكاية القصة، لإخراجها عن مطروق القصص إلى أسلوب بديع الحكم والأمثال قضاء لحق بلاغة الإعجاز.[١]

يقول صاحب التحرير والتنوير في قوله "مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ" لا ينبغي أن يختلف في أنه مكان من أرض فلسطين، والأظهر أنه مصب نهر الأردن في بحيرة طبرية فإنه النهر العظيم الذي يمر بجانب الأرض التي نزل بها موسى- عليه السلام- وقومه، وكانت تسمى عند الإسرائيليين بحر الجليل، فإن موسى عليه السلام بلغ إليه بعد مسير يوم وليلة راجلا فعلمنا أنه لم يكن مكانا بعيدا جدا. [٢]

فـ "مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ" هو المكان الذي يجتمع فيه البحران ويصيران بحرا واحدا وفيه رأيان:

الأول: إنه ملتقى بحري فارس والروم (ملتقى المحيط الهندي والبحر الأحمر عند باب المندب).

الثاني: إنه ملتقى بحر الروم والمحيط الأطلنطي عند طنجة (البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي عند مضيق جبل طارق أمام طنجة)، وليس في الكتاب الكريم ما يدل على تعيين هذين البحرين، فإن جاء في الخبر الصحيح شيء فذاك، وإلا فيحمل السكوت عنه. [٣]

والمجمع مصدر من قولهم: جمع يجمع، وقرأ الجمهور "مجمع" بفتح الميمين وقرأ الضحاك "مجمع" بكسر الميم الثانية وقيل: هو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام، وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق، ومن بدع التفاسير: أن البحرين موسى والخضر لأنهما كانا بحرين في العلم. [٤]

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٣/٣٦١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٢).

(٣) ينظر: تفسير المراغي أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، (١٥/ ١٧٣)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ب مصرط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (١٨/ ٥٦، ٥٥)، إيجاز البيان عن معاني القرآن للنيسابوري (٢/ ٥٢٧)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، (٣/ ٥٢٧)، المحقق:

وَالْمَجْمَعُ: اسْمُ مَكَانٍ عَلَى الْقِيَاسِ أَيْ: مَكَانَ اجْتِمَاعِهِمَا، وَالْعُلَمَاءُ مُخْتَلِفُونَ فِي تَعْيِينِ "الْبَحْرَيْنِ" الْمَذْكُورَيْنِ...وَمَعْلُومٌ أَنَّ تَعْيِينَ "الْبَحْرَيْنِ" مِنَ النَّوْعِ الَّذِي قَدَّمْنَا أَنَّهُ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، وَلَيْسَ فِي مَعْرِفَتِهِ فَائِدَةٌ، فَالْبَحْثُ عَنْهُ تَعَبٌ لَا طَائِلَ تَحْتَهُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ، فلا يضرنا الجهل باسم البحرين ولا مجمع بينهما ولا تزيدنا معرفة ذلك علماً، ولو كان في تحديد ذلك خير لحددهُ الله تعالي.(١)

وقوله: "أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا" يقول: أو أسير زمانا ودهرا وهو واحد، ويجمع كثيره وقليله: أحقاب تقول العرب: كنت عنده حقبة من الدهر، ويجمعونها حُقبا، والحقب في لغة قيس سنة، وقيل: هو ثمانون سنة، وقيل: سبعين خريفا، وقيل: حُقُباً حينا طويلا، وقيل: الحقب والحقبة زمان من الدهر مبهم غير محدود. (٢)

وأعود إلى سياق فقرة انطلاق موسى عليه السلام للبحث عن العبد الصالح لنستشف من افتتاحية الفقرة أن موسى عليه السلام كان قد تلقى أمرًا من ربه للذهاب إلى العبد الصالح والتعلم منه بدليل هذا الجزم والتصميم "لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ" لو لم يكن الأمر واجبًا عليه لكان له في بني إسرائيل ما يشغله، ولما كان له أن يتركهم أحقابًا من الزمان، وإذا أدركنا أن الحقب فُسر بالدهر، والحقبة الواحدة تبلغ ثمانين عامًا،

عبدالسلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ، تفسيرالكشاف للزمخشري (٢/ ٧٣١).

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، (٣/ ٣٢٢، ٣٢١)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ مـ، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث د/صلاح الخالدي (٣/١٠٧)، دار القلم دمشق، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

(٢) ينظر: تفسير الزمخشري (٢/ ٧٣١)، جامع البيان في تأويل القرآن الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (١٨/ ٥٦، ٥٥)، إيجاز البيان عن معاني القرآن، النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ)، (٢/ ٥٢٧)،، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، (٣/ ٥٢٧)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي(١٦/ ٤٣٥)، إشراف: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م

وقيل أكثر إذا علمنا ذلك وأدركنا مدى العزم والتصميم الذي كان عليه موسى عليه السلام للظفر بالعبد الصالح، فلا يكون ذلك إلا عن تكليف كلف به.[١]

وقوله تعالي"فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا" يقول ابن كثير: قوله تعالي"فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما" وذلك أنه كان قد أمر بحمل حوت مملوح- أي مشوي- معه وقيل له: متى فقدت الحوت، فهو ثمة- أي الرجل الصالح الذي هو أعلم منك يا موسى في هذا المكان- فسارا حتى بلغا مجمع البحرين، وهناك عين يقال لها عين الحياة، فناما هناك، وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء فاضطرب وكان في مكتل مع يوشع، وطفر من المكتل إلى البحر، فاستيقظ يوشع، وسقط الحوت في البحر، وجعل يسير فيه، والماء له مثل الطاق- أي مثل البناء المقوس كالقنطرة- لا يلتئم بعده، ولهذا قال"فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً "أي: مثل السرب في الأرض. [٢]

وقوله "نسيا حوتهما" أي: نسى موسى أن يطلبه ويتعرف حاله، ونسى يوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر، وأضيف مجمع إلى الظرف توسعاً وقيل: البين بمعنى الافتراق، أي البحران المفترقان يجتمعان هناك، وقيل الضمير لموسى وخضر، أي وصلا الموضع الذي يكون فيه اجتماع شملهما ويكون البين على هذا بمعنى الوصل لأنه من الأضداد والأول أولى. [٣]

(١) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي مصطفي مسلم (ص: ٢٦٧) وما بعدها.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط ا. دطنطاوي (٨/ ٥٤٨، ٥٤٩)، تفسير ابن كثير (٥ / ١٧١)، التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٥).

(٣) ينظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، (٨/ ٧٦)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم= =العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢، فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، (٣/ ٣٥٢)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

والْمَعْنَى فَلَمَّا بَلَغَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ مُوسَى وَصَاحِبُهُ الَّذِي كَانَ يَقْصِدُهُ لِأَنَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ نِسْيَانُ الْحُوتِ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي كَانَ يَسْكُنُهُ الْخَضِرُ أَوْ يَسْكُنُ. (١)

يقول الفخر الرازي "نَسِيا حُوتَهُما" أَنَّهُمَا نَسِيَا كَيْفِيَّةَ الِاسْتِدْلَالِ بِهَذِهِ الْحَالَةِ الْمَخْصُوصَةِ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْمَطْلُوبِ، فَإِنْ قِيلَ انْقِلَابُ السَّمَكَةِ الْمَالِحَةِ حَيَّةً حَالَةٌ عَجِيبَةٌ فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ حُصُولَ هَذِهِ الْحَالَةِ الْعَجِيبَةِ دَلِيلًا عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْمَطْلُوبِ فَكَيْفَ يُعْقَلُ حُصُولُ النِّسْيَانِ فِي هَذَا الْمَعْنَى؟ أَجَابَ الْعُلَمَاءُ عَنْهُ بِأَنْ يُوشَعَ كَانَ قَدْ شَاهَدَ الْمُعْجِزَاتِ الْقَاهِرَةَ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَثِيرًا فَلَمْ يَبْقَ لِهَذِهِ الْمُعْجِزَةِ عِنْدَهُ وَقْعٌ عَظِيمٌ فَجَازَ حُصُولُ النِّسْيَانِ، وقيل: نسى موسى أن يطلبه ويتعرف حاله، ونسى يوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر، وقيل: أَنَّ النِّسْيَانَ وَاقِعٌ مِنْ فَتَى مُوسَى ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ تَحْتَ يَدِهِ الْحُوتُ، وَهُوَ الَّذِي نَسِيَهُ، وَإِنَّمَا أَسْنَدَ النِّسْيَانَ إِلَيْهِمَا ؛ لِأَنَّ إِطْلَاقَ الْمَجْمُوعِ مُرَادًا بَعْضُهُ أُسْلُوبٌ عَرَبِيٌّ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ وَفِي كَلَامِ الْعَرَبِ.....وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ النِّسْيَانَ إِنَّمَا وَقَعَ مِنْ فَتَى مُوسَى دُونَ مُوسَى قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْهُمَا" فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ " لِأَنَّ قَوْلَ مُوسَى"آتِنَا غَدَاءَنَا" يَعْنِي بِهِ الْحُوتَ فَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ فَتَاهُ لَمْ يَنْسَهُ، والآية على التّقديم والتّأخير لأنَّ ذهاب الحوت كان قد تقدَّم على النِّسيان. (٢)

وقوله تعالي"فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً" يقول الطبري: اختلف أهل العلم في صفة اتخاذه سبيله في البحر سربا، فقال بعضهم: صار طريقه الذي يسلك فيه كالجحر، والسرب المسلك قاله مجاهد، وَقَالَ قَتَادَةُ: جَمَدَ الْمَاءُ فَصَارَ كَالسَّرَبِ، وَجُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْحُوتَ بَقِيَ مَوْضِعُ سُلُوكِهِ فَارِغًا، وَأَنَّ مُوسَى مَشَى عَلَيْهِ مُتَّبِعًا لِلْحُوتِ، حَتَّى أَفْضَى بِهِ

(١) ينظر: التفسير الكبير (٢١/ ٤٧٩)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٢٨).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٦)، التفسير الكبير (٢١/ ٤٨٠)، تفسير البيضاوي (٢ / ١٨)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٣٢١)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، (٦٦٧/١)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

الطَّرِيقُ إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ، وَفِيهَا وَجَدَ الْخَضِرَ، وَظَاهِرُ الرِّوَايَاتِ وَالْكِتَابِ أَنَّهُ إِنَّمَا وَجَدَ الْخَضِرَ فِي ضِفَّةِ الْبَحْرِ. (١)

يقول ابن كثير قوله تعالي "سَرَباً "أي: مثل السرب في الأرض، قال ابن جريح: قال ابن عباس: صار أثره كأنه حجر، وقال العوفي، عن ابن عباس: جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة.(٢)

الدلالات القرآنية في قوله تعالى "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا""فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا""الكهف٦٠/٦١"

إن التدقيق في وقائع هذه القصة يدلنا أنها جرت في بيئة، جاء ذكرها صريحا في متن الحديث وهي" مجمع البحرين "التي اعتزم موسى عليه السلام السفر إليها كما كشفت لنا أحداث القصة عن تحقق السفر فعلا ووصول سيدنا موسى – عليه السلام– مع الفتى الذي اصطحبه إلى ذلك المكان" مجمع البحرين "و هكذا فقد حقق هدفه، وهو لقاء ومواجهة الخضر، وبعد لقائه بالخضر تحقق هدفه من الرحلة وهو العثور على الرجل الذي هو أعلم منه كما أطلعه الله عز وجل.(٣)

ودلالة ونفع هذه القصة بوجه خاص في الرد على الكفار الذين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الأموال والأنصار، هو أن موسى عليه السلام مع كثرة علمه وعمله وعلو منصبه، ذهب إلى الخضر لطلب العلم مع التواضع له، وذلك يدل على أن التواضع خير من التكبر. (٤)

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٢)، إعراب القرآن وبيانه محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، (٥/ ٦٢٧)، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ط٤، ١٤١٥ هـ، التفسير الوسيط ا.د محمد سيد طنطاوي (٨/ ٥٤٨)، تفسير الطبري (١٨/ ٥٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٧٤).

(٣) ينظر: دراسات فنية في القصص القرآني محمود البستاني، (ص٣١٩)، دار البلاغة للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، 19841.

(٤) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٥/ ٢٩٦).

فقد قص اللَّه تعالى علينا في سورة الكهف ثلاث قصص تدل على قدرة اللَّه تعالى في أن يودع الإنسان من القوي ما يكون خارقا، وما يكون دالا على أن اللَّه يبدع ما لا يعرفه الناس في أعرافهم وبمقتضى سنة الوجود الإنساني التي سنها اللَّه تعالى له في هذه الأرض وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم- لم يكن هناك ولم يشاهد ما حدث، فمن الذي أخبره؟ الذي أخبره هو الذي أوحى إليه بهذا القرآن فهذا دليل على صدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم.[1]

وذهاب سيدنا موسي عليه السلام الي الخضر لطلب العلم دليل علي فضله وسعه علمه، فكلما ازداد الانسان علماً ازداد تعظيماً للعلم وحرصاً عليه فالفضل في هذه الرحلة لموسي عليه السلام علي الخضر، وفي الآية الكريمة دلالات ظاهرة تُعِين علي فهم المعني والوقوف علي المراد من خلال دلالة الألفاظ فقوله تعالي"وَإِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا" فقد ابتدأت القصة بحكاية كلام موسى- عليه السلام- المقتضي تصميما على أن لا يزول عما هو فيه، أي لا يشتغل بشيء آخر حتى يبلغ مجمع البحرين، ابتداء عجيبا في باب الإيجاز، فإن قوله ذلك يدل على أنه كان في عمل نهايته البلوغ إلى مكان، فعلم أن ذلك العلم هو سير سفر، ويدل على أن فتاه استعظم هذه الرحلة وخشي أن تنالهما فيها مشقة تعوقهما عن إتمامها، أو هو بحيث يستعظمها للعلم بأنها رحلة بعيدة، وذلك شأن أسباب الأمور المهمة، ويدل على أن المكان الذي يسير إليه مكان يجد عنده مطلبه، وفيها أيضاً دلالة علي الإصرار من نبي الله موسى عليه السلام على مواصلةِ الرحلة، مهما كلفه ذلك من مشقةٍ وعناء، ومهما أمضى من وقتٍ في سبيل هذا المقصد السامي، وفي هذا ما يدل على صدق عزيمته وشدة حرصه على طلب العلم النافع والاستزادة منه وصحبة أهله. [2]

(١) ينظر: التفسير الموضوعي، جامعة المدينة (ص: ٢٠٥)، زهرة التفاسير (٩/ ٤٥٥٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦١/٣٦٠)، التفسير الموضوعي لسورة الكهف مشروع " التفسير الموضوعي لسور القرآن مجموعة بحوث الكتاب والسنة إعداد أحمد بن محمد الشرقاوي أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة الأزهر وجامعة القصيم، (ص٧١)، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

ففي الآية الكريمة عدّة قرائن دلت على المبالغة في قطع المسافة ومنها القرينة اللفظية في قوله "أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً" ويروي أن الحقب زمن طويل نحو الثمانين سنة ومعني هذا أن موسي سار زمناً طويلاً. (١)

وقوله" لِفَتَاهُ " يدل علي تكريم الاسلام للإنسان ولو كان خادماً أو عبداً فينبغي أن يُنادي بألفاظ فيها معني التكريم والاحترام و"الفتي" في كلام العرب الشاب، ولما كان الخدمة أكثر ما يكونون فتيانا، قيل للخادم فتى، على جهة حسن الأدب، وندبت الشريعة إلى ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يقل أحدكم عبدي ولا أمتي وليقل فتاي وفتاتي".(٢)

يقول الامام الرازي: قَوْلِهِ "وَإِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ "قَالَ يَعْنِي عَبْدَهُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ الْعَبْدَ فَتًى وَالْأَمَةَ فَتَاةً.(٣)

والآية الكريمة تدل بأسلوبها البليغ، على أن موسى- عليه السلام- كان مصمما على بلوغ مجمع البحرين مهما تكن المشقة في سبيل ذلك، ومهما يكن الزمن الذي يقطعه في سبيل الوصول إلى غايته، وهو يعبر عن هذا التصميم بما حكاه عنه القرآن بقوله"أو أمضى حقبا".(٤)

ففي الآية دلالة علي أن موسي عليه السلام قد وطّن نفسه علي تحمل التعب الشديد والعناء العظيم في السفر لأجل بلوغ هذا المكان والعثور علي هذا العالم ومن ثم طلب العلم منه ولهذا قال " لَا أَبْرَحُ" مِمَّا أَنَا عَلَيْهِ يَعْنِي أَلْزَمُ الْمَسِيرَ وَالطَّلَبَ وَلَا أَتْرُكُهُ وَلَا أُفَارِقُهُ حَتَّى أَبْلُغَ.(٥)

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم ا.د محمد سيد طنطاوي (٢٥٥/١٥)، التحرير والتنوير (٣٦/٣٠).

(٢) ينظر: العواصم من الفتن في سورة الكهف لعبد الحميد محمود طهماز، (ص ٩٤)، دار القلم ـ بيروت ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، صحيح البخاري (٢١٢/٥)، رقم ٢٤١٤، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرفيق وقوله عبدي أو أمتي.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٤٧٨).

(٥) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم ا.د محمد سيد طنطاوي (٨/ ٥٤٨، ٥٤٧)

(٥) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (٩/ ٥٠٦)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغو،

وفيها دلالة على أنهما لم يسيرا زمناً طويلاً، وسارا بعض يوم فوصلا الي مجمع البحرين إلا أنهما لم يعرفا أن المكان الذي وصلا اليه وجلسا فيه يستريحان هو مجمع البحرين، ولابد أن يكون هذا المكان قريباً من المنطقة التي كان يقيم فيها موسي عليه السلام والمنطقة هذه إما أن تكون في مصر أو في صحراء سيناء وأقرب مكان يقع بين مصر وسيناء يلتقي فيه بحران وكان في طرف البحر الأحمر من جهة الشمال حيث يلتقي بحر العقبة وبحر السويس الشعبان المتفرعان عن البحر الأحمر والله سبحانه أعلم. (١)

وفي قصة سيدنا موسي والخضر عليهما السلام معالم ودلالات لأعمال جماعية منتظمة ابتداء بسفر موسي مع فتاه، إذ كان للفتي مهام خاصة ومحددة، ثم في ركوب موسي والخضر السفينة إشارة الي عمل جماعي كان يقوم به أصحابها المساكين سواء في قيادتها وإدارتها أو العمل عليها وغيرها الكثير من الدلالات.

ثم جاءت هذه الفقرة من القصة تحفل بتطوير للأحداث، وبإرهاص جديد بها، فقد كشفت لنا عن أن موسى عليه السلام وفتاه قد قاما بسفرتهما فعلاً، ووصلا الى الموقع الذي يستهدفانه، بيد أن القصة مع وصولها بالإحداث الى هذا الموقع، تجابهنا بمفاجأة هي نسيان الحوت فقال تعالي"نَسِيا حُوتَهُما" أنهما نسيا أن يراقبا حاله أباق هو في مكتله حينئذ حتى إذا فقداه في مقامهما ذلك تحققا أن ذلك الموضع الذي فقداه فيه هو الموضع المؤقت لهما بتلك العلامة فلا يزيدا تعبا في المشي، وإسناد النسيان إليهما حقيقة، لأن يوشع وإن كان هو الموكل بحفظ الحوت فكان عليه مراقبته، إلا أن موسى هو القاصد لهذا العمل، فكان يهمه تعهده ومراقبته، وفي هذا دلالة على أن صاحب العمل أو الحاجة إذا وكله إلى غيره لا ينبغي له ترك تعهده، ثم إن موسى- عليه السلام- نام وبقي فتاه يقظان فاضطرب الحوت وجعل لنفسه طريقا في البحر وفيه دلالة علي الصحبة والملازمة بينهما كما قال القرطبي:أي نَسِيَ أَنْ يُعْلِمَ مُوسَى بِمَا رَأَى مِنْ حَالِهِ فَنَسَبَ النِّسْيَانَ إِلَيْهِمَا

القسم الدراسي د/ جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب د/ محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م، التفسير الكبير (٢١/ ٤٧٩).

(١) ينظر: العواصم من الفتن في سورة الكهف لعبد الحميد محمود طهماز، (ص٩٥/ ٩٤).

لِلصُّحْبَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى "يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ""الرحمن: ٢٢"وإنما يخرج من الملح. (١)

ومن دلالات الآيات الكريمة أن خروج الحوت من المكتل وسقطه في البحر وهما نائمان فيه دلالة على أن الخضر كان موجوداً في المكان قريباً من الصخرة التي ناما بجانبها. (٢)

ومن دلالات الآية الكريم أنه عبر بالفاء في قوله تعالي" فَاتخذ سَبيله فِي الْبَحْرِ سَرَبًا " وَفِي الْآيَة الثَّالِثَة بدونها "وَاتخذ سَبيله" لِأَن الْفَاء للتعقيب والعطف فدلت علىَ اتِّخَاذ الْحُوت للسبيل عقيب النسْيَان فَذكر بِالْفَاءِ وَفِي الْآيَة الْأُخْرَى لما حيل بَينهمَا بقوله "وَمَا أنسانيه إِلَّا الشَّيْطَان أَن أذكرهُ" زَالَ معنى التعقيب وَبَقِي الْعَطف الْمُجَرّد وحرفه الْوَاو.(٣)

وظهور حرف (الفاء) في القصة يربط الجمل التي ليس فيها تمهل بالزمن مما يشير – ربما – إلى فعل التسرع وعدم قدرة موسى عليه السلام على الصبر، وهذا حاضر ليس فيما تقدم من آيات وإنما يشكل ظاهرة في متن القصة والعطف بالفاء فيه سرعة في الزمن... فهو يثير مفهوم السرعة، ويبدو أن الأحداث أيضاً تسهم في اختزال المتن، حيث إن الأحداث سريعة، ولا يوجد فيها نوع من التبطيء، وإنما تختزل لتصبح إشارات مهمة لسرد النص وحذف كل ما ليس له أهمية فيه، وهذا ما دل عليه حرف الفاء.

ومن الدلالات الواضحة في الآيات السابقة أنها بدأت بقوله "وإذ قال" وتظهر شخصية موسى عليه السلام بوصفها الشخصية الأساسية التي تملك زمام المبادرة في الفعل، ولا تملك الشخصية الثانية (الفتى) إلا الطاعة، فهي لا تملك زمام المبادرة في فعل أي شيء، لذلك تظهر الشخصيتان في إطار من الضدية أو الاثنينية، وكذلك بنية القصة

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٦)، تفسير القرطبي (١١/ ١٢).

(٢) ينظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث د/صلاح الخالدي (٣/٣١٠)، دار القلم دمشق، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

(٣) ينظر: أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، (ص: ١٧٠) دار الفضيلة، المحقق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض.

القائمة على الحوار مرة وعلى السرد مرة أخرى، وهذه الاثنينية لا تغادر معمار النصوص السابقة، غير أن اللقاء هنا أو أن الشخصيتين قائمتان على الحوار والطاعة لا الجدل، ومع ذلك فهناك شخصية أقوى حضوراً من الأخرى، ويظهر هذا الحضور لشخصية موسى عليه السلام من خلال فعله للأفعال وإسناد الفاعل إلى ضمير المتكلم، ولا علاقة للشخصية الثانية في الفعل، وإنما هي شخصية تابعة فقوله "قال لا أبرح"، "أو أمضي" دليلٌ على ذلك، إن الآخر تابع في الفعل وليس مقرراً له، وإنما يشاركه لأنه خاطبه "وإذ قال موسي لفتاه" ثم إن الفتى قد أضيف إلى الضمير العائد إلى الشخصية القوية موسى عليه السلام "فتاه"وتجدر الإشارة إلى أن الحوار يقوده الأقوى، والصوت الأضعف هو للذي لا يقود الحوار، فالحوار غير متوازٍ ما بين قوة وضعف، وإن كانت الجملة الأولى تبين حضور القص بالحوار فإن الجملة الثانية قد أشارت إلى أحداث عدة؛ وصولهما المكان، ونسيان الحوت، واتخاذ الحوت طريقه في البحر سرباً. (١)

يقول الأستاذ الدكتورمحمد سيد طنطاوي: والْفَاءُ في قوله "فَلَمَّا بَلَغا" وقوله "فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ" هي الفصيحة، لِأَنَّهَا تُفْصِحُ عَنْ كَلَامٍ مُقَدَّرٍ، أَيْ فَسَارَا حَتَّى بَلَغَا مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ وفي هذا دلالة على المشقة والتعب. (٢)

تفسير قوله تعالي "فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا""الكهف٦٢/٦٣"

يقول الإمام الرازي"فَلَمَّا جَاوَزَ" أَيْ مُوسَى وَفَتَاهُ الْمَوْعِدَ الْمُعَيَّنَ وَهُوَ الْوُصُولُ إِلَى الصَّخْرَةِ بِسَبَبِ النِّسْيَانِ الْمَذْكُورِ وَذَهَبَا كَثِيرًا وَتَعِبَا وَجَاعَا، وقيل "فَلَمَّا جَاوَزَ" أي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة وحذف مفعول جاوزا للعلم، أي جاوزا مجمع البحرين، قيل ادلجا وسار الليلة والغد إلى الظهر وألقي على موسى عليه السلام الجوع قَالَ لِفَتَاهُ "

(١) ينظر: رسالة بعنوان " قراءة معاصرة في القص القرآني في ضوء سورة الكهف"، د /عبد الباسط مراشدة، د/ عبد الرحيم مراشدة، جامعة آل البيت، قسم اللغة العربية، الأردن (ص٢٩)، ومنشورة أيضاً في مجلة الأكاديمية العربية المفتوحة بالدنمارك، مجلد ٢٠١١، العدد ١٠، (ص ٧٨-٩٨) تاريخ النشر٢٠١١/١٢/١٣م، https://search.emarefa.net/detail/BIM-278903

(٢) ينظر: التفسير الوسيط ا. د طنطاوي (٨/ ٥٤٨).

آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذَا نَصَباً" وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ. (١)

وقوله "لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذَا نَصَباً" أي تعبا وإعياء، وهذا إشارة إلى سفرهم الذي هم ملتبسون به ولكن باعتبار بعض أجزائه، وذكر أنه يفهم من الفحوى والتخصيص بالذكر أنه لم ينصب في سائر أسفاره والحكمة في حصول الجوع والتعب له حين جاوز أن يطلب الغداء فيذكر الحوت فيرجع إلى حيث يجتمع بمراده. (٢)

يقول ابوحيان: سَارَا بَعْدَ مُجَاوَزَةِ الصَّخْرَةِ اللَّيْلَةَ وَالْغَدَ إِلَى الظُّهْرِ وَأُلْقِيَ عَلَى مُوسَى النَّصَبُ وَالْجُوعُ حِينَ جَاوَزَ الْمَوْعِدَ وَلَمْ يَنْصَبْ وَلَا جَاعَ قَبْلَ ذَلِكَ فَتَذَكَّرَ الْحُوتَ وَطَلَبَهُ وَقَوْلُهُ "مِنْ سَفَرِنا هَذَا"إِشَارَةٌ إِلَى مَسِيرِهِمَا وَرَاءَ الصَّخْرَةِ، وأضاف اللقاء إليهما ولم يقل نزل بهما التعب؛ لأنه نصب مختار لهما ولطلبهما. (٣)

وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله: لما سافر موسى إلى الخضر وجد في طريقه مس الجوع والنصب فقال لفتاه "آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا" فإنه سفر إلى مخلوق، ولما واعده ربه ثلاثين ليلة وأتمها بعشر فلم يأكل فيها لم يجد مس الجوع ولا النصب فإنه سفر إلى ربه تعالى، وهكذا سفر القلب وسيره إلى ربه لا يجد فيه من الشقاء والنصب ما يجده في سفره إلى بعض المخلوقين). (٤)

وقوله تعالي "أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ"الْهَمْزَةُ فِي أَرَأَيْتَ هَمْزَةُ الِاسْتِفْهَامِ، وَرَأَيْتَ عَلَى مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى مَا هُوَ الْمُتَعَارَفُ بَيْنَ النَّاسِ فَإِنَّهُ إِذَا حَدَثَ

(١) ينظر: التفسير الكبير (٢١/ ٤٨٠)، تفسير القرطبي (١١/ ١٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٢٣٢)، التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٦)

(٢) ينظر: روح المعاني (٨/ ٢٩٨).

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لإبي حيان (٧/ ٢٠١)، زهرة التفاسير محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى:١٣٩٤هـ)، (٩/ ٤٥٥٦)، دار الفكر العربي، أعده للشاملة/ أبو إبراهيم حسانين، جزاه الله خيرا.

(٤) ينظر: بدائع الفوائد محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى:٧٥١هـ)، (٢٠٣/٣)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان

لِأَحَدِهِمْ أَمْرٌ عَجِيبٌ قَالَ لصاحبه أرأيت ما حدث لي؟ كذلك هاهنا، والاستفهام في أرأيت للتعجب كأنه يحاول إثارة العجب في نفس موسى مما رأى من المعاجز التي لا تدور في الخلد، ويكاد لا يصدقها العقل، الرؤية هنا مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة وهي استعارة تصريحية تبعية. (١)

وفي قوله تعالى"قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ""الكهف: ٦٣"، استفهام متضمن معني الشرط"كأنه قال أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف ذلك" (٢)، "وليست الفاء إلا جواباً لـ أرأيت، لأن"إِذْ" لا يصح أن يجازى بها إلا مقرونة بـ(ما) بلا خلاف" (٣) فُحمل الكلام على معنى الشرط وجوابه، فعدت الفاء واقعة على جواب شرط تضمنه الاستفهام.

وفي قوله "فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ" مرة أخرى نفاجأ بوجود الحوت معهما ولم يحدثنا النص القرآني عن حكمة وجوده إلا أن السنة النبوية بينت لنا أيضًا سبب حمله معهم، وهو أن عودة الحياة إليه علامة وصولهم إلى مجمع البحرين مكان وجود العبد الصالح – وأستبعد ما ذهب إليه بعض المفسرين من أنهم حملوه زادًا للسفر، لأن نص الحديث النبوي جعله أمارة البلوغ واللقاء– والقصة مليئة بالمفاجآت وخوارق العادات، التي تبرز جانب قصور العلم البشري، وإحاطة المشيئة الإلهية بالكون وتصريف شئونه.(٤)

وقوله" وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ" قِيلَ: إِنَّ النِّسْيَانَ كَانَ مِنْهُمَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى"نَسِيا" فَنَسَبَ النِّسْيَانَ إِلَيْهِمَا، وَذَلِكَ أَنَّ بُدُوَّ حَمْلِ الْحُوتِ كَانَ مِنْ مُوسَى لِأَنَّهُ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، فَلَمَّا مَضَيَا كَانَ فَتَاهُ هو الْحَامِلَ لَهُ حَتَّى أَوَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ.(٥)

فالمراد نسيت حفظه وافتقاده، فانفلت في البحر، وفيه تأكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسي وإيقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع أنه المأمور بإتيانه للتنبيه من أول الأمر على أنه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وأن

(١) ينظر: التفسير الكبير (٢١/ ٤٨٠)، إعراب القرآن وبيانه (٥/ ٦٣٠، ٦٢٩).
(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (٢/ ٧٣٣).
(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢٠٢).
(٤) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي مصطفي مسلم (ص:٢٦٧) وما بعدها.
(٥) ينظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٣).

ما شاهده ليس من قبيل الأحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيتان مع زيادة أي نسيت أن أذكر لك أمره وما شاهدت منه من الأمور العجيبة.[١]

وقوله "وَما أَنْسانِيهُ " إلا الشيطان أن أذكره، هذا نسيان آخر غير النسيان الأول، فهذا نسيان ذكر الإخبار عنه، وأن أذكره بدل اشتمال من ضمير"أَنْسانِيهُ" لا من الحوت، والمعنى: ما أنساني أن أذكره لك إلا الشيطان، فالذكر هنا ذكر اللسان، ووجه حصره إسناد هذا الانساء إلى الشيطان أن ما حصل له من نسيان أن يخبر موسى بتلك الحادثة نسيان ليس من شأنه أن يقع في زمن قريب مع شدة الاهتمام بالأمر المنسي وشدة عنايته بإخبار نبيئه به، ومع كون المنسي أعجوبة شأنها أن لا تنسى يتعين أن الشيطان ألهاه بأشياء عن أن يتذكر ذلك الحادث العجيب وعلم يوشع أن الشيطان يسوءه التقاء هذين العبدين الصالحين، وما له من الأثر في بث العلوم الصالحة فهو يصرف عنها ولو بتأخير وقوعها طمعا في حدوث العوائق. [٢]

يقول القرطبي "وَما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ " وَهَذَا إِنَّمَا ذَكَرَهُ يُوشَعُ فِي مَعْرِضِ الِاعْتِذَارِ لِقَوْلِ مُوسَى: لَا أُكَلِّفُكَ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنِي بحيث يفارقك الحوت فقال: ما كلفت كبيرا، فَاعْتَذَرَ بِذَلِكَ الْقَوْلِ، فالشيطان وسوس إليه وشغل قلبه حتى نسي فنسب النسيان إلى الشيطان مجازا، وفي تعليق الانساء بضمير الحوت أولا وبذكره له ثانيا على طريق الإبدال المنبئ عن تنحية المبدل منه إشارة إلى أن متعلق النسيان أيضا ليس نفس الحوت بل ذكر أمره، وقوله "أَنْ أَذْكُرَهُ " بدل من الهاء في قوله" أَنْسانِيهُ" أي:وما أنساني ذكره الا الشيطان.[٣]

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٧)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٢٣٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٧).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٤)، إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٠٠)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٢٣٣)، الموسوعة القرآنية إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، (١٠/ ٢٥٩) الناشر: مؤسسة سجل العرب، ط١ ١٤٠٥ هـ.

وإن قلت كيف نسى يوشع ذلك ومثله لا ينسى وقد ورد في الحديث(١)، أن موسى عليه السلام لم ينصب ولم يقل لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، إلا منذ جاوز الموضع الذي حده الله تعالى له، فلعل الحكمة في إنساء الله تعالى ليوشع أن يتيقظ موسى عليه السلام لمنة الله تعالى على المسافر في طاعة وطلب علم، بالتيسير عليه وحمل الأعباء عنه، وتلك سنة الله الجارية في حق من صحت له نية في عبادة من العبادات أن ييسرها ويحمل عنه مؤنتها، ويتكفل به ما دام على تلك الحالة، وموقع الإيقاظ أنه وجد بين حالة سفره للموعد وحالة مجاوزته بونا بينا والله أعلم، وإن كان موسى عليه السلام متيقظا لذلك، فالمطلوب إيقاظ غيره من أمته، بل من أمة محمد عليه الصلاة والسلام إذا قص عليهم القصة، فما أورد الله تعالى قصص أنبيائه ليسمر بها الناس، ولكن ليشمر الخلق لتدبرها واقتباس أنوارها ومنافعها عاجلا وآجلا، والله أعلم.(٢)

وقوله تعالى "واتخذ سَبِيلَهُ فِي البحر عَجَباً" فـ "عجبا" مصدر إن جعلته من قول موسى- عليه السلام- وتقف على "في البحر"، كأنه لما قال فتى موسى "واتخذ سبيله في البحر" قال موسى: أعجب عجبا، وإن جعلت "عجبا" من قول فتى موسى كان مفعولا ثانيا ل "اتخذ" والمراد أي: اتخذ الحوتُ طريقه في البحر عَجَباً، وفي الآية السابقة قال: "سَرَباً" وهذة حال الحوت، وهنا قال "عَجَباً" لأنه يحكي ما حدث ويتعجب منه، وكيف أن الحوت المشويّ تدبّ فيه الحياة حتى يقفز من المكتل، ويتجه صَوْبَ الماء، فهذا حقاً عجيبة من العجائب؛ لأنها خرجتْ عن المألوف، وكان ذهاب الحوت أمارة لقائه للخضر.(٣)

الدلالات القرآنية في قوله تعالى "فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا" "الكهف٦٢/٦٣"

---

(١) ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَا يُسْتَحَبُّ لِلْعَالِمِ إِذَا سُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَيَكِلُ العِلْمَ إِلَى اللَّهِ، (٣٥/١)، (ح ١٢٢).

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٧٣٢).

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٩٥٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٧٠)، الموسوعة القرآنية (٤/ ٢٧٠).

قوله تعالي "فَلَمَّا جَاوَزَ" في هذا اشارة ودلالة علي سيرهما وراء الصخرة [١].

وقوله "آتنا غداءنا" دليل على وجوب حمل الزاد في السفر ففي هذا رد على بعض المتصوفة الذين يخرجون بلا زاد بدعوى التوكل ثمّ هم يسألون الناس وكذلك فيها دلالة على تعليم الناس اتخاذ الزاد في الأسفار، ولا يتنافى ذلك مع التوكل على الله تعالى، فهذا موسى نبي الله وكليمه قد اتخذ الزاد، مع معرفته بربه وتوكله على رب العباد[٢].

و"وهذا" في قوله تعالي"سَفَرِنا هَذَا" إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة وفيه إشعارٌ ودلالة بأن هذا المسير كان أتعب لهما مما سبق، فإن رجاء المطلوب يُقربُ البعيد، والخيبة تُبعدُ القريب[٣].

وفي قوله تعالي"نَصَباً" أَيْ تَعَبًا، وَالنَّصَبُ التَّعَبُ وَالْمَشَقَّةُ وَقِيلَ: عَنَى بِهِ هُنَا الْجُوعَ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الْإِخْبَارِ بِمَا يَجِدُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَلَمِ وَالْأَمْرَاضِ، ولا يكون ذلك شكوى، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَقْدَحُ فِي الرِّضَا وَلَا فِي التَّسْلِيمِ لِلْقَضَاءِ لَكِنْ إِذَا لَمْ يَصْدُرْ ذَلِكَ عَنْ ضَجَرٍ وَلَا سُخْطٍ [٤].

ودلالة التعبير بقوله" نَصَبًا" فقد أسهمت عملية الاستبدال الأسلوبي في الكشف عن أثر الصوت المفخم في"نَصَبًا" فالنَصَبُ شدة التعب، فأسهم صوت الصاد المفخم في إظهار ذلك التعب الشديد، فلو وضعت بدلا من نصبا تعبا لما أظهرت تلك الصعوبة والمعاناة في الموقف وفي هذا دلالة علي صعوبة الموقف[٥].

---

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية (١٠/ ٢٥٩).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٢٧٢)، التفسير المنير للزحيلي (١٥/ ٢٩٧).

(٣) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (٩/ ٥١٠).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٤)، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٩٦).

(٥) ينظر: دراسة أسلوبية في سورة الكهف، "مروان محمد سعيد عبد الرحمن، (ص١٣)، إشراف/أ.د .خليل عودة، قُدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ٢٠٠٦م.

وقوله "إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ" دون أن يذكر مجمع البحرين، زيادة في تحديد المكان وتعيينه، وأوقع النسيان على الحوت دون الغداء الذي طلبه منه موسى، للإشعار بأن الغداء الذي طلبه موسى منه، هو ذلك الحوت الذي فقداه(١).

وفي ذكر الإواء إليها مع أن المذكور فيما سبق مرتين بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فإن المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة إليه ولتميد العذر فإن الإواء إليها والنوم عندها مما يؤدي إلى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة(٢).

وفي قوله تعالي" فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ" فقد كان ضياع الحوت دليلاً على المكان وهذا يدل على أن موسى عليه السلام وفتاه لا يعرفان المكان إلا بهذه الإشارة، مما يدلل على عدم معرفتهما بالمكان هو الاختيار الذي جاء على لسان صاحب الحوار موسى عليه السلام، حيث يريد أن يصل إلى المكان أو يسير حقبا، ثم أنهما قد رجعا إلى مكان إضاعة الحوت.(٣)

وقوله تعالي"وَما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ " دلالةُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى مَا خَلَقَ ذَلِكَ النِّسْيَانَ وَمَا أَرَادَهُ وَإِلَّا كَانَتْ إِضَافَتُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَوْجَبَ مِنْ إِضَافَتِهِ إِلَى الشَّيْطَانِ لِأَنَّهُ تَعَالَى إِذَا خَلَقَهُ فِيهِ لَمْ يَكُنْ لِسَعْيِ الشَّيْطَانِ فِي وُجُودِهِ وَلَا فِي عَدَمِهِ، أَثَرٌ، وفي الآية أيضاً دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النِّسْيَانَ مِنَ الشَّيْطَانِ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَاتٌ أُخَرُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى"وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ""الاعراف ٦٨"، وَقَوْلِهِ تَعَالَى" اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ""المجادلة ١٩"، وَالْمُرَادُ بِالنِّسْيَانِ أَنْ يَشْتَغِلَ قَلْبُ الْإِنْسَانِ بِوَسَاوِسِهِ الَّتِي هِيَ مِنْ فِعْلِهِ دُونَ النِّسْيَانِ الَّذِي يُضَادُّ الذِّكْرَ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ إِلَّا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى.(٤)

---

(٢) ينظر: التفسير الوسيط الاستاذ الدكتور طنطاوي (٨/ ٥٤٩، ٥٥٠).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٢٣٣).

(٣) ينظر: رسالة بعنوان " قراءة معاصرة في القص القرآني في ضوء سورة الكهف" د /عبد الباسط مراشدة، د/ عبد الرحيم مراشدة، (ص١٩).

(٤) ينظر: التفسير الكبيرللرازي (٢١/ ٤٨٠).

ومن دلالات الآيـة أيضـاً: أن النسيان ضعف يضيّع على الإنسان كثيراً مما خطط ودبّر، فقد نام موسى على الصخرة حين سرب الحوت إلى الماء ولم يكن الفتى نائماً فرأى بأم عينه الأمر الغريب، ولم يشأ أن يوقظ نبيه الكريم احتراماً وتقديراً ولسوف يخبره حين يستيقظ، فلا بد أن نشير هنا إلى آفة النسيان التي ابتلي بها الإنسان للدلالة على ضعفه، فلما استيقظ موسى عليه السلام وسارا بحثاً عن الرجل الصالح نسي الفتى قصة السمكة على غرابتها وعجيب أمرها. (١)

وفي نسيان الفتى حادثة عودة الحياة إلى الحوت وانسلاله من المكتل واتخاذه السرب في البحر، وعدم جريه الماء على هذا السرب –وكلها خوارق– في هذا النسيان، دلالة وتنبيه رباني على أن كسب العلم لا يتم إلا بإرادة الله ومشيئته كما أن ثبوته وبقاءه لدى الإنسان لا يتم إلا بإرادته ومشيئته مهما بذل الإنسان من جهد وحرص على ذلك فالفاعل الحقيقي لكل ذلك هو الله سبحانه وتعالى لا خالق ولا فاعل على الحقيقة سواه. (٢)

ونلحظ دلالة قوله هنا "نَسِيتُ" وقال في الآية السابقة "نَسِيَا" وذلك لأن الأولى إخبار من الله، والثانية كلام فتى موسى، فكلام الله تبارك وتعالى يدلُّنا على أن رئيساً متبوعاً لا يترك تابعه ليتصرف في كل شيء؛ لأن تابعه قد لا يهمه أمر المسير في شيء، وقد ينشغل ذِهْنه بأشياء أخرى تُنسِيه ما هو منُوط به من أمر الرحلة (٣).

ودلالة التعبير بالفاء في قَوْله "نسيا حوتهما فَاتخذ سَبيله" وَقال في الْآيَة الثَّالِثَة "وَاتخذ سَبيله" لِأَن الْفَاء للتعقيب والعطف فَكَانَ اتِّخَاذ الْحُوت للسبيل عقيب النسْيَان فَذكر

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٣/ ٣٢١)، موسوعة البحوث والمقالات العلمية جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود، حوالي خمسة آلاف وتسعمائة مقال وبحث، تأملات تربوية في قصة موسى والرجل الصالح د/عثمان قدري مكانسي، othman47@hotmail.com

(٢) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي مصطفي مسلم (ص: ٢٦٩).

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٩٥٢).

بِالْفَاءِ وَفِي الْآيَة الْأُخْرَى لما حيل بَينهمَا بقوله "وَمَا أنسانيه إِلَّا الشَّيْطَان أَن أذكرهُ" زَالَ معنى التعقيب وَبَقِي الْعَطف الْمُجَرّد وحرفه الْوَاو[1].

فكان ضياع الحوت دليلاً على المكان وهذا يدل على أن موسى عليه السلام وفتاه لا يعرفان المكان إلا بهذه الإشارة، مما يدلل على عدم معرفتهما بالمكان وهو الاختيار الذي جاء على لسان صاحب الحوار موسى عليه السلام، حيث يريد أن يصل إلى المكان أو يسير حقبا، ثم أنهما قد رجعا إلى مكان إضاعة الحوت وقوله "قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا" دليل على ذلك، لذلك فقد تجاوزا المكان ثم ارتدا إليه قاصين دربه إليه، ولو كانا على معرفة به لما تجاوزاه ورجعا إليه.

تفسير قوله تعالي "قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا" "الكهف٦٤"

وهنا يحكى القرآن ما يدل على أن موسى- عليه السلام- قد أدرك أنه تجاوز المكان الذي حدده له ربه- تعالى- للقاء العبد الصالح فقال: أي موسى عليه السلام "ذلِكَ" أي المكان الذي اتخذ فيه سبيله هربا، أو ذلك الذي ذكرت من فقد الحوت في ذلك الموضع "ما كُنَّا نَبْغِ" أي نطلب فيه الخضر، لأنه أمارة المطلوب، والرجل الذي نريده هو هنالك "فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما" أي رجعا ماشيين على آثار أقدامهما يتبعانها، فقد تحققت أمارة اللقاء، لكن الصخور تتشابه أين الصخرة التي أويا إليها، إلا أن العلامة الجديدة للاستدلال كان ذاك النفق الذي تركه الحوت كالطاق في البحر، وتماسك الماء عن الجريان عليه بمشيئة الله تعالى. [2]

وقوله:"قَصَصاً" أي اتباعا لئلا يفوتهما الموضع ثانيا، والقصص: مصدر قص الأثر، إذا توخى متابعته كيلا يخطئا الطريق الأول، وقيل المراد: أيْ يَقُصَّانِ آثارَهما حتى

(١) ينظر: أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) (١/ ١٧٠)، المحقق: عبد القادر أحمد عطا، المكتبة الشاملة

(٢) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٧/ ٤٨)، مباحث في التفسير الموضوعي مصطفى مسلم، (ص: ٢٦٨) فتحُ البيان في مقاصد للقِنَّوجي، (٨/ ٧٨) ، التفسير الوسيط ا.د محمد سيد طنطاوي (٨/ ٥٥١).

انْتَهَيا إلى مَدْخَلِ الحوُت، وظاهر الروايات والكتاب أنه إنما وجد الخضر في ضفة البحر، ويدل على ذلك قوله تعالى "ارْتَدَّا عَلى آثارِهما قَصَصاً"،

وكتب "نبغ" في المصحف بدون ياء في آخره، فقيل: أراد الكاتبون مراعاة حالة الوقف، لأن الأحسن في الوقف على ياء المنقوص أن يوقف بحذفها، وقيل: حذفت الياء لأنه تمام الكلام فأشبه رؤوس الآيات وقيل: أرادوا التنبيه على أنها رويت محذوفة في هذه الآية، والعرب يميلون إلى التخفيف. (١)

الدلالات القرآنية في قوله تعالي "قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا" "الكهف٦٤"

وهنا يحكى القرآن ما يدل دلالة واضحة على أن موسى- عليه السلام- قد أدرك أنه تجاوز المكان الذي حدده له ربه- تعالى- للقاء العبد الصالح فقال: "قالَ ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ، فَارْتَدَّا عَلى آثارِهما قَصَصاً". (٢)

قوله "قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا" دليل على أن موسى عليه السلام وفتاه لا يعرفان المكان، فقد تجاوزا المكان ثم ارتدا إليه قاصين دربه إليه، ولو كانا على معرفة به لما تجاوزاه ورجعا إليه. (٣)

كما تظهر دلالة حذف الياء في قوله تعالي "نَبْغِ" أنه لما كان قوله "قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا""قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا " دلالة علي أن نسيان الحوت هنا ليس هو ما يبتغيه موسي علي وجه الحقيقة وإنما يبغي الشخص الذي يريد موسي أن يتعلم منه، فلهذا حذف الياء وهذا خلافاً لقوله تعالي في سورة يوسف عليه السلام

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٩، ٣٦٨)، إعراب القرآن أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، (٢/ ٣٠١)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ، تفسير الطبري، (١٨/ ٦٢)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٢٩).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط ا.د محمد سيد طنطاوي (٨/ ٥٥١).

(٣) ينظر: رسالة بعنوان " قراءة معاصرة في القص القرآني في ضوء سورة الكهف" د /عبد الباسط مراشدة، د/ عبد الرحيم مراشدة، (ص١٩) بتصرف.

"قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا""يوسف: ٦٥" فالطعام هنا ما يبغون وهو سبب رحلتهم ففرق بين البغيتين فلما كان ما في الكهف ليس هو ما يبغون حذف من الحدث إشارة الي عدم إرادة هذا الحدث علي وجه التمام وإنما هو علامة علي الموضع الذي يجدون فيه بغيتهم ولما كان ما في يوسف هو بغيتهم ذكر الفعل كاملاً ولم يحذف منه فناسب كل مقامه والله أعلم [١].

"فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً" أي فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه يتبعان أثرهما اتباعا حتى أتيا الصخرة.

قال البقاعي- إن هذا يدل على أن الأرض كانت رملا لا علامة فيها، فالظاهر والله أعلم أنها مجمع النيل والملح عند دمياط أو رشيد من بلاد مصر، ويؤيده نقر العصفور في البحر الذي ركب فيه سفينته للتعدية كما ورد في الحديث، فإن الطير لا يشرب من الماء الملح.[٢]

وفَعَلَ مُوسَى وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَالرِّحْلَةِ فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ طَلَبَ الْعِلْمِ وَإِنْ كَانَ قَدْ بَلَغَ نِهَايَتَهُ، وَأَنْ يَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ. [٣]

وفي قوله "آتنا غداءنا" وقوله "ذَلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ" وقوله" لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذَا نَصَباً" في هذة الآيات دلالة علي استحباب التواضع والرفق والرحمة بالخدم فموسي عليه السلام أكل مع فتاه وعدُّه شريكاً له في كل شي فأخبره عن جهة المسير ولم يكلفه ما لا يطيق بل حمّله المكتل فقط [٤].

(١) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ا.د فاضل صالح السامرائي (ص٢١) بتصرف، مكتبة النهضة ـ بغداد، شركة العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر بالقاهرة ط٢القاهرة ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
(٢) ينظر: تفسير المراغي (١٥/ ١٧٧).
(٣) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٤ /٣٥٣).
(٤) ينظر: كتاب تدبر سورة الكهف، ناصر سليمان العمر (ص١١٧)، مكتبة الملك فهد الوطنية . الرياض، ط٢، ١٤٣٥هـ.

المطلب الثاني
التقاء موسى عليه السلام والعبد الصالح وما دار بينهما من حوار
" الآيات من ٦٥ – ٧٠ " التفسير والدلالة

تفسير قوله تعالي " فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا" "الكهف٦٥"

ثم حكى القرآن ما تم لهما بعد أن عادا إلى مكانهما الأول فقال "فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً" أي: وبعد أن عادا إلى مكان الصخرة عند مجمع البحرين مرة أخرى وجدا "عبدا من عبادنا" الصالحين، والتنكير في "عبدا" للتفخيم، والإضافة في "عبادنا" للتشريف والتكريم(١).

وروي أنهما وجدا الخضر وهو نائم على وجه الماء، وهو مغطى بثوب أبيض، أو أخضر طرفه تحت رجليه والآخر تحت رأسه، فسلم عليه موسى، فرفع رأسه واستوى جالسا وقال: وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل، فقال له موسى ومن أخبرك أني نبي بني إسرائيل؟ فقال: الذي أدراك بي، ودلك علي(٢).

والمراد بالعبد: الخضر، والصحيح الذي ثبت عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجاء في التواريخ أنه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته أبو العباس ووصف بأنه من عباد الله تشريفا له، وعدل عن الإضافة إلى التنكير والصفة لأنه لم يسبق ما يقتضي تعريفه، وللإشارة إلى أن هذا الحال الغريب العظيم الذي ذكر من قصته ما هو إلا من أحوال عباد كثيرين لله تعالى وما منهم إلا له مقام معلوم (٣).

فقوله "رَحْمَةً" أي: نبوة ووحيا كائنة، وإيتاء الرحمة يجوز أن يكون معناه أنه جعل مرحوما، وذلك بأن رفق الله به في أحواله، ويجوز أن يكون جعلناه سبب رحمة بأن صرفه تصرفا يجلب الرحمة العامة، والمعني: آتيناه رحمة صدرت من مكان القرب أي الشرف

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط ا.د محمد سيد طنطاوي (٨/ ٥٥١)، التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٩).

(٢) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبدالله الأرمي العلوي الهرري الشافعي (١٦/ ٤٤٠/٤٤١)، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان

(٣) ينظر: تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ١٧١)، التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٩).

وهو قرب تشريف بالانتساب إلى الله، وعلما صدر منه أيضا، وذلك أن ما أوتيه من الولاية أو النبوءة رحمة عزيزة، أو ما أوتيه من العلم عزيز، فكأنهما مما يدخر عند الله في مكان القرب التشريفي من الله فلا يعطى إلا للمصطفين "مِنْ عِنْدِنا" وفضلنا كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصه بجناب الكبرياء والعلم من لدن الله هو الإعلام بطريق الوحي"وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً" مما يختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا وهو علم الغيوب، أي علما جليلا آثرناه، وهو علم لدنّيّ يكون بتأييد ربّاني وقوله" مِنْ لَدُنَّا" تَفْخِيمٌ لِشَأْنِ ذَلِكَ الْعِلْمِ وَتَعْظِيمٌ لَهُ، والمخالفة بين من عندنا وبين من لدنا للتفنن تفاديا من إعادة الكلمة.(١)

الدلالات القرآنية في قوله تعالي "فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً" "الكهف٦٥"

في قوله "فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا" دلالة علي أن القصة القرآنية تُعني بالأشخاص ولها طريقتها الخاصة في التعامل معهم . فهم أياً كان . ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث هم أشخاص... وانما يعرض القرآن ما يعرض من شخصيات كنماذج بشرية في مجال الحياة الخيّرة أو الشريرة وفي صراعها مع الخير والشر وفي تجاربها أو تعاندها مع الأخيار والأشرار فتكتفي القصة بإعطاء الأوصاف التي تُسهم في تحقيق المقاصد الدينية وتركت الجوانب الأخرى التي ليس لها وظائف حيوية في رسم الشخصية وتطوير الاحداث فلم يشر القرآن للعبد الصالح أهو نبي من أنبياء الله أو رسول أو عالم ومن هو الفتي الذي صاحب موسي عليه السلام في بداية رحلته فالقصة القرآنية لا تخوض في تفصيلات لا تثري الحديث ولا تُسهم في تحقيق غايتها الدينية فالقصة لا تساق لمجرد التسلية وتزجية الوقت بل تكتفي بالأوصاف والمعلومات التي تُسهم في تحقيق المقاصد والغايات وقد قامت كتب التفسير بالإجابة عن كثير من هذه الأسئلة(٢).

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي (١٦/ ٤٤٠/٤٤١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٨٧)، محاسن التأويل (٧/ ٤٨)، التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٩)، فتح القدير للشوكاني (٣/٣٥٤ /٣٥٣).

(٢) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه لعبد الكريم الخطيب (ص٤١)، جماليات الترابط في قصص سورة الكهف، بحث للدكتور /علي بن محمد الحمودي (٣٠/٣١).

فنري الغموض يحيط بالشخصيات القصصية والزمان والمكان مما يجعل النص القصصي مثيراً للمتلقي وللتأويل، وأن ما عرف عنها من تفصيلات وتوضيحات هو من خارج النص القرآني سواء من الأحاديث أم أقوال المفسرين.

كما تظهر دلالة تقابل الشخصيتين في القصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح إذ إن واقعة قصة موسى عليه السلام لم تذكر اسم العبد الصالح وإنما اكتفت بذكر صفته، مما يتسق مع دلالته الرمزية "فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا" "الكهف: ٦٥" في حين ذكرت موسى باسمه صراحة ويتسق ذلك مع دلالة العلم الظاهر" قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا " "الكهف: ٦٦ – ٧٠" تتقابل الشخصيتان في هذا الوصف اذ إن شخصية العبد الصالح في إطارها العام ترمز الى العلم الذي يؤتيه الله سبحانه وتعالى لمن يشاء بالقدر، في حين ترمز شخصية موسى عليه السلام على الرغم من كونه نبياً مرسلاً الى العلم البشري الظاهر فهو لم يستطع ان يفسر الأحداث أبعد من تفسيرها الظاهر المنطقي.(١)

كما تظهر دلالة تقديم السبب على المُسَبَب في قوله وتعالى "فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا"فحاجة الإنسان إلى الرحمة من الله أولا، ومن ثم تتجلى آثارها على العبد رحمة وعلما ويقينا، فالرحمة من الله هي أساس كل نعمة التي منها هبة العلم وتمكينه، وهذه الرحمة التي تتجلى رحمة عامة لكل المخلوقات ورحمة خاصة لمن اتصفوا بالطهر والزكاة والإيمان كما يظهر ذلك في قوله تعالى "فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ".(٢)

(١) ينظر: البنى والدلالات في لغة القصص القرآني عماد عيد يحيى(ص٢٩٧)، دراسة فنية، أطروحة دكتوراة كلية الآداب، جامعة الموصل، 1992

(٢) ينظر: دراسة أسلوبية في سورة الكهف، مروان محمد سعيد عبد الرحمن (ص٩٨).

وأيضاً قوله تعالي "فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا" فيه دلالة على نبوته لأن بواطن الأفعال لا تكون إلا بوحي ولأن الإنسان لا يتعلم ولا يتّبع إلا من فوقه، وليس فوق النبي من ليس بنبي. (١)

يقول الإمام الفخر الرازي: احْتَجَّ الْأَصَمُّ عَلَى نُبُوَّتِهِ بِقَوْلِهِ فِي أَثْنَاءِ الْقِصَّةِ "وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي" وَمَعْنَاهُ فَعَلْتُهُ بِوَحْيِ اللَّهِ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى النُّبُوَّةِ...قَالُوا وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا عَرَفَ ذَلِكَ بِالْوَحْيِ وَالْوَحْيُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ النُّبُوَّةِ. (٢)

وقوله :"وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً" يدل على أن تلك العلوم حصلت له من عند الله من غير وساطة، ويؤكد أنه وحي وليس مجرد الهام. (٣)

يقول حجه الإسلام الغزالي رحمه الله تعالي"وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً" مع أن كل علم من لدنه، ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علماً لدنياً، بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج.(٤)

وَفِي قَوْلِهِ"مِنْ لَدُنَّا" تَفْخِيمٌ لِشَأْنِ ذَلِكَ الْعِلْمِ وَتَعْظِيمٌ لَهُ، قَالَ الزَّجَّاجُ وَفِيمَا فَعَلَ مُوسَى وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَالرِّحْلَةِ فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ طَلَبَ الْعِلْمِ وَإِنْ كَانَ قَدْ بَلَغَ نِهَايَتَهُ، وَأَنْ يَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ.(٥)

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٦/ ١٢).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٤٨٢).

(٣) ينظر: كتاب تدبر سورة الكهف ناصر سليمان العمري (ص ١٥٩).

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، (٣/٢٤)، دار المعرفة – بيروت.

(٥) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٤)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن أبو الطيب محمد صديق خان ابن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، (٨/٨٠)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

تفسير قوله تعالي "قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا " "قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا " "وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا" "قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا " "قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا " "الكهف: ٦٦/٧٠"

قوله تعالي"قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا " وفي هذا السؤال ملاطفة ومبالغة في الأدب والتواضع لأنه استجهل نفسه واستأذنه أن يكون تابعاً له على أن يعلمه مما علمه الله من العلم، والرُّشْد بضم الراء وسكون الشين هو الوقوف على الخير وإصابة الصواب أي علماً ذا رشد أرشد به(١).

وقوله "هَلْ أَتَّبِعُكَ" والاتباع هنا مجاز في المصاحبة كقوله تعالى"إن يتبعون إلا الظن" "النجم: ٢٨"(٢) أي جئت لأتبعك وأصحبك وقوله "رُشْدًا" أي: علما ذا رشد أرشد به في ديني، فإن قلت: أما دلت حاجته إلى التعلم من آخر في عهده أنه- كما قيل- موسى بن ميشا، لا موسى بن عمران لأنّ النبىّ يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم المرجوع إليه في أبواب الدين؟ قلت: لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبىّ مثله، وإنما بغض منه أن يأخذه ممن دونه(٣).

وفي قول موسى عليه السّلام "هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ" استئذان منه عليه السّلام في اتباعه له بشرط التعليم، ويفهم ذلك من "عَلى" فقد قال الأصوليون إن "عَلى" قد تستعمل في معنى يفهم منه كون ما بعدها شرطا لما قبلها كقوله تعالى" يُبايِعْنَكَ عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ""الممتحنة: ١٢" أي بشرط عدم الإشراك، وكونها للشرط بمنزلة الحقيقة عند الفقهاء كما في التلويح لأنها في أصل الوضع للإلزام والجزاء لازم للشرط(٤).

---

(١) ينظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن أبو الطيب محمد صديق خان (٨/ ٨١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٩).

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٧٣٣، ٧٣٤)، البحر المحيط في التفسير (٢٠٥/٧)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، (٣/ ٢٠٥)، المحقق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

(٤) ينظر: روح المعاني الألوسي، (٨/ ٣١١).

يقول الامام الرازي: وَالنَّبِيُّ لَا يَتَّبِعُ غَيْرَ النَّبِيِّ فِي التَّعْلِيمِ وَهَذَا أَيْضًا ضَعِيفٌ، لِأَنَّ النَّبِيَّ لَا يَتَّبِعُ غَيْرَ النَّبِيِّ فِي الْعُلُومِ الَّتِي بِاعْتِبَارِهَا صَارَ نَبِيًّا أَمَّا فِي غَيْرِ تِلْكَ الْعُلُومِ فَلَا[1].

يقول صاحب التحرير والتنوير قوله "عَلى" مستعملة في معنى الاشتراط لأنه استعلاء مجازي، جعل الاتباع كأنه مستعمل فوق التعليم لشدة المقارنة بينهما، فصيغة أفعل كذا على كذا، من صيغ الالتزام والتعاقد[2].

ولا يظن أن في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل من موسى، فقد يأخذ الفاضل عن الفاضل، وقد يأخذ الفاضل عن المفضول، إذا اختص الله- تعالى- أحدهما بعلم لا يعلمه الآخر، فقد كان علم موسى يتعلق بالأحكام الشرعية والقضاء بظاهرها، وكان علم الخضر يتعلق ببعض الغيب ومعرفة البواطن [3].

وقوله تعالي"قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا "أي قال الْخَضِرُ: أَيْ إِنَّكَ يَا مُوسَى لَا تُطِيقُ أَنْ تَصْبِرَ عَلَى مَا تَرَاهُ مِنْ عِلْمِي، لِأَنَّ الظَّوَاهِرَ الَّتِي هِيَ عِلْمُكَ لَا تُعْطِيهِ، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا تَرَاهُ خَطَأً وَلَمْ تُخْبَرْ بوجه الحكمة فيه، ولا طريق الصواب فقول الخضر لموسى عليهما السّلام "إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً" نفي لأن يصبر معه على أبلغ وجه حيث جيء بإن المفيدة للتأكيد، وبلن ونفيها آكد من نفي غيرها، وعدل عن لن تصبر إلى"لَنْ تَسْتَطِيعَ" المفيد لنفي الصبر بطريق برهاني لأن الاستطاعة مما يتوقف عليه الفعل فيلزم من نفيه نفيه، ونُكْر"صَبْراً" في سياق النفي وذلك يفيد العموم أي لا تصبر معي أصلا شيئا من الصبر.[4]

وقوله "وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً " ذهب المفسرون مذهبين في الدافع للخضر عليه السلام إلى القول "إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا" في بداية اللقاء.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٤٨١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٧٠).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط ا.د محمد سيد طنطاوي (٨/ ٥٥٢/٥٥٣).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٧)، مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٩)، روح المعاني الألوسي (٨/ ٣١٤).

المذهب الأول: لبيان أن المجال الذي يعمل فيه -تنفيذًا لأوامر ربه- غير المجال الذي كلف به موسى لأداء رسالة ربه، ولكيلا يتوهم موسى أن يتهمه بالقصور أو العجز، فأسرع إلى بيان السبب بأن هذا ليس مما كلف به موسى والأنبياء المرسلون الآخرون، بل هو من الأشياء التي لم يحط بها البشر خبرًا، فإن لم يصبر عليها موسى فليس مؤاخذًا ولا متهمًا بالتقصير فقال "وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا" تبريرًا وإعذارًا مسبقًا لموسى إن لم يصبر.

والمذهب الثاني للمفسرين: هو أن الخضر اختار الكلمات والأسلوب قصدًا إلى التعليم وإبراز مكانة العلم وعزته، لذا جاء قوله مؤكدًا بخمس مؤكدات:

أ- "إن" المفيدة للتوكيد.

ب- طلن" والنفي بها آكد من النفي بغيرها من أدوات النفي.

جـ- العدول عن -لن تصبر- إلى قوله: "لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا" وذاك يفيد نفي الصبر بطريق برهاني فكأنه قال له: إني مطلع على أحوالك وقدرتك على الاحتمال فوجدتك بعد المعاينة أنك لا تستطيع الصبر.

د- تنكير "صبرًا" في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم، فكأنه قال: لا تصبر معي أصلًا شيئًا ولو يسيرًا من الصبر.

هـ- ثم تعليل عدم الصبر بعدم إحاطته بهذه الأمور مؤكد خامس.

فعلى هذا المذهب قول الخضر "إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا" تعجيب من شأنه وتوجيه تربوي لاستشرافه وعزمه. (١)

وَنَفَى الْخَضِرُ اسْتِطَاعَةَ الصَّبْرِ مَعَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّأْكِيدِ كَأَنَّهَا مِمَّا لَا يَصِحُّ وَلَا يَسْتَقِيمُ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ يَتَوَلَّى أُمُورًا هِيَ فِي ظَاهِرِهَا يُنْكِرُهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَكَيْفَ النَّبِيُّ فَلَا يَتَمَالَكُ أَنْ يَشْمَئِزَّ لِذَلِكَ، وَيُبَادِرَ بِالْإِنْكَارِ (٢).

وقوله "وخُبْراً" تمييز أى: لم يحط به خبرك بمعنى لم تخبره، فنصبه نصب المصدر. (٣)

---

(١) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي مصطفي مسلم (ص:٢٧٣).

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لإبي حيان (٧/ ٢٠٥).

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٧٣٤).

قوله تعالي "سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً" وإِنَّمَا اسْتَثْنَى لِأَنَّهُ لَمْ يَثِقْ مِنْ نَفْسِهِ بِالصَّبْرِ، والمعني: أنا قابل لشروطك أيُّها المعلم فاطمئن، فلن أجادلك ولن أعارضك في شيء، وقدّم المشيئة فقال "ن شاءَ الله" ليستميله إليه ويُحنَّن قلبه عليه "صَابِراً" على ما تفعل مهما كان "وَلاَ أَعْصِي لَكَ أمْراً" وهكذا جعل نفسه مأموراً، فالمعلم آمراً، والمتعلّم مأمور. (١)

قوله تعالي "وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً" أَيْ قَدْ أَلْزَمْتُ نَفْسِي طَاعَتَكَ وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي الِاسْتِثْنَاءِ، هَلْ هُوَ يَشْمَلُ قَوْلَهُ: "وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً" أَمْ لَا؟ فَقِيلَ: يَشْمَلُهُ كقوله " وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ" "الأحزاب: ٣٥"، وَقِيلَ: اسْتَثْنَى فِي الصَّبْرِ فَصَبَرَ، وَمَا اسْتَثْنَى فِي قَوْلِهِ " وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً" فَاعْتَرَضَ وَسَأَلَ، قَالَ عُلَمَاؤُنَا: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ، لِأَنَّ الصَّبْرَ أَمْرٌ مُسْتَقْبَلٌ وَلَا يُدْرَى كَيْفَ يَكُونُ حَالُهُ فِيهِ، وَنَفْيُ الْمَعْصِيَةِ مَعْزُومٌ عَلَيْهِ حَاصِلٌ فِي الْحَالِ، فَالِاسْتِثْنَاءُ فِيهِ يُنَافِي الْعَزْمَ عَلَيْهِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ الصَّبْرَ ليس مكتسبا لنا بخلاف فعل المعصية وتركها، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مُكْتَسَبٌ لَنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قوله تعالى "قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً" أَيْ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أُفَسِّرُهُ لَكَ، وَهَذَا مِنْ الْخَضِرِ تَأْدِيبٌ وَإِرْشَادٌ لِمَا يَقْتَضِي دَوَامَ الصُّحْبَةِ، فَلَوْ صَبَرَ وَدَأَبَ لَرَأَى الْعَجَبَ، لَكِنَّهُ أَكْثَرَ مِنْ الِاعْتِرَاضِ فَتَعَيَّنَ الْفِرَاقُ وَالْإِعْرَاضُ، وقيل "فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ" تشاهده من أفعالي وتنكره مني في نفسك؛ أي: تفاتحني بالسؤال عن حكمته، فضلا عن المناقشة والاعتراض "حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا"،أي: حتى أبتدىء لك ببيانه. (٢)

والمعني: أن الخضر قال لموسى على سبيل التأكيد والتوثيق يا موسى إن رافقتني وصاحبتني ورأيت منى أفعالا لا تعجبك، لأن ظاهرها يتنافى مع الحق، فلا تعترض عليها، ولا تناقشني فيها، بل اتركني وشأني، حتى أبين لك في الوقت المناسب السبب في قيامي بتلك الأفعال، وحتى أكون أنا الذي أفسره لك، وقوله "فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي"، أي

(١) ينظر: تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٩٥٩)، تفسير البغوي، أبو محمد بن الفراء البغوي (٣/ ٢٠٦)

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٧/١٨).

فَإِنْ صَحِبْتَنِي وَلَمْ يَقُلْ اتَّبِعْنِي وَلَكِنْ جَعَلَ الِاخْتِيَارَ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ شَرَطَ عَلَيْهِ شرطا فقال، فَلا تَسْئَلْنِي [1].

الدلالات القرآنية في قوله تعالي"قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا" "قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا " "وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا" "قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا " "قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا" "الكهف: ٦٦/٧٠"

"قَالَ لَهُ مُوسى" فِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ فَلَمَّا الْتَقَيَا وَتَرَاجَعَا الْكَلَامَ وَهُوَ الَّذِي وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ قَالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى التَّوَاضُعِ لِلْعَالِمِ، وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ دَلِيلٌ عَلَى الْحَثِّ عَلَى الرِّحْلَةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَعَلَى حُسْنِ التَّلَطُّفِ وَالِاسْتِنْزَالِ وَالْأَدَبِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ بِقَوْلِهِ "هَلْ أَتَّبِعُكَ" وَفِيهِ الْمُسَافَرَةُ مَعَ الْعَالِمِ لِاقْتِبَاسِ فَوَائِدِهِ، وَالْمَعْنَى هَلْ يَخِفُّ عَلَيْكَ وَيَتَّفِقُ لَكَ[2].

وفي الآية أيضاً دليل على أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت الراتب، وليس في ذلك ما يدل على أن الخضر أفضل من موسى فقد يأخذ الفاضل عن الفاضل، وقد يأخذ الفاضل عن المفضول إذا اختص أحدهما بعلم لا يعلمه الأخر، فقد كان علم موسى علم الأحكام الشرعية والقضاء بظاهرها، وكان علم الخضر علم بعض الغيب ومعرفة البواطن، وقد زل أقدام أقوام من الضلال في هذا المقام في تفضيل الولي على النبي حيث قالوا؛ أمر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولي وهو كفر جلي[3].

يقول الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي رحمه الله تعالي: فأنت ترى أن موسى- عليه السلام- قد راعى في مخاطبته للخضر أسمى ألوان الأدب اللائق بالأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- حيث خاطبه بصيغة الاستفهام الدالة على التلطف، وحيث أنزل نفسه منه منزلة المتعلم من المعلم، وحيث استأذنه في أن يكون تابعا له، ليتعلم منه الرشد والخير، ففي قول موسى "هَلْ أَتَّبِعُكَ" من حسن الأدب والتلطف في السؤال وتواضع الطالب

(١) ينظر: تفسير البغوي (٣/ ٢٠٦)، التفسير الوسيط ا.د محمد سيدطنطاوي (٨/ ٥٥٤)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، (١٦/ ٤٤٥)،

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لإبي حيان (٧/ ٢٠٥).

(٣) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن محمد صديق خان (٨/ ٨١).

للشيخ الشيء الكثير، وفي الآية دليل على أن المتعلم تابع للعالم وإن تفاوتت مرتبتهما، وما كان موسى إلاّ أفضل من خضر ولكنه بحكم أنه تابع للخضر العالم تواضع في لطف(١).

وقوله "هَلْ أَتَّبِعُكَ" هنا موسى عليه السلام يُعلِّمنا أدب تلقّي العلم وأدب التّلميذ مع معلمه، فمع أنّ الله تعالى أمره أن يتبع الخضر، لم يقُل للخضر إنّ الله أمرني أن أتّبعك فيكون الخضر عليه السّلام ملزمًا بتعليمه، بل تلطّف معه واستسمحه بهذا الأسلوب "هَلْ أَتَّبِعُكَ" يقول الشّيخ بيوض رحمه الله:ولم يكن الخضر مقيمًا في مكان معلوم فطلب موسى الجلوس إليه فيكون هذا التعلّم ميسورا، بل كان رحّالة ينتقل من مكان إلى مكان، ومع هذا قبل موسى أن يسير معه، وإن شقّ عليه السفر والمسير، وهذه نكتة مهمة يجب أن نتذكرها ولا ننساها، وحقيقة إنّه تواضع من موسى عجيب (٢).

ويبدو أن للتقديم والتأخير دلالة في كشف البعد النفسي للشخصية الأولى التي تحولت من قوة إلى ضعف، لذلك فقد قدم الاتباع ثم الشرط، وهو ليس شرطاً واضحاً فيما بعد؛ لأن وقع الشرط يكون للأقوى فهو طلب، لذلك فإن الطلب كان يغوي الآخر بقبول الشرط، وهو ليس شرطاً فيه ضعف للثاني، ولكنه يحوي معالم القوة له، فهو سيعلم الأول مقابل أن الأول سيكون تابعاً له، وكأن موسى عليه السلام يأخذ دور "الفتى" في قصته الأولى فقد كان تابعاً(٣).

وقوله "عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا" دلالة علي أن موسي عليه السلام قد زاد في التلطف بأنه لا يطلب جميع ما عنده ليطول عليه الزمان بل جوامع منه يسترشد بها الي باقية فقال "مِمَّا عُلِّمْتَ" وبناء الفعل للمجهول لعلم المخاطبين أن الفاعل هو الله تعالي وللإشارة الي سهولة كل أمر علي الله تعالي، وفي الآية دلالة علي التأدب مع المعلم وخطابه ألطف خطاب مع أنه قطع مسافة طويلة ولقي مشقة كبيرة لصحبة الخضر وأيضاً

(١) ينظر: التفسير الوسيط ا.د طنطاوي (٨/ ٥٥٢)، أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٢٧٤).

(٢) ينظر: في رحاب القرآن ـ تفسير سورة الكهف، الشيخ بيوض ابراهيم بن عمر (ص٢٩٢)، تحرير /عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، نشر جهينة للتراث ـ غرداية، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م

(٣) ينظر: رسالة بعنوان " قراءة معاصرة في القص القرآني في ضوء سورة الكهف" د /عبد الباسط مراشدة، د/ عبد الرحيم مراشدة، (ص٢٠).

العلم الذي سأل موسي تعلمه هو من العلم النافع الذي لا يتعلق بالتشريع للأمة الاسرائيلية، فأن موسي مستغني في علم التشريع عن الازدياد الأٍ من وحي الله اليه مباشرة، وإنما رام موسى أن يعلم شيئا من العلم الذي خص الله به الخضر لأن الازدياد من العلوم النافعة هو من الخير، وقد قال الله تعالى تعليما لنبيه" وقل رب زدني علما" "طه: ١١٤"(١).

وفي الآية دلالة علي ان إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها لقوله "تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ" أي: مما علمك الله تعالى، وفيها أيضا أن العلم النافع، هو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع، وما سوى ذلك، فإما أن يكون ضارا، أو ليس فيه فائدة لقوله: "أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا"(٢).

وفي الآيات أيضاً دلالة علي أن الستار قد أسدل على فتى موسى من وقت اللقاء، وسيقت القصة بأسلوب المثنى مما يدل على أنه لم يكن مع موسى والرجل الصالح أثناء الرحلة، وأغلب الظن أن موسى أمره بالعودة إلى موطنه، لأن مدة الرحلة لم تكن معلومة لديه، ولعل عدم ذكر موسى له عند اللقاء بالرجل الصالح أمارة على أن الأمر كله من الأسرار الربانية بين موسى وربه عز وجل (٣).

يقول الإمام ابن كثير: فإن قيل فما بال فتى موسى ذكر في أول القصة ثم لم يذكر بعد ذلك؟ فالجواب أن المقصود بالسياق إنما هو قصة موسى مع الخضر، وذكر ما كان بينهما، وفتى موسى معه تبع، وقد صرّح في الأحاديث المتقدمة في الصحاح وغيرها أنه يوشع بن نون، وهو الذي كان يلي بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام(٤).

---

(١) ينظر: كتاب تدبر سورة الكهف ناصر سليمان العمر(ص١٠٩)، التحرير والتنوير (١٥/ ٣٧١).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٤٨٤).

(٣) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي مصطفي مسلم (ص: ٢٧٧).

(٤) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني (٤٣٣/٢)، الأساس في التفسير المؤلف: سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ) (٦/ ٣٢١٥)، دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ.

وفي قوله "قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً " دلالة علي أن الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل قالوا: لو كانت الاستطاعة حاصلة قبل حصول الفعل لكانت الاستطاعة على الصبر حاصلة قبل حصول الصبر فيكون نفيها كذبا وهو باطل فتعين أن لا تكون قبل الفعل(١).

ونفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد، كأنها مما لا يصح ولا يستقيم، وعلل ذلك بأنه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير، والرجل الصالح- فكيف إذا كان نبيا- لا يتمالك أن يشمئز ويمتعض ويجزع إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار، ونفى الاستطاعة على وجه التأكيد... يدل على أن موسى عليه السلام إنما حمله على المبادرة بالإنكار الالتهاب والحمية للحق: أنه قال حين خرق السفينة " أخرقتها لتغرق أهلها" ولم يقل لتغرقنا، فنسي نفسه واشتغل بغيره في الحالة التي كل أحد فيها يقول نفسي نفسى، لا يلوى على مال ولا ولد، وتلك حالة الغرق، فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. (٢)

ودلالة قوله "وَكَيْفَ تَصْبِرُ" أَيْ إِنَّ صَبْرَكَ عَلَى مَا لَا خِبْرَةَ لَكَ بِهِ مُسْتَبْعَدٌ، وَفِيهِ إِبْدَاءُ عُذْرٍ لَهُ حَيْثُ لَا يُمْكِنُهُ الصَّبْرُ لِمَا يَرَى مِنْ مُنَافَاةِ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ شَرِيعَتِهِ. (٣)

وفي قوله تعالي:"وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً" أي وغير عاص لك أمرا تأمرني به، وقيد الوعد على الصبر بالمشيئة لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم، وهي عادة الأنبياء ألا يثقوا بأنفسهم طرفة عين، وفيه دليل على أن أفعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى(٤).

وفي قوله "سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً"، دلالة علي أن إذن العلم يحتاج إلى صبر وإلى مشقة، ثم التواضع في سؤال المعلِّم وكذلك فيها دلالة علي أن العزم على فعل الشيء ليس بمنزلة فعله، فإن موسى قال: "سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً" دلالة علي انه وطن نفسه على الصبر ولم يفعل، وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس

(١) ينظر: روح المعاني للالوسي (٨/ ٣١٤).
(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٧٣٤).
(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢٠٥).
(٤) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٥/ ٢٨٨).

الصبر وترك العصيان [١]، وقوله "ولا أَعْصِي لَكَ أَمْراً" يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ظَاهِرَ الْأَمْرِ يُفِيدُ الْوُجُوبَ لِأَنَّ تَارِكَ الْمَأْمُورِ بِهِ عَاصٍ بِدَلَالَةِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَالْعَاصِي يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى"وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ""الْجِنِّ: " وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ظَاهِرَ الْأَمْرِ يُفِيدُ الْوُجُوبَ[٢].

يقول الامام الرازي: وَقَوْلُ مُوسَى لَهُ "سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً " تَوَاضُعٌ شَدِيدٌ وَإِظْهَارٌ لِلتَّحَمُّلِ التَّامِّ وَالتَّوَاضُعِ الشَّدِيدِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ إِظْهَارُ التَّوَاضُعِ بِأَقْصَى الْغَايَاتِ، وَأَمَّا الْمُعَلِّمُ فَإِنْ رَأَى أَنَّ فِي التَّغْلِيظِ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ مَا يُفِيدُهُ نَفْعًا وَإِرْشَادًا إِلَى الْخَيْرِ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ ذِكْرُهُ فَإِنَّ السُّكُوتَ عَنْهُ يُوقِعُ الْمُتَعَلِّمَ فِي الْغُرُورِ وَالنَّخْوَةِ وَذَلِكَ يَمْنَعُهُ مِنَ التَّعَلُّمِ[٣].

وفي قوله تعالي: "قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا " دلالة علي الرفق بالصاحب واحتمال ما يصدر منه من أخطاء فالخضر لم يفارق موسي عليه السلام من أول مرة بل صبر مرتين وفارقه في الثالثة بل إن موسي هو من بادر بذلك حتي لا يحرجه فقال، وفيه إيذان ودلالة بأن كل ما صدر منه فله حكمة، وغاية حميدة ألبتة، وهذا من آداب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع [٤].

(١) ينظر: تفسير روح المعاني للالوسي (٨/ ٣١٤).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٤٨٥)، لمسات بيانية الأستاذ الدكتور /فاضل صالح السامرائي حلقات تليفزيونية حلقة رقم ١٣٦تم اضافتها بواسطة islmiyyat،

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، (١٠٩/١٢) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٤٨٥).

(٤) ينظر: كتاب تدبر سورة الكهف ناصر سليمان العمري (ص١١٩)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي (١٦/ ٤٤٥).

وأما قوله تعالى: "حَتَّى أُحْدِثَ" فكلمة مُحْدَث في الاستعمال القرآني ترد في سياقات تدلُّ على الأوليَّة والبداية وإيجاد الشي بعد أن لم يكن، فهو يدل على الأوليَّة لا على الاستمرار والاتصال [١].

وفي الآية أيضاً فحوى الشرط الذي اشترطه سيدنا الخضر لنفسه على سيدنا موسى عليهما السلام فهي تدلّ على جواز الاشتراط، كما يدل على جواز أن يمنع الأستاذ الطالب من السؤال ابتداء إذا رأى في ذلك مصلحة.

وفي هذا المعنى يقول العلامة الإمام القشيري: " فإنه ليس للمريد أن يقول: «لا» لشيخه، ولا التلميذ لأستاذه، ولا العامىّ، للعالم المفتى فيما يفتى ويحكم". [٢]

وفي الآية أيضاً دلالة علي أن الصبر والطاعة من المتعلم الذي له شيء من العلم أعسر من صبر وطاعة المتعلم الساذج، لأن خلو ذهنه من العلم لا يحرجه من مشاهدة الغرائب، إذ ليس في ذهنه من المعارف ما يعارض قبولها، فالمتعلم الذي له نصيب من العلم وجاء طالبا الكمال في علومه إذا بدا له من علوم أستاذه ما يخالف ما تقرر في علمه يبادر إلى الاعتراض والمنازعة، وذلك قد يثير النفرة بينه وبين أستاذ، فلتجنب ذلك خشي الخضر أن يلقى من موسى هذه المعاملة فقال له " إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا"، فأكد له موسى أنه يصبر ويطيع أمره إذا أمره[٣].

المبحث الثالث

(١) ينظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم لبيان الملامح الفارقة بين الألفاظ متقاربة المعني والصيغ والاساليب المتشابهة د/ محمد محمد داود (ص ١٧٧)، دار غريب للطباعة والنشر ـالقاهرة ٢٠٠٨م.

(٢) لطائف الإشارات (٤٠٩/٢). ويراجع: آداب طالب العلم (العالم والمتعلّم ـ الأستاذ والطالب) من خلال قصة موسي والخضر عليهما السلام دكتور /يوسف نواسة ـ المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة ـمجلة الباحث العدد (١٧).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٧٣).

رحلة الانطلاق مع العبد الصالح وما تبعها من أحداث
" الآيات من ٧١ – ٧٨ "

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الموقف من السفينة وأصحابها التفسير والدلالة.

المطلب الثاني: الموقف من الغلام التفسير والدلالة.

المطلب الثالث: الموقف من أصحاب القرية التفسير والدلالة.

"فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا "٧١" قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا "٧٢" قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا "٧٣" فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا "٧٤" قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا "٧٥" قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا" ٧٦" فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا "٧٧" قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" "٧٨"

المطلب الأول

الموقف من السفينة وأصحابها - التفسير والدلالة

تفسير قوله تعالي "فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا" "قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا""قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا" "الكهف: ٧١ – ٧٣"

"فَانْطَلَقَا" الضمير لموسى والخضر، وذلك أن موسى رد يوشع إلى بني إسرائيل وذهب موسى مع الخضر وقيل: انه ذهب مَعَهُمْ وَلَمْ يُضْمَرْ لِأَنَّهُ فِي حُكْمِ التَّبَعِ، وفي الحديث[1] أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر، حتى مرت بهما سفينة فعرفها الخضر فحمل فيها بغير نوال أي بغير أجرة، وقيل أنهما لما أتيا السفينة قال أهل السفينة: لا يدخل علينا هذان الرجلان، فإنا لا نعرفهما ونخاف على متاعنا منهما، فقال الملاح: بل سيماهما سيما الزهاد، فحملهما في السفينة، وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي" السَّفِينَةِ" لِتَعْرِيفِ الْجِنْسِ إِذْ لَمْ يَتَقَدَّمْ عَهْدٌ فِي سَفِينَةٍ مَخْصُوصَةٍ، فتعريف السفينة تعريف العهد الذهني، مثل التعريف في قوله تعالى"وأخاف أن يأكله الذئب""يوسف: ١٣"، وقوله "خَرَقَهَا" روي أن الخضر أزال لوحين من ألواحها وقيل: فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسدّ الخرق بثيابه ويقول"أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا"وهنا نرى موسى عليه السلام ينسى ما عاهد عليه الخضر ويوجه إليه لوما شديدا ويقرر أن فعله هذا قد يفضي إلى إغراق السفينة بمن فيها، وأنه قابل إحسان أصحابها بالإساءة، ويحكم عليه حكما قاسيًا حسب ما بدا له بأنه ارتكب ذنبًا عظيمًا قبل أن يستمع إلى سبب هذا الفعل[2].

---

(١) ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري، كِتَابُ الشُّرُوطِ، بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ، (١٩٣/٣)، (ح٢٧٣١).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، (٥/ ٩٠٢)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي(المتوفى: ٤٦٨هـ)، (٣/ ١٥٨) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني= =الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: ا.د عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت –

وعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: لَمْ يَرَ الْخَضِرَ حِينَ خَرَقَ السَّفِينَةَ غَيْرُ مُوسَى وَكَانَ عَبْدًا لَا تَرَاهُ إِلَّا عَيْنُ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يُرِيَهُ، وَلَوْ رَآهُ الْقَوْمُ لَمَنَعُوهُ مِنْ خَرْقِ السَّفِينَةِ، وَقِيلَ: خَرَجَ أَهْلُ السَّفِينَةِ إِلَى جَزِيرَةٍ، وَتَخَلَّفَ الْخَضِرُ فَخَرَقَ السَّفِينَةَ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا خَرَقَ الْخَضِرُ السَّفِينَةَ تَنَحَّى مُوسَى نَاحِيَةً، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِمُصَاحَبَةِ هَذَا الرَّجُلِ! كُنْتُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً فَيُطِيعُونِي! قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِمَا حَدَّثْتَ بِهِ نَفْسَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: كَذَا وَكَذَا قَالَ: صَدَقْتَ[1].

وقد يُتَوَهَّمُ أَنّ"إِذَا" في قوله"فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا" هَاهُنَا بِمَعْنَى إِذْ لِأَنَّهُ حَدِيثٌ قَدْ مَضَى، وَلَيْسَ كَمَا يُتَوَهَّمُ بَلْ هِيَ عَلَى بَابِهَا، وَالْفِعْلُ بَعْدَهَا مُسْتَقْبَلٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الِانْطِلَاقِ لِأَنَّهُ بَعْدَهُ وَالِانْطِلَاقُ قَبْلَهُ وَلَوْلَا "حَتّى"، مَا جَازَ أَنْ يُقَالَ إِلّا انْطَلَقَا إِذْ رَكِبَا، وَلَكِنّ مَعْنَى الْغَايَةِ فِي"حَتّى"، دَلّ عَلَى أَنّ الرّكُوبَ كَانَ بَعْدَ الِانْطِلَاقِ وَإِذَا كَانَ بَعْدَهُ فَهُوَ مُسْتَقْبَلٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ. [2]

وقوله "حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ" ضمن الركوب معنى الدخول لأنه ركوب مجازي، فلذلك عدي بحرف "فِي" الظرفية نظير قوله تعالى"وقال اركبوا فيها""هود: ٤١"[3].

قوله "لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا" قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: لِيَغْرَقَ أَهْلُهَا بِفَتْحِ الْيَاءِ عَلَى إِسْنَادِ الْغَرَقِ إِلَى الْأَهْلِ وَالْبَاقُونَ لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا عَلَى الْخِطَابِ، وَالتَّقْدِيرُ لِتُغْرِقَ أَنْتَ أَهْلَ هَذِهِ السَّفِينَةِ. [4].

لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٧٣٥)، البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢٠٦)، التحرير والتنوير(١٥/ ٣٧٥).

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٩).

(٢) ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، (٤/ ١٠٩)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٧٥).

(٤) ينظر: التفسير الكبيرللرازي (٢١/ ٤٨٦).

قال أبو منصور: مَنْ قَرَأَ "لِيَغْرَقَ أَهْلُها" فالفعل للأهل، وَمَنْ قَرَأَ "لِتُغْرَق أَهْلَها" فإن موسى صلى الله عليه خاطب الخضر عليه السلام وقال له: أخرقت السفينة لكي تُغْرِقَ أهلَهاْ. (١).

قَرَأَ حَمْزَة وَالْكسَائِيّ "ليغرق" بِفَتْح الْيَاء وَالرَّاء "أَهلهَا" رفع جعلا الْفِعْل لَهُم كَأَنَّهُ قَالَ أخرقت السَّفِينَة لترسو فِي الْبَحْر فيغرق فِيهِ أَهلهَا،وَقَرَأَ الْبَاقُونَ "لتغرق" بِالتَّاءِ "أَهلهَا"نصبا وحجتهم قَوْله تَعَالَى "أخرقتها" فَجعلُوا الْفِعْل الثَّانِي مثل الأول وَيُقَوِّي هَذَا قَوْله "لقد جِئْت شَيْئا إمرا" (٢).

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ مُسْتَفِيضَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ، مُتَّفِقَتَا الْمَعْنَى وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَلْفَاظُهُمَا، فَبِأَيِّ ذَلِكَ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمُصِيبٌ، وَإِنَّمَا قُلْنَا: هُمَا مُتَّفِقَتَا الْمَعْنَى، لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ إِنكارَ مُوسَى عَلَى الْعَالِمِ خَرْقَ السَّفِينَةِ إِنَّمَا كَانَ لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِغَرَقِ أَهْلِهَا إِذَا أَحْدَثَ مِثْلَ ذَلِكَ الْحَدَثَ فِيهَا فَلَا خِفَاءَ عَلَى أَحَدٍ مَعْنَى ذَلِكَ قُرِئَ بِالتَّاءِ وَنَصْبِ الْأَهْلِ، أَوْ بِالْيَاءِ وَرَفْعِ الْأَهْلِ (٣)

وفي اللام في قوله "لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا" وجهان: أحدهما: هي لام العلة، والثاني: هي لام الصَّيرورة.(٤)

وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ"لِيُغْرَقَ" بِالْيَاءِ"أَهْلُهَا" بِالرَّفْعِ فَاعِلُ يُغْرَقُ، فَاللَّامُ عَلَى قِرَاءَةِ الْجَمَاعَةِ فِي"لِتُغْرِقَ" لَامُ الْمَآلِ مِثْلُ" لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً" وَلَمْ يَقُلْ لِتُغْرِقَنِي، لِأَنَّ الَّذِي غَلَبَ عَلَيْهِ فِي الْحَالِ فَرْطُ الشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ، وَمُرَاعَاةُ حَقِّهِمْ وخصهم بالذكر دون نفسه لأنها شفقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم قال موسي عليه السلام" لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا"

---

(١) ينظر: معاني القراءات للأزهري محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)،(١١٥/٢)، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

(٢) ينظر: حجة القراءات عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ) (ص: ٤٢٣) محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري (١٥/ ٣٣٧)

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (١٢/ ٥٣٥)

منكراً شديداً، قال القتبي: إِمْراً أي داهية وكذلك"نُكْراً"، إلا أن النكر أشد استعظاماً بالعين وإنكاراً بالقلب(١).

وكلمة" إمْرا " جاءت في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالي" لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا أي شيئا عظيما، من أمر الأمر: إذا عظم(٢).

وقوله تعالي"أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً" استفهام تقرير وتعريض باللوم على عدم الوفاء بما التزم، أي أتقر أني قلت إنك لا تستطيع معي صبرا، و" مَعِيَ" ظرف متعلق ب " تَسْتَطِيعَ"، فاستطاعة الصبر المنفية هي التي تكون في صحبته لأنه يرى أمورا عجيبة لا يدرك تأويلها، فذكّره الخضر بما تقدم من الشرط، ونلحظ هنا أن موسى عليه السلام لم يكتف بالاستفهام "أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا"بل تعدَّى إلى اتهامه بأنه أتى أمراً منكراً فظيعاً؛ لأن كلام موسى النظري شيء ورؤيته لخرق السفينة وإتلافها دون مبرر شيء آخر؛ لأن موسى استحضر بالحكم الشرعي إتلاف مال الغير، فضلاً عن إغراق ركاب السفينة، فرأى الأمر ضخماً والضرر كبيراً.(٣)

وفي قوله "قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِما نَسِيتُ" تورية حيث أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان لإيهامه بأنه قد نسي ليبسط عذره في الإنكار وبعضهم يسمي هذا النوع من معاريض الكلام، والمعاريض جمع معراض وهو هنا إيهام خلاف المراد لئلا يلزم الكذب وهو فن ظريف من فنونهم ولعله أجمل أنواع التورية التي سبق ذكرها(٤).

و"مَا" في قوله "لَا تُؤَاخِذْنِي بِما نَسِيتُ" يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ "مَا" مَصْدَرِيَّةً، أَيْ: لَا تُؤَاخِذْنِي بِنِسْيَانِي أَوْ مَوْصُولَةً، أَيْ:لَا تُؤَاخِذْنِي بِالَّذِي نسيته، وهو قول الخضر"فَلا تَسْئَلْنِي

(١) ينظر: بحر العلوم أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، (٢/ ٣٥٦)، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير]، تفسير العز بن عبد السلام، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي) أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، (٢/ ٢٥٦)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، تفسير القرطبي (١١/ ١٩).

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (٢/ ٧٣٥).

(٣) ينظر: محاسن التأويل محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، (٧/ ٤٩)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت، ط١، ١٤١هـ، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٧)، التحرير والتنوير (١٥/ ٣٧٦)، تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٩٦٠).

(٤) ينظر: إعراب القرآن وبيانه محي الدين درويش (٦/ ١٢).

عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً" فَالنِّسْيَانُ إِمَّا عَلَى حَقِيقَتِهِ عَلَى تَقْدِيرِ أَنَّ مُوسَى نَسِيَ ذَلِكَ، أَوْ بِمَعْنَى التَّرْكِ عَلَى تَقْدِيرِ أَنَّهُ لَمْ يَنْسَ مَا قَالَهُ لَهُ، وَلَكِنَّهُ تَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ، وقيل إنه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه، "وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً "ولا تغشني عسراً من أمري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي، فإن ذلك يعسر على متابعتك[1].

وموسى- عليه السلام- رد معتذرا لما فرط منه وقال "لا تُؤَاخِذْنِي" أيها العبد الصالح، بما نسيت، أي: بسبب نسياني لوصيتك في ترك السؤال والاعتراض حتى يكون لي منك البيان "وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً" أي: ولا تكلفني من أمري مشقة في صحبتي إياك، والمراد: التمس لي عذرا بسبب النسيان، ولا تضيق على الأمر، فإن في هذا التضييق ما يحول بيني وبين الانتفاع بعلمك، وكأن موسى- عليه السلام- الذي اعتزم الصبر وقدم المشيئة، ورضى بشروط الخضر في المصاحبة.. كأنه قد نسى كل ذلك أمام المشاهدة العملية، وأمام التصرف الغريب الذي صدر من الخضر دون أن يعرف له سببا، وهكذا الطبيعة البشرية تلتقي في أنها تجد للتجربة العملية وقعا وطعما، يختلف عن الوقع والطعم الذي تجده عند التصور النظري[2].

الدلالة القرآنية في قوله تعالي "فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا""قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ""قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا" "الكهف: ٧١ – ٧٣"

ومن دلالة التعبير المجازي في قوله تعالى"فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا" فالخرق كان للسفينة وهي محل لراكبيها، والتعبير هنا أمام بدائل ممكنة، لتغرقها، أو لتغرقها وأهلها، أو لتغرق أهلها، فمع التعبيرين الأول والثاني يكون التعبير مباشرا لا مجاز فيه، ويكون حسب المتوقع من الحدث الذي تم من العبد الصالح، أما مع التعبير الثالث فيكون على المجاز، إذ إن الغرق يكون للسفينة أولا فيغرق من فيها، والخروج إلى المجاز من باب فنية اللغة الأدبية،

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٧)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، (٣/ ٢٨٨)، ت/ محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط ا.د محمد سيد طنطاوي (٨/ ٥٥٥).

ويحقق العدول في التعبير ما يماثل المفاجأة التي حصلت لموسى عليه السلام عندما رأى عمل العبد الصالح، فترك التعبير بالمحل إلى الحالين به؛ إذ هم أهم بالنسبة لموسى عليه السلام، ولكن المفاجأة والاستغراب لم يغيرا الموازين لدى النبي موسى عليه السلام، فالخرق الذي أحدثه العبد الصالح في السفينة من المؤكد أنه يغرقها فيغرق من فيها، ولكن النبي كان ينظر إلى الإنسان بعين الاهتمام أكثر مما كان ينظر إلى السفينة، فاتفق اللفظ مع ما في النفس.(١)

وقبل قوله "فَانْطَلَقَا" كلام محذوف، قال أبو حيان: "في الكلام حذف تقديره فخرجا من السفينة ولم يقع غرق بأهلها فانطلقا(٢)"، وحصل التقدير لإزالة الغموض بعد خرق السفينة.

وقد عبر النص القرآني بالفعل "فَانْطَلَقَا" الذي يدل ويعبر عن روح القصة المليئة بالحيوية والإثارة والحركة والتشويق ايضاً ظهور شخصيات واختفاء أخري عن مسرح الأحداث في القصة من الوسائل التي اضفت علي القصة مزيداً من الحركة والتشويق مثل شخصية الفتي والحوت حيث غابا عن مسرح الأحداث بعد أن اديا الوظيفة التي من اجلها جاءا في القصة (٣).

وفِي خَرْقِ السَّفِينَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لِلْوَلِيِّ أَنْ يُنْقِصَ مَالَ الْيَتِيمِ إِذَا رَآهُ صَلَاحًا، مِثْلَ أَنْ يَخَافَ عَلَى رِيعِهِ ظَالِمًا فَيُخَرِّبُ بَعْضَهُ، وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ: يَجُوزُ لِلْوَلِيِّ أَنْ يُصَانِعَ السُّلْطَانَ بِبَعْضِ مَالِ الْيَتِيمِ عَنِ الْبَعْضِ(٤).

وقوله"حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ" ومَعْنَى الْغَايَةِ فِي"حَتَّى" دَلَّ عَلَى أَنَّ الرُّكُوبَ كَانَ بَعْدَ الِانْطِلَاقِ وَإِذَا كَانَ بَعْدَهُ فَهُوَ مُسْتَقْبَلٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ، وبني نظم الكلام على تقديم الظرف على عامله للدلالة على أن الخرق وقع بمجرد الركوب في السفينة، لأن في تقديم الظرف اهتماما به، فيدل على أن وقت الركوب مقصود لإيقاع الفعل فيه، وإذا ظرف للزمان

(١) ينظر: دراسة أسلوبية في سورة الكهف، مروان محمد سعيد عبد الرحمن، (ص١٩٩).

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢٠٧).

(٣) ينظر: جماليات الترابط في قصص سورة الكهف بحث للدكتور /علي بن محمد الحمودي (ص٢٢).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٩)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د وهبة بن مصطفى الزحيلي، (١٥/ ٢٩٩)، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.

الماضي هنا، وليست متضمنة معنى الشرط، وهذا التوقيت يؤذن بأخذه في خرق السفينة حين ركوبهما، وفي ذلك ما يدل إلى أن الركوب فيها كان لأجل خرقها لأن الشيء المقصود يبادر به قاصده لأنه يكون قد دبره وارتآه من قبل(١).

وفي قول موسى "لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ" ما يدل على أن النسيان لا يقتضي المؤاخذة، وأنه لا يدخل تحت التكليف، ولا يتعلق به حكم طلاق ولا غيره، فالناسي غير مؤاخذ بنسيانه لا في حق الله، ولا في حقوق العباد لقوله تعالي "لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ"(٢).

وفي قوله "قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا " دلالة علي ايجابية موسي عليه السلام ودلالة على أن موسى عليه السلام إنما حمله على المبادرة بالإنكار الالتهاب والحمية للحق، ومن تلك المواقف إنكاره علي العبد الصالح خرق السفينة فالذي حمله علي المبادرة بالإنكار ليس الخوف علي نفسه من الغرق فقال للعبد الصالح "قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا " ولم يقل لتغرقنا، فنسي نفسه واشتغل بغيره، في الحالة التي كل أحد فيها يقول نفسي نفسي، لا يلوى على مال ولا ولد، وتلك حالة الغرق، فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين(٣).

ومن دلالات الإرادات الثلاث الواردة في سورة الكهف الآيات "٧٩، ٨١، ٨٢"في قوله "فأردتُ، فأردنا، فأرادَ ربُّكَ" .

ما جاء في أول القصة "فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا""الكهف: ٧٩"وفي الثانية "فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُما" وفي الثالثة "فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا" وإنما انفرد أولا في الإرادة لأنها لفظة عيب، فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه، كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله "وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ""الشعراء: ٨٠"، فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله تعالى، وأسند المرض

(١) ينظر: الروض الأنف لابن هشام السهيلي (٤/ ١٠٩)، التحرير والتنوير (١٥/ ٣٧٥).

(٢) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د وهبة بن مصطفى الزحيلي، (١٥/ ٢٩٩)، تفسير القرطبي (١١/ ٢٠)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٤٨٤).

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٧٣٤)، محاسن التأويل محمد جمال القاسمي (٥٤/٧).

إلى لنفسه، إذ هو معنى نقص ومصيبة، وهذا المنزع يطرد في فصاحة القرآن كثيرا، ألا ترى إلى تقديم فعل البشر في قوله تعالى " فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ""الصف: ٥"، وتقديم فعل الله تعالى في قوله "ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا " "التوبة: ١١٨"، وإنما قال الخضر في الثانية" فَأَرَدْنا "لأنه أمل قد كان رواه هو وأصحابه الصالحون، وتكلم فيه في معنى الخشية على الوالدين، وتمنى البديل لهما، وإنما أسند الإرادة في الثالثة إلى الله تعالى، لأنها في أمر مستأنف في الزمن طويل غيب من الغيوب، فحسن إفادة هذا الموضع بذكر الله تعالى، وإن كان الخضر قد أراد أيضا ذلك الذي أعلمه الله أنه يريده، فهذا توجيه فصاحة هذه العبارة بحسب فهمنا المقصر، والله أعلم [١].

يقول الإمام القرطبي: إِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ أَضَافَ الْخَضِرُ قِصَّةَ اسْتِخْرَاجِ كَنْزِ الْغُلَامَيْنِ لله تعالى، وقال في خرق السفينة "فأرادت أَنْ أَعِيبَهَا" فَأَضَافَ الْعَيْبَ إِلَى نَفْسِهِ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّمَا أَسْنَدَ الْإِرَادَةَ فِي الْجِدَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهَا فِي أَمْرٍ مُسْتَأْنَفٍ فِي زَمَنٍ طَوِيلٍ غَيْبٍ مِنَ الْغُيُوبِ، فَحَسُنَ إِفْرَادُ هَذَا الْمَوْضِعِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ كَانَ الْخَضِرُ قَدْ أَرَادَ ذَلِكَ فَالَّذِي أَعْلَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُرِيدَهُ، وَقِيلَ: لَمَّا كَانَ ذَلِكَ خَيْرًا كُلَّهُ أَضَافَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَضَافَ عَيْبَ السَّفِينَةِ إِلَى نَفْسِهِ رِعَايَةً لِلْأَدَبِ لِأَنَّهَا لَفْظَةُ عَيْبٍ فَتَأَدَّبَ بِأَنْ لَمْ يُسْنِدِ الْإِرَادَةَ فِيهَا إِلَّا إِلَى نَفْسِهِ [٢].

يقول الإمام الرازي: بَقِيَ فِي الْآيَةِ سُؤَالٌ، وَهُوَ أَنَّهُ قَالَ "فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها"وَقَالَ "فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً" وَقَالَ "فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما" كَيْفَ اخْتَلَفَتِ الْإِضَافَةُ فِي هَذِهِ الْإِرَادَاتِ الثَّلَاثِ وَهِيَ كُلُّهَا فِي قِصَّةٍ وَاحِدَةٍ وَفِعْلٍ وَاحِدٍ؟ وَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الْعَيْبَ أَضَافَهُ إِلَى إِرَادَةِ نَفْسِهِ فَقَالَ " أَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا" وَلَمَّا ذَكَرَ الْقَتْلَ عَبَّرَ عَنْ نَفْسِهِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْعُظَمَاءِ فِي عُلُومِ الْحِكْمَةِ فَلَمْ يُقْدِمْ عَلَى هَذَا الْقَتْلِ إِلَّا لِحِكْمَةٍ عَالِيَةٍ، وَلَمَّا ذَكَرَ رِعَايَةَ مَصَالِحِ الْيَتِيمَيْنِ لِأَجْلِ صَلَاحِ أَبِيهِمَا أَضَافَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ الْمُتَكَفِّلَ بِمَصَالِحِ الْأَبْنَاءِ لِرِعَايَةِ حَقِّ الْآبَاءِ لَيْسَ إلا الله سبحانه وتعالى. [٣]

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٥٣٧/٣).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١١/ ٣٩).

(٣) ينظر: التفسير الكبير للرازي (٢١/ ٤٩٣/٤٩٢).

يقول العلامة القاسمي:ولقد تأملت من فصاحة هذه الآي، والمخالفة بينها في الأسلوب عجبا، ألا تراه في الأولى أسند الفعل إلى ضميره خاصة بقوله: " فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها" وأسنده في الثانية إلى ضمير الجماعة والمعظم نفسه في قوله " فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما"، "فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما "ولعل إسناد الأول إلى نفسه خاصة من باب الأدب مع الله تعالى، لأن المراد "ثم عبت" فتأدب بأن نسب الإعابة إلى نفسه، وأما إسناد الثاني إلى الضمير المذكور فالظاهر أنه من باب قول خواص الملك (أمرنا بكذا أو دبرنا كذا) وإنما يعنون "أمر الملك ودبّر" ويدل على ذلك قوله في الثالثة: " فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما "فانظر كيف تغايرت هذه الأساليب، ولم تأت على نمط واحد مكرر، يمجها السمع وينبو عنها، ثم انطوت هذه المخالفة على رعاية الأسرار المذكورة. فسبحان اللطيف الخبير[1].

فقال فِي الأول"فَأَرَدْت أَن أعيبها" وَفِي الثَّانِي "فأردنا أَن يبدلهما ربهما" وَفِي الثَّالِث "فَأَرَادَ رَبك أَن يبلغَا أشدهما" لِأَن الأول فِي الظَّاهِر إِفْسَاد فأسنده إِلَى نَفسه وَالثَّالِث إنعام مَحْض فأسنده إِلَى الله عز وَجل وَالثَّانِي إِفْسَاد من حَيْثُ الْقَتْل إنعام من حَيْثُ التَّأْوِيل فأسنده إِلَى نَفسه وَإِلَى الله عز وَجل، وقيل في قوله "فَأَرَادَ رَبك أَن يبلغَا أشدهما" ويلاحظ أنه هنا أسند الإرادة إلى الله تعالى لأن بلوغهما الحلم لا يقدر عليه إلا الله، وأما في السفينة، فأسند الفعل إلى الخضر العالم، فقال تعالى: "فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها" كما أن الأدب يقضي إسناد الخير إلى الله، والشر إلى العباد [2].

ففي الآيات دلالة علي مظاهر الإعجاز في هذا القرآن فلا تجد حرفا فيه إلا وهو في محله، وفي مكانه، ووجوده فيه في غاية الحكمة، ويعطي في المكان الذي هو فيه من المعاني العجيب، فمثلا تلاحظ أنّ الخضر لمّا علل لأفعاله الثلاثة قال في الأولى"فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها" وقال في الثانية" فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً" وقال في الثالثة "فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما" ففي الثالثة أسند الإرادة إلى الله وحده، لأن بلوغهما

(١) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٧/ ٥٥).

(٣) ينظر: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عيدالكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (المتوفى ٧١٦ هـ)، (ص٤١٧)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، التفسير المنير للزحيلي (١٦/ ١١).

الحلم لا يقدر عليه إلا الله، ولأنه إنعام محض، فكان كمال الأدب أن يسند الفعل إلى الله، وفي المرة الثانية قال" فَأَرَدْنا"لأنه إفساد من حيث الفعل، إنعام من حيث التبديل، فلم ينسبه إلى نفسه منفردة صراحة، ولم ينسبه إلى الله صراحة، وفي المرة الأولى قال" فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها "نسبة إلى نفسه فقط، لأنه إفساد في الظاهر وهو فعله فكانت دقته في التعبير نموذجا على كمال أدبه، فهو تعليم لنا، وأدب من أدب الأولياء مع الله، وقد دلنا ما رأيناه على ما في هذا القرآن من الدقة بحيث إنّ كل حرف في مكانه، وكل كلمة في مكانها، وكلّ آية في مكانها، وكل سورة في مكانها، من الكمال بما لا يحيط به إلا الله: ومن ثم فإن المعاني التي تتولد عن دراسة كتاب الله لا حدّ لها[1].

(١) ينظر: الأساس في التفسير سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، (٦/ ٣٢١٤)، دار السلام – القاهرة، ط٦، ١٤٢٤ هـ.

المطلب الثاني
الموقف من الغلام - التفسير والدلالة

تفسير قوله تعالي "فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا" "قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا" "قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا" "الكهف ٧٤/٧٦"

فانطلقا بعد نزولهما من السفينة وسلامتهما من الغرق والعطب يمشيان على الساحل، فأبصر الخضر غلامًا يلعب مع لداته وأترابه، فقتله، ولم يبين القرآن كيف قتله، أحز رأسه، أم ضرب رأسه بالجدار، أم بطريق آخر؟ وعلينا أن لا نهتم بذلك، إذ لو علم الله فيه خيرًا لنا لذكره، ولكن بيّنته السنة فقد روى البخاري بسنده عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "... ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ فَبَيْنَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذْ أَبْصَرَ الخَضِرُ غُلاَمًا يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الخَضِرُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى:"أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا"[(١)].

وهذه فعلة أشد من سابقتها وقعا، وأفدح خطبا، وأنكر نكرا، إذ كانت الأولى في متاع من متاع الدنيا، أما هذه، فقد وقعت على نفس إنسانية بريئة براءة الطفولة، لم تقترف إثما، ولم تأت منكرا، ومن أجل هذا ينسى موسى وجوده كلّه، ولا يذكر الشرط الذي بينه وبين صاحبه، ولا يلتفت إلى زلّته التي زلّها منذ قليل مع أستاذه، واعتذاره له.. فيصرخ صرخة عالية مدوّية "أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا"[(٢)].

قوله تعالي "غُلَامًا" يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْغُلَامَ هُوَ الشَّابُّ وَأَصْلُهُ مِنَ الِاغْتِلَامِ وَهُوَ شِدَّةُ الشَّبَقِ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الشَّبَابِ، وَأَمَّا تَنَاوُلُ هَذَا اللَّفْظِ لِلصَّبِيِّ الصَّغِيرِ فَظَاهِرٌ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ كَيْفَ لَقِيَاهُ هَلْ كَانَ يَلْعَبُ مَعَ جَمْعٍ مِنَ الْغِلْمَانِ الصِّبْيَانِ أَوْ كَانَ مُنْفَرِدًا؟ وَهَلْ كَانَ مُسْلِمًا أَوْ كَانَ كَافِرًا؟ وَهَلْ كَانَ مُنْعَزِلًا؟ وَهَلْ كَانَ بَالِغًا أَوْ كَانَ صَغِيرًا؟ وقوله "قَالَ

---

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي (١٦/ ٤٤٨) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، (٥/ ٩٠٣)، والحديث اخرجه البخاري في صحيحه، (٦/ ٨٩).

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) (٨/ ٦٥٤)، دار الفكر العربي – القاهرة.

أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا"لم يطِقْ مُوسىَ صبرًا على ما رأى من قتله الغلام فقال في استفهام إنكاري: أقتلت نفسا طاهرة بريئة دون أن ترتكب تلك النفس جريمة تستحق عليها القتل؟ ثم أصدر عليه حكما حاسمًا بأنه ارتكب أمرًا خطيرا منكرًا [١].

ذهب بعض المفسرين إلى أن موقف موسى عليه السلام من الاعتراض على الحوادث التي يخالف ظاهرها شريعة التوراة، منسجم تمام الانسجام مع أحكام التوراة، ولو لم يقف هذا الموقف لكان مؤاخذًا بموجب شريعته. [٢]

ومفاد الآية، أن إنكار موسى لقتل الغلام لكونه جناية بغير موجب، ولذا قال"بغير نفس" لا لكونه صغيرا لم يبلغ الحنث، لأن الآية لا تفيده، وقد يكون كبيرا، فقد قال اللغويون: الغلام الطارّ الشارب، أو من حين يولد إلى أن يشبّ، والكهل أيضا، ومن الأخير قول موسى في قصة الإسراء عن النبيّ صلى الله عليه وسلم:"أبكي لأن غلاما بعث بعدي"، [٣] ربما يشعر بصغره حديث البخاريّ:[٤]وجد غلمانا يلعبون فأخذ غلاما فذبحه قال موسى: أقتلت نفسا لم تعمل بالحنث [٥].

وقوله" نَفْسًا زَاكِيَةً" قَالُوا مَعْنَى ذَلِكَ: الْمُطَهَّرَةَ الَّتِي لَا ذَنْبَ لَهَا، وَلَمْ تُذْنِبْ قَطُّ لِصِغَرِهَا، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الزَّاكِيَةُ الَّتِي لَمْ تُذْنِبُ وَالزَّكِيَّةُ الَّتِي أَذْنَبَتْ ثُمَّ تَابَتْ، وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قُرَّاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ "نَفْسًا زَكِيَّةً" بِمَعْنَى: التَّائِبَةِ الْمَغْفُورِ لَهَا ذُنُوبُهَا [٦].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٤٨٦).

(٢) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص: ٢٨٣)

(٣) ينظر: صحيح البخاري كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ، (١٠٩/٤)، (ح ٣٢٠٧).

(٤) ينظر: صحيح البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف٦١]، (٨٩/٦)، (ح ٤٧٢٦).

(٥) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٧/ ٥٧).

(٦) ينظر: تفسير الطبري، (١٥/ ٣٤٠)، مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٤٨٧).

ووصف النفس بالزاكية لأنها نفس غلام لم يبلغ الحلم فلم يقترف ذنبا فكان زكيا طاهرا. والزكاء: الزيادة في الخير(١).

وقوله"بِغَيْرِ نَفْسٍ" يقتضي أنه لو كان عن قتل نفس لم يكن به بأس، وهذا يدل على كبر الغلام وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس، ولا بغير نفس (٢).

وقوله تعالي "نُكْرًا " النون من قوله "نكرا "هي نصف القرآن، أي نصف حروفه، وهذا مخالف لقول الجمهور الذين قالوا: إن نصف القرآن هو حرف التاء من قوله تعالى"وليتلطف"في هذه السورة(٣).

وكلمة "نُكْرًا " تكررت في القرآن الكريم ثلاث مرات قال تعالي" أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ""الكهف ٧٤"، وقوله "قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا" "الكهف٨٧" وقوله تعالي "فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ" "القمر٦ " واختلف في النُكر هل هو أشدُّ من الإمْر أَمْ أَخفُّ منه (٤).

فقيل: أن النُّكْرُ أَعْظَمُ مِنَ الْإِمْرِ فِي الْقُبْحِ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ قَتْلَ الْغُلَامِ أَقْبَحُ مِنْ خَرْقِ السَّفِينَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ مَا كَانَ إِتْلَافًا لِلنَّفْسِ لِأَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ لا يحصل الغرق، أما هاهنا حَصَلَ الْإِتْلَافُ قَطْعًا فَكَانَ أَنْكَرَ، وَقِيلَ إِنَّ قَوْلَهُ"لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً " أَيْ عَجَبًا، وَالنُّكْرُ أَعْظَمُ مِنَ الْعَجَبِ، وَقِيلَ النُّكْرُ مَا أَنْكَرَتْهُ الْعُقُولُ وَنَفَرَتْ عَنْهُ النُّفُوسُ فَهُوَ أَبْلَغُ فِي تَقْبِيحِ الشَّيْءِ مِنَ الْإِمْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: الْإِمْرُ أَعْظَمُ قَالَ: لِأَنَّ خَرْقَ السَّفِينَةِ يؤدي إلى إتلاف نفوس كثيرة وهذ الْقَتْلُ لَيْسَ إِلَّا إِتْلَافَ شَخْصٍ وَاحِدٍ وَأَيْضًا الْإِمْرُ هُوَ الدَّاهِيَةُ الْعَظِيمَةُ فَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ النُّكْرِ(٥).

يقول صاحب المحرر الوجيز: وقد اختلف الناس أيهما أبلغ قوله "إِمْراً" أو قوله"نُكْراً" فقالت فرقة هذا قتل بين، وهناك مترقب ف"نُكْراً" أبلغ وقالت فرقة هذا قتل واحد، وذلك قتل

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٧٨)

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الاندلسي (٣/ ٥٣٢).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٧٨).

(٤) ينظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم د/ محمد محمد داود (ص٥٠).

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٤٨٧).

جماعة ف "إِمْراً " أبلغ وعندي أنهما المعنيين، قوله "إِمْراً " أفظع وأهول من حيث هو متوقع عظيم، "ونُكْراً "أبين في الفساد لأن مكروهه قد وقع[١].

وقتل النفس أشد من خرق السفينة، لذا قال موسى في القتل: " لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً" وقال في الخرق "لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً "والنكر أعظم قبحا من الإمر[٢].

يقول صاحب البحر المحيط: وَالنُّكْرُ قِيلَ: أَقَلُّ مِنَ الْإِمْرِ لِأَنَّ قَتْلَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ أَهْوَنُ مِنْ إِغْرَاقِ أَهْلِ السَّفِينَةِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ شَيْئًا أَنْكَرَ مِنَ الْأَوَّلِ، لِأَنَّ الْخَرْقَ يُمْكِنُ سَدُّهُ وَالْقَتْلُ لَا سَبِيلَ إِلَى تَدَارُكِ الْحَيَاةِ مَعَهُ[٣].

والذي يظهرمن خلال ما سبق أن النُكر اشد من الإمر لأن الإمر يوصف به الشي العظيم سيئاً ام حسناً، أما النكر فلا يوصف الإّ ما تنكره القلوب وتستقبحه العقول . والله اعلم.

وفي قوله تعالي "قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا" نبَّهه الخضر عليه السلام إلى خروجه عما عاهده عليه للمرة الثانية، وأكد ذلك بزيادة الجار والمجرور"لك" أي إن هذا هو ما قلته لك لا لغيرك، ولكنك لم تلتزم بما تعهدت لي به في قولك"سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا" ففي قوله

" أَلَمْ أَقُلْ لَكَ "زجر وإغلاظ ليس في قوله أولا"أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً"فكان عتاب الخضر في المرة الثانية أشد لقوله" أَلَمْ أَقُلْ لَكَ" وزيادة"لَكَ" لزيادة التأنيب والتقريع على عدم الصبر في المرة الثانية[٤].

ففي قَوْلِهِ " لَكَ" زَجْرٌ وَإِغْلَاظٌ لَيْسَ فِي الْأَوَّلِ لِأَنَّ مَوْقِعَهُ التَّسَاؤُلُ بِأَنَّهُ بَعْدَ التَّقَدُّمِ إِلَى تَرْكِ السُّؤَالِ وَاسْتِعْذَارِ مُوسَى بِالنِّسْيَانِ أَفْظَعُ وَأَفْظَعُ فِي الْمُخَالَفَةِ لِمَا كَانَ أَخَذَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الصَّبْرِ وَانْتِفَاءِ الْعِصْيَانِ.[٥]

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٣٢).

(٢) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د وهبة بن مصطفى الزحيلي، (١٥/ ٢٩٩).

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢٠٨)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٧٣٦).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٣٢)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د وهبة بن مصطفى الزحيلي، (١٥/ ٢٩٩)

(٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢٠٩).

واللام في قوله "لَكَ" لام التبليغ، وهي التي تدخل على اسم أو ضمير السامع لقول أو ما في معناه نحو: قلت له، وأذنت له، وفسرت له وذلك عند ما يكون المقول له الكلام معلوما من السياق فيكون ذكر اللام لزيادة تقوي الكلام وتبليغه إلى السامع، ولذلك سميت لام التبليغ، ألا ترى أن اللام لم يحتج لذكره في جوابه أول مرة "أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً"، فكان التقرير والإنكار مع ذكر لام تعدية القول أقوى وأشد [١].

وقوله تعالي"قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا "وهنا لم يعتذر موسى بالنسيان: إما لأنه لم يكن نسي، ولكنه رجح تغيير المنكر العظيم، وهو قتل النفس بدون موجب، على واجب الوفاء بالالتزام وإما لأنه نسي وأعرض عن الاعتذار بالنسيان لسماجة تكرر الاعتذار به، وعلى الاحتمالين فقد عدل إلى المبادرة باشتراط ما تطمئن إليه نفس صاحبه بأنه إن عاد للسؤال الذي لا يبتغيه صاحبه فقد جعل له أن لا يصاحبه بعده [٢].

وطلب موسي عليه السلام لترك الصحبة في قوله"قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي" مَعَ الْعِلْمِ بِشِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى مُصَاحَبَتِهِ فَهَذَا كَلَامُ نَادِمٍ شَدِيدِ النَّدَامَةِ[٣].

الدلالة القرآنية في قوله تعالي"فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا" "قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا""قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا" "الكهف ٧٤/٧٦"

الجدير بالذكر أن الغلام غير معروف، والحدث غير معقول، وهذان عنصران فيهما غموض وتشويق، يحثان المتلقي للاستمرار في محاورة النص وتأويله، لمعرفة الأسباب في القتل، أو الغموض في غياب اسم الغلام، والنص القرآني يوظف في كل مشهد من نصوصه القصصية على هذا الإطار[٤].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ٦).

(٣) ينظر: التفسير الكبيرللفخر الرازي (٢١/ ٤٨٧)

(٤) ينظر: رسالة بعنوان " قراءة معاصرة في القص القرآني في ضوء سورة الكهف" د /عبد الباسط مراشدة، د/ عبد الرحيم مراشدة، (ص٢٤)..

وقوله "فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا" يدل تفريع قوله "فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما" عن اعتذار موسى، على أن الخضر قبل عذره وانطلقا مصطحبين، والقول في نظم قوله "حتى إذا لقيا غلاما" كالقول في قوله "حتى إذا ركبا في السفينة" "الكهف: ٧١".

وقوله"فقتله" تعقيب لفعل لقيا تأكيدا للمبادرة المفهومة من تقديم الظرف، فكانت المبادرة بقتل الغلام عند لقائه أسرع من المبادرة بخرق السفينة حين ركوبها، وكلام موسى في إنكار ذلك جرى على نسق كلامه في إنكار خرق السفينة.(١)

يقوا الالوسي:وكان العطف بالفاء التعقيبية ليفيد أن القتل وقع عقيب اللقاء من غير ريث كما يشعر به الاعتراض إذ لو مضى زمان بين اللقاء والقتل أمكن نظرا للأمور العادية اطلاع الخضر فيه من حاله على ما لم يطلع عليه موسى عليه السّلام فلا يعترض عليه هذا الاعتراض(٢).

وفي الآية الكريمة أيضاً دلالة علي أنه يجوز دفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير ويراعي أكبر المصلحتين، بتفويت أدناهما، فإن قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حتى يفتن أبويه عن دينهما، أعظم شرا منه، وبقاء الغلام من دون قتل وعصمته، وإن كان يظن أنه خير، فالخير ببقاء دين أبويه، وإيمانهما خير من ذلك، فلذلك قتله الخضر، وفي الآية أيضاً دلالة علي أن عمل الإنسان في مال غيره، إذا كان على وجه المصلحة وإزالة المفسدة، أنه يجوز، ولو بلا إذن حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير كما خرق الخضر السفينة لتعيب، فتسلم من غصب الملك الظالم، فعلى هذا لو وقع حرق، أو غرق، أو نحوهما، في دار إنسان أو ماله، وكان إتلاف بعض المال، أو هدم بعض الدار، فيه سلامة للباقي، جاز للإنسان بل شرع له ذلك، حفظا لمال الغير، وفي الآية أيضاً دلالة علي أن القتل من أكبر الذنوب لقوله في قتل الغلام"لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا"(٣).

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٧٧).

(٢) ينظر: روح المعاني للألوسي (٨/ ٣١٩).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص٤٨٥)، مطبعة النور، فلسطين الطبعة الاولي ـ ١٩٧٩

قوله تعالي "فَقَتَلَهُ" فيه دلالة علي ان اللِّقاء كان علة للقتل، والفاء للدلالة على أنه كما لقيه قتله من غير ترو واستكشاف حال [١].

وفي قوله"أَقَتَلْتَ نَفْسًا" دلالة علي إنكار المنكر في حينه ركن من أركان الدين ولا يجوز السكوت عليه، ولما ترك بنو إسرائيل هذا الركن من شريعتهم استحقوا لعنة الله على لسان أنبيائهم "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ"[٢]"المائدة: ٧٨، ٧٩".

وقوله تعالي "بِغَيْرِ نَفْسٍ" وفي التعبير بهذا دلالة على أن الذي قتله الخضر لم يكن طفلاً بل كان بالغاً، لأن القود بالنفس لا يكون إلا بعد البلوغ[٣].

وفي قوله تعالي "نُكْراً" دلالة على أن قتل النفس أشد استعظاماً من خرق السفينة، وقال الزجاج:

"نُكْراً "أقل من إمراً، لأن إغراقه من في السفينة كان أعظم عنده من قتل النفس الواحدة [٤].

وفي زيادة " لَكَ" في قوله تعالي" أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً" دلالة علي أنه هنا نَقَضَ الْعَهْدَ مَرَّتَيْنِ، وأيضاً في زيادة لَفْظُ " لَكَ" لِقَصْدِ التَّأْكِيدِ ولبيان أن سَبَبَ الْعِتَابِ أَكْثَرُ، وَمُوجِبَهُ أَقْوَى[٥].

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٨٨)، تفسير بحر العلوم أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) (٢/ ٣٥٧)، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير]

(٢) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص: ٢٨٣)

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) (٦/٤٤٣١) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م

(٤) ينظر: تفسير بحر العلوم (٢/ ٣٥٧).

(٥) ينظر: تفسير البغوي (٣/ ٢٠٨)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٧).

يقول الامام الزمخشري في زيادة قوله"لَك" دلالة علي زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية، والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية [١].

وفي قوله تعالي"ألم أقل إِنَّك" وَبعده قال"ألم أقل لَك إِنَّك" ففي زيادة قوله "لَك" فيها دلالة علي أن الْإِنْكَار فِي الثَّانِيَة أَكثر وَقيل أكد التَّقْدِير الثَّانِي بقوله"لَك" كَمَا تَقول لمن توبخه لَك أَقُول وَإِيَّاك أَعنِي وَقيل بَين فِي الثَّانِي الْمَقُول لَهُ لما لم يبين فِي الأول[٢].

وقوله "إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي" وهذا الكلام من موسى- عليه السلام- يدلك على اعتذاره الشديد للخضر، وعلى شدة ندمه على ما فرط منه، وعلى الاعتراف له بخطئه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لأحد بدأ بنفسه فقال يوما: " رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى، لَوْلَا أَنَّهُ عَجَّلَ لَرَأَى الْعَجَبَ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِنْ صَاحِبِهِ ذَمَامَةٌ، "إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا "[٣].

وأشار بالشرط إلى قوله "إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني "والتزام موسى بذلك ولم يكتبا ذلك ولم يشهدا أحدا، وفيه دلالة على العمل بمقتضى ما دل عليه الشرط فإن الخضر قال لموسى لما أخلف الشرط

"هذا فراق بيني وبينك" ولم ينكر موسى عليهما السلام ذلك، فلم يقع بينه وبين خضر عليهما السلام في ذلك لا إشهاد ولا كتابة وانما وقع ذلك شرطاً بالقول [٤].

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٧٣٦).

(٢) ينظر: أسرار التكرار في القرآن المسمي البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني، (١/ ١٧٠)

(٣) ينظر: التفسير الوسيط ا.د محمد سيد طنطاوي (٨/ ٥٥٧)، تفسير القرطبي (١١ / ٢٣).، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج (١٨٥٠/٤) باب من فضائل الخضر عليه السلام، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، (٨/ ٤٢٠) باب قوله فلما بلغا مجمع بينهما.

(٤) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص: ٢٧٧)، فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر (٥/ ٣٢٦) باب الشروط مع الناس بالقول، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، (٤٤١/٤)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣ هـ.

وقوله"قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً "فيه دلالة علي أَنَّهُ يَمْدَحُهُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ مِنْ حَيْثُ احْتَمَلَهُ مَرَّتَيْنِ أَوَّلًا وَثَانِيًا[1].

أيضاً هناك دلالة في تنكير الغلام وتعريف السفينة في قوله تعالى "فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً "و"فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً " فحسب التفاسير أن الخضر وموسى – عليهما السلام – لم يجدا سفينة لما جاءا إلى الساحل ثم جاءت سفينة مارّة فنادوهما فعرفا الخضر فحملوهما بدون أجر، ولهذا جاءت السفينة معرّفة لأنها لم تكن أية سفينة، أما الغلام فهما لقياه في طريقهم وليس غلاماً محدداً معرّفاً[2].

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي (٢١/ ٤٨٧).

(٢) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي – محاضرات (ص: ٦١)، بترقيم الشاملة آليا)، أعده للشاملة: أبو عبد المعز

المطلب الثالث
الموقف من أصحاب القرية - التفسير والدلالة

تفسيرقوله تعالي"فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا""قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" "الكهف ٧٨/٧٧"

هذا تعريض من موسى بالاعتراض والإنكار؛ إذ كان قد التزم له تركه وألا يصاحبه إن عاوده "قالَ هذا فِراقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً" "الكهف: ٧٨" وذلك فيه ترتيب أحكام التصريح على التعريض إذا أفهم معناه بقرينة؛ لأن الخضر رتب على تعريض موسى بالإنكار من مفارقته ما كان التزمه له بالتصريح به "قالَ هذا فِراقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً" فيه استحباب التبرؤ من التهم وإقامة الأعذار بكشف الأسرار. (١)

والمعني: أي فانطلق موسى والخضر – عليهما السلام– يتابعان سيرهما، حتي حلَّا بإحدى القرى(٢).

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْقَرْيَةِ فَقِيلَ: هي أنطاكية كما روي عن ابن عباس أو الأبلة أو الناصرة ولا يوثق بصحة شيء من هذا، وَهِيَ أَبْخَلُ قَرْيَةٍ وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ، وَقِيلَ: بِجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِ، وَيُذْكَرُ أَنَّهَا الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: هِيَ بَاجِرْوَانُ وَهِيَ بِنَاحِيَةِ أَذْرَبِيجَانَ، وَحَكَى السُّهَيْلِيُّ وَقَالَ: إِنَّهَا بَرْقَةُ، والثَّعْلَبِيُّ: هِيَ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى الرُّومِ يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةُ، وَإِلَيْهَا تُنْسَبُ النَّصَارَى، وَهَذَا كُلُّهُ بِحَسَبِ الْخِلَافِ فِي أَيِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْأَرْضِ كَانَتْ قِصَّةُ مُوسَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ(٣).

---

(١) ينظر: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية نجم الدين بن عيد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي، (١/ ٤١٦).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٨/ ٥٥٨/٥٥٧)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، (٥/ ٩٠٤)

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٤)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٣٣)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي (١٧/ ٢٣)

وقوله "اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا" قال بعضهم: سألاهم، وقال بعضهم:لم يسألاهم، ولكن كان نزولهما بين ظهرانيهم بمنزلة السؤال منهما [1]، والمراد به هنا سؤال الضيافة لأنه هو المناسب لمقام موسى والخضر – عليهما السلام– ولأن قوله تعالى– بعد ذلك "فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما" يشهد له أي: فأبى وامتنع أهل تلك القرية عن قبول ضيافتهما بخلا منهم وشحا، وقد روى أبي بن كعب أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:كَانُوا أَهْلَ قَرْيَةٍ لِئَامًا"[2].

وعن أبي هريرة قال: أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما، فدعا لنسائهم ولعن رجالهم [3].

يقول فضيلة الشيخ الشعراوي قوله "اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا" استطعم: أي طلب الطعام، وطلَبُ الطعام هو أصدق أنواع السؤال، فلا يسأل الطعام إلا جائع محتاج، فلو سأل مالاً لقلنا: إنه يدخره، إنما الطعام لا يعترض عليه أحد، ومنْعُ الطعام عن سائله دليل بُخْل ولُؤْم متأصل في الطباع، وهذا ما حدث من أهل هذه القرية التي مَرّا بها وطلبَا الطعام فمنعوهما، والمتأمل في الآية يجد أن أسلوب القرآن يُصوّر مدى بُخْل هؤلاء القوم ولُؤْمهم وسُوء طباعهم، فلم يقُلْ مثلاً: فأبوا أن يطعموهما بل قال"فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا" وفرْق بين الإطعام والضيافة، أَبَوْا الإطعام يعني منعوهما الطعام، لكن أَبَوْا أن يُضيّفوهما، يعني كل ما يمكن أنْ يُقدَّم للضيف حتى مجرد الإيواء والاستقبال، وهذا مُنْتَهى ما يمكن تصوُّره من لُؤْمْ هؤلاء الناس، وتلحظ أيضاً تكرار كلمة "أَهْلَ" فلما قال "تَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ" فكان المقام للضمير فيقول: استطعموهم لكنه قال"استطعما أَهْلَهَا" لأنهم حين دخلوا القرية هل قابلوا كل أهلها،

---

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥٧).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط ا.د طنطاوي (٨/ ٥٥٨)، السنن الكبرى أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، (١٠/ ١٦٥)، باب قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا} ، حديث رقم ١١٢٤٧، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

(٣) ينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧ هـ)، (٤/ ٢٠٤) اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا نور الدين طالب، دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة – إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلاَمِيّةِ)، ط١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

أم قابلوا بعضهم الذين واجهوهم أثناء الدخول؟ بالطبع قابلوا بعضهم، أما الاستطعام فكان لأهل القرية جميعاً، كأنهما مرّا على كل بيت في القرية وسألا أهلها جميعاً واحداً تلو الآخر دون جدوى، كأنهم مجمعون على البُخْل ولُؤْم الطباع [1].

وقوله: "اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا" في محل الجر على أنه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعماهم على أن يكون صفة لأهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فإن الإباء من الضيافة وهم أهلها قاطنون بها أقبح وأشنع[2].

يقول العلامة القاسمي: فما الحكمة الغراء في وضع ظاهر مكان ضمير؟ إن ذاك لشان يعني أنه عدل عن الظاهر بإعادة لفظ "أهل" ولم يقل "استطعماها"لأنه صفة القرية، أو"استطعماهم" لأنه صفة "أهل" فلا بد له من وجه، وقد أجابوا عنه بأجوبة مطولة نظما ونثرا، والذي تحرر فيه أنه ذكر "الأهل" أولا ولم يحذف إيجازا سواء قدر أو تجوز في القرية كقوله "وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ " "يوسف: ٨٢"، لأن الإتيان ينسب للمكان، نحو "أتيت عرفات" ولمن فيه نحو "أتيت بغداد" فلو لم يذكر كان فيه التباس مخلّ، فليس ما هنا نظير تلك الآية لامتناع سؤال نفس القرية، فلا يستعمل استعمالها، وأما "طاالأهل" الثاني فأعيد لأنه غير الأول، وليست كل معرفة أعيدت عينا كما بينوه، لأن المراد به بعضهم، إذ سؤالهم فردا فردا مستبعد، فلو لم يذكر، فهم غير المراد، أما لو قيل"استطعماهم" فظاهر، وأما لو قيل "استطعماها" فإن النسبة إلى المحل تفيد الاستيعاب، كما أثبتوه في محله، وأما إتيان جميع القرية فهو حقيقة في الوصول إلى بعض منها، كما يقال: "زيد في البلد" أو "في الدار" وقيل: إن الأهل أعيد للتأكيد[3].

يقول الامام الرازي: والضِّيَافَةَ مِنَ الْمَنْدُوبَاتِ فَتَرْكُهَا تَرْكٌ لِلْمَنْدُوبِ وَذَلِكَ أَمْرٌ غَيْرُ مُنْكَرٍ فَكَيْفَ يَجُوزُ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ عُلُوِّ مَنْصِبِهِ أَنَّهُ غَضِبَ عَلَيْهِمُ الْغَضَبَ الشَّدِيدَ الَّذِي لِأَجْلِهِ تَرَكَ الْعَهْدَ الَّذِي الْتَزَمَهُ مَعَ ذَلِكَ الْعَالِمِ فِي قَوْلِهِ"إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي" وَأَيْضًا مِثْلُ هَذَا الْغَضَبِ لِأَجْلِ تَرْكِ الْأَكْلِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ لَا يَلِيقُ بِأَدْوَنِ النَّاسِ فَضْلًا عَنْ كَلِيمِ اللَّهِ، الْجَوَابُ: أَمَّا قَوْلُهُ الضِّيَافَةُ مِنَ الْمَنْدُوبَاتِ قُلْنَا: قَدْ تَكُونُ مِنَ

(١) ينظر: تفسير الشعراوي، (١٤/ ٨٩٦٢، ٨٩٦٣).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٢٣٧).

(٣) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٧/ ٥٥، ٥٦).

الْمَنْدُوبَاتِ، وَقَدْ تَكُونُ مِنَ الْوَاجِبَاتِ بِأَنْ كَانَ الضَّيْفُ قَدْ بَلَغَ فِي الْجُوعِ إِلَى حَيْثُ لَوْ لَمْ يَأْكُلْ لَهَلَكَ وَإِذَا كَانَ التَّقْدِيرُ مَا ذَكَرْنَاهُ لَمْ يَكُنِ الْغَضَبُ الشَّدِيدُ لِأَجْلِ تَرْكِ الْأَكْلِ يَوْمًا، فَإِنْ قَالُوا: مَا بَلَغَ فِي الْجُوعِ إِلَى حَدِّ الْهَلَاكِ بِدَلِيلِ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً وَكَانَ يَطْلُبُ عَلَى إِصْلَاحِ ذَلِكَ الْجِدَارِ أُجْرَةً، وَلَوْ كَانَ قَدْ بَلَغَ فِي الْجُوعِ إِلَى حَدِّ الْهَلَاكِ لَمَا قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ فَكَيْفَ يَصِحُّ مِنْهُ طَلَبُ الْأُجْرَةِ قُلْنَا لَعَلَّ ذَلِكَ الْجُوعَ كَانَ شَدِيدًا إِلَّا أَنَّهُ مَا بَلَغَ حَدَّ الْهَلَاكِ[1].

وقوله تعالي " فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ"أي: وبعد أن امتنع أهل القرية عن استضافتهما، تجولا فيها فَوَجَدا فِيها جِداراً، أي: بناء مرتفعا" يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ" أي: ينهدم ويسقط، يُقَالُ انْقَضَّ إِذَا أَسْرَعَ سُقُوطُهُ مِنَ انْقِضَاضِ الطَّائِرِ وقيل: من الفضة وهي الحصى الصغار، ومنه طعام قضض، إذا كان فيه حصى، فعلى هذا يريد أن ينقض؛ أي: يتفتت فيصير حصاة "فَأَقَامَه" أي الخضر بأن سواه وأعاد إليه اعتداله، أو بأن نقضه وأخذ في بنائه من جديد[2]، فإن قيل: كيف نسبت الإرادة إلى ما لا يعقل؟ فالجواب: أن هذا على وجه المجاز تشبيهاً بمن يعقل، وقوله" يُرِيدُ" لأن هيأته في التهيؤ للوقوع قد ظهرت كما يظهر من أفعال المريدين القاصدين، فوصفت بالإرادة إذ كانت الصورتان واحدة، وقد أضافت العرب الأفعال إلى ما لا يعقل تجوّزا، قال الله عزّ وجلّ "وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى" والغضب لا يسكت وإنما يسكت صاحبه.[3]

واختلف المفسرون في قوله "فَأَقَامَهُ" فقالت فرقة هدمه وقعد يبنيه، ويؤيد هذا التأويل قوله: "لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً" لأنه فعل يستحق أجرا، وَقِيلَ: أقامه بعمود عمده اليه، وَقِيلَ: مَسَحَهُ بِيَدِهِ فَقَامَ وَاسْتَوَى وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ، وقيل: سوّاه لأنه وجده مائلاً، وفي كيفية ما فعل قولان: أحدهما: أنه دفعه بيده فقام، والثاني: هدمه ثم قعد يبنيه، روي القولان عن ابن عباس.[4]

---

(١) ينظر: التفسير الكبيرللرازي (٢١/ ٤٨٨).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط ا.د طنطاوي (٨/ ٥٥٨)، التفسير الكبير للرازي (٢١/ ٤٨٨)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي (١٧/ ١٠).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي، (٣/ ١٦٠)، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ١٠١).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٣٤)، زاد المسير في علم التفسير (١٠٢/٣).

يقول صاحب التحرير والتنوير: ومعنى "يريد أن ينقض" أشرف على الانقضاض، أي السقوط، أي يكاد يسقط، وذلك بأن مال، فعبر عن إشرافه على الانقضاض بإرادة الانقضاض على طريقة الاستعارة المصرحة التبعية بتشبيه قرب انقضاضه بإرادة من يعقل فعل شيء فهو يوشك أن يفعله حيث أراده، لأن الإرادة طلب النفس حصول شيء وميل القلب إليه، وإقامة الجدار: تسوية ميله، وكانت إقامته بفعل خارق للعادة بأن أشار إليه بيده كالذي يسوي شيئا لينا. (١)

وقوله تعالي "قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا" وهنا لم يتمالك موسى- عليه السلام- مشاعره، لأنه وجد نفسه أمام حالة متناقضة، قوم بخلاء أشحاء لا يستحقون العون.. ورجل يتعب نفسه في إقامة حائط مائل لهم.. هلا طلب منهم أجرا على هذا العمل الشاق، خصوصا وهما جائعان لا يجدان مأوى لهما في تلك القرية! لذا بادر موسى- عليه السلام- ليقول للخضر"لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً" أي: هلا طلبت أجرا من هؤلاء البخلاء على هذا العمل حتى تنتفع به، وأنت تعلم أننا جائعان وهم لم يقدموا لنا حق الضيافة، فالجملة الكريمة تحريض من موسى للخضر على أخذ الأجر على عمله، ولوم له على ترك هذا الأجر مع أنهما في أشد الحاجة إليه.(٢)

فإن قلت: كيف جوز موسى طلب الأجر بمقابلة العمل الذي حصل بمجرد الإشارة، وهو من طريق خرق العادة الذي لا مؤنة فيه؟

قلت: لم ينظر إلى جانب الأسباب، وإنما نظر إلى النفع العائد إلى جانب أصحاب الجدار، ألا ترى أنه جوز أخذ الأجرة بمقابلة الرقية بسورة الفاتحة ونحوها، وهو ليس من قبيل طلب الأجر على الدعوة، فإنه لا يجوز للنبي أن يطلب أجرًا من قومه على دعوته وإرشاده، كما أشير إليه في مواضع كثيرة من القرآن، والمعنى: أي قال موسى ذلك تحريضًا للخضر، وحثًا له على أخذ الجعل - الأجر - على فعله، لإنفاقه في ثمن الطعام والشراب وسائر مهام المعيشة. (٣)

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ٨).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط ا.د طنطاوي (٨/ ٥٥٨).

(٣) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبدالله الأرمي العلوي (١٧/ ١٠).

يقول الامام الرازي: وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ الْعَالِمَ لَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ، وَكَانَتِ الْحَالَةُ حَالَةَ اضْطِرَارٍ وَافْتِقَارٍ إِلَى الطَّعَامِ فَلِأَجْلِ تِلْكَ الضَّرُورَةِ نَسِيَ مُوسَى مَا قَالَهُ مِنْ قَوْلِهِ "إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي" فَلَا جَرَمَ قَالَ "لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً" أَيْ طَلَبْتَ عَلَى عَمَلِكَ أُجْرَةً تَصْرِفُهَا فِي تَحْصِيلِ الْمَطْعُومِ وَتَحْصِيلِ سَائِرِ الْمُهِمَّاتِ..... (١)

وقوله تعالي "قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ" مَعْنَاهُ هَذَا فِرَاقٌ حَصَلَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَأُضِيفَ الْمَصْدَرُ إِلَى الظَّرْفِ، حَكَى الْقَفَّالُ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ الْبَيْنَ هُوَ الْوَصْلُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى "لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ" "الانعام ٩٤" فَكَانَ الْمَعْنَى هَذَا فِرَاقُ بَيْنِنَا، أَيِ اتِّصَالُنَا. (٢)

"قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" أَي قال الخضر لموسى عليهما السلام بعد أن اعترض عليه لهدمه الجدار ثم بنائهِ لقوم بُخَلاء: حان لي فراقك وفقا لتعهدك، ولكنى قبل الفراق سأنبئك بتفسير ما قمت به من أعمال استدعت اعتراضك عليها ، لتدرك بواعث وأهداف هذه التصرفات ولكنك تعجلت في الحكم عليها دون أن تدرك أسبابها وتقف على بواعثها.(٣)

والمعني أي: هذا الوقت وقت الفراق بيننا، أو هذا الاعتراض الثالث منك سبب الفراق الموعود بقوله"فَلَاتُصَاحِبْنِي" أو هذا الاعتراض المتوالي منك، هو سبب الفراق بيني وبينك، بحسب ما شرطت على نفسك، وإنما كان هذا الأخير سبب الفراق دون الأولين لأن ظاهرهما منكر، فكان موسى فيهما معذورًا دون هذا، إذ لا ينكر الإحسان إلى المسيء بل يحمد.(٤)

يقول صاحب البحر المحيط: كَانَ قَوْلُ مُوسَى فِي السَّفِينَةِ وَفِي الْغُلَامِ لِلَّهِ، وَكَانَ قَوْلُهُ فِي الْجِدَارِ لِنَفْسِهِ لِطَلَبِ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا فَكَانَ سَبَبَ الْفِرَاقِ، وَقَالَ أَرْبَابُ الْمَعَانِي: هَذِهِ الْأَمْثِلَةُ الَّتِي وَقَعَتْ لِمُوسَى مَعَ الْخَضِرِ حُجَّةٌ عَلَى مُوسَى وَإِعْجَالِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَنْكَرَ خَرْقَ السَّفِينَةِ نُودِيَ: يَا مُوسَى أَيْنَ كَانَ تَدْبِيرُكَ هَذَا وَأَنْتَ فِي التَّابُوتِ مَطْرُوحًا فِي الْيَمِّ؟ فَلَمَّا أَنْكَرَ قَتْلَ الْغُلَامِ قِيلَ لَهُ: أَيْنَ إِنْكَارُكَ هَذَا مِنْ وَكْزِ الْقِبْطِيِّ وَقَضَائِكَ عَلَيْهِ؟ فَلَمَّا أَنْكَرَ

(١) ينظر: التفسير الكبير (٢١/ ٤٨٨، ٤٨٩)، الموسوعة القرآنية (١٠/ ٢٦٢).
(٢) ينظر: التفسير الكبير (٢١/ ٤٨٩).
(٣) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١٧/ ١٢).
(٤) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١٧/ ١١)

إِقَامَةَ الْجِدَارِ نُودِيَ أَيْنَ هَذَا مِنْ رَفْعِكَ الْحَجَرَ لِبَنَاتِ شُعَيْبٍ دُونَ أُجْرَةٍ؟ سَأُنَبِّئُكَ فِي مَعَانِي هَذَا مَعَكَ وَلَا أُفَارِقُكَ حَتَّى أُوَضِّحَ لَكَ ما استبهم عليك.(١)

قوله "هَذَا" إِشَارَةٌ إِلَى مَاذَا؟ وَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ الْأَوَّلُ: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ شَرَطَ أَنَّهُ إِنْ سَأَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ سُؤَالًا آخَرَ يَحْصُلُ الْفِرَاقُ حَيْثُ قَالَ"إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصاحِبْنِي" فَلَمَّا ذَكَرَ هَذَا السُّؤَالَ فَارَقَهُ ذَلِكَ الْعَالِمُ وَقَالَ"هَذَا فِراقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ" أَيْ هَذَا الْفِرَاقُ الْمَوْعُودُ، الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ هَذَا إِشَارَةً إِلَى السُّؤَالِ الثَّالِثِ أَيْ هَذَا الِاعْتِرَاضُ هُوَ سَبَبُ الْفِرَاقِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ"هَذَا" إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ " لَوْ شِئْتَ" أَيْ هَذَا الْإِعْرَاضُ سَبَبُ الْفِرَاقِ "بَيْنِي وَبَيْنِكَ" عَلَى حَسَبِ مَا سَبَقَ مِنْ مِيعَادِهِ، أَنَّهُ قَالَ "إِنْ سَأَلْتُكَ" وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ سُؤَالًا فَإِنَّهَا تَتَضَمَّنُهُ، إِذِ الْمَعْنَى أَلَمْ تَكُنْ تَتَّخِذُ عَلَيْهِ أَجْرًا لِاحْتِيَاجِنَا إِلَيْهِ.(٢)

وقوله "سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" أي: سأخبرك بما أنكرت عليَّ، وأنبئك بما لي في ذلك من المآرب، وما يئول إليه الأمر، وَأَصْلُ التَّأْوِيلِ رَاجِعٌ إِلَى قَوْلِهِمْ آلَ الْأَمْرُ إِلَى كَذَا أَيْ صَارَ إِلَيْهِ وقيل: بعاقبة ومآل ما لم تقدر يا موسى صبرًا عليه من الأفعال الثلاثة التي صدرت مني وهي خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، ومألها خلاص السفينة من اليد الغاصبة، وخلاص أبوي الغلام من شره، مع الفوز ببدل حسن، واستخراج اليتيمين للكنز. (٣)

الدلالة القرآنية في قوله تعالي "فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" "الكهف ٧٧ــ٧٨"

---

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢١٢).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢١/ ٤٨٩)، البحر المحيط في التفسير أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، (٧/ ٢١١)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ.

(٣) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١٧/ ١٢)، مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٤٨٩).

ومن دلالات التكرار اللفظي في قصة موسي والخضر ظهرت العبارات المتكررة في قوله"فانطلقا حتى إذا" في مراحل الحركة الرئيسة، فقال تعالى"فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ""الكهف: ٧١"، وفي قوله تعالى"فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ""الكهف:" ٧٤"وتكررت في قوله تعالى" فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا""الكهف٧٧ "فقد تشكلت من الأحداث الثلاث التي تتابعت في الآيات القصة بعناصرها الموضوعية والشكلية، فكان عنصر الحركة الذي يتفاعل بين الأشخاص والأحداث ليوصل ذلك إلى الذروة القصصية، فمن زاوية يكون الربط الخارجي الشكلي للقصة مع قدرة أسلوبية فائقة في اختزال الزمان والمكان في بؤرة الحدث، فقد تكون أحداث ما بين هذه المراحل، ولكن القارئ لا يشعر بقطع للأحداث وربما لا يريد أن يعرفها لأنه متلهف كما كان موسى عليه السلام أيضا لمعرفة ما يحدث، فالمفارقة في القصة والشعور بالدهشة والتركيز على الحدث الرئيس جعلت من بقية الأحداث الثانوية التي لم تذكر مبررا لحذفها من السرد، فمع كل تكرار كان موسى والسامعون يزدادون إثارة حتى تقف الأحداث وتثبت الصورة لتنكشف الأسرار ولتهدأ النفوس وبعد قوله تعالى

" هذا فراق بيني وبينك" تظهر عبارة جديدة، عبارة التفسير والتأويل لما حصل من أحداث"أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ""الكهف:" ٧٩"ويتبعها قوله تعالى"وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ""الكهف:" ٨٠"ويماثلها قوله تعالى"وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ""الكهف: ٨٢" وهكذا تنتهي قصة موسى مع العبد الصالح بهدوء وارتياح مع شعور داخلي لو أن أحداثا أخرى تأتي فتكشف لنا فنشعر بتلك المتعة النفسية والفكرية والتجربة التي قد لا تمر علينا مثلها إلى يوم يبعثون، فالأدب حقا يجعلك تعيش تجربة لم تمر بها وقد لا تمر بها إلا من خلال الإبداع الأدبي الفني(١).

قوله تعالي" سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ " تظهر دلالة هذه الكلمة علي ان المراد من التأويل تفسير ما غمض معناه مما يحتاج الي إعمال فكر والغوص الي دقائق المعني واعماقه وصرف اللفظ عن ظاهره وعلي هذا يكون التأويل مختص بما غَمُضَ معناه واشتبهت

(١) ينظر: دراسة أسلوبية في سورة الكهف، مروان محمد سعيد عبد الرحمن، (ص٩٠).

مقاصده ولا يقدر عليه إلاّ المتمكنون الراسخون في العلم فالتأويل يتميز بملمح دلالي فارق وهو اختصاصه ببيان ما غمض معناه واشتبهت مقاصده واحتاج الي تعمق وتبصر.(١)

وكذلك دلالة التعبير بالقرية دون المدينة في قوله "حتى إذا أتيا أهل قرية" فعبر بالقرية دون المدينة لأنه أدل على الذم، لأن مادة قرأ تدور على الجمع الذي يلزمه الإمساك، فكان التعبير بالقرية أولاً أليقَ؛ لأنها مشتقة من معنى الجمع، فالتعبير بها أليق بالذِّمِّ في ترك الضيافة؛ لإشعاره ببخلهم حالة الاجتماع، وبمحبتهم للجمع والإمساك.. وبالنظر في ما تقوم عليه مادة كلٍّ من كلمتي " القرية" و" المدينة" فكلمة" قرية" تقوم على معنى الجمع، فالقاف والراء وما يثلثهما فيه معنى الجمع، وهذا ما يستحضر في قلب المتلقي معنى اجتماع أهلها،والآية جاءت في سياق إبراز أن أهل تلك البقعة متصفون بمذمة البخل والإعراض عن إكرام الضيفان، وأنهم مجمعون على مثل هذا، وهذا من أبلغ البخل؛ لأنَّ من يبخل والقوم في جمع كان بخله منفردًا أعظم، وفيه مذمَّة وهي أنّه ليس فيهم من ينهاهم عن تلك المذمَّة، وكأنَّها أضحت فيهم معروفًا غير مستنكر، وهذا من إحالة المنكر معروفًا، وإذا ما بلغت أمة ذلك، فهي الخواء من كلِّ فضل.(٢)

وفي دلالة التعبير بالإتيان والاستطعام في قوله "أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا" ففي الإتيان للبعض، والاستطعام للكل، لأنه أشد ذماً لأهل القرية وأدل على شر طبعها...وفي هذه الآية أدل دلالة على أنه لم يستطعما كل أهل القرية وفيها خصوص- انتهى، وبيان ذلك أن نكرة إذا أعيدت كانت الثانية غير الأولى، وإذا أعيدت معرفة كانت عيناً في الأغلب، وفي التعبير بقوله "فيها" في قوله "فوجدا فيها" أي القرية، ولم يقل: فيهم، إيذاناً ودلالة علي أن المراد وصف القرية بسوء الطبع وكذلك في التعبير بقوله "أجراً " فيه دلالة علي أنه لم يعترض عليه في هذه المرة لعدم ما يُنكر فيها، وإنما ساق ما يترتب عليها من ثمرتها مساق العرض والمشورة غير أنه يتضمن السؤال.(٣)

---

(١) ينظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم د/ محمد محمد داود، (ص ٩٥).

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٢/ ١١٤، ١١٣)، الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن (٣٣٢/١) المؤلف: محمود توفيق محمد سعد، [الكتاب مرقم آليا].

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٢/ ١١٦، ١١٥) بتصرف يسير.

وقوله "اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا" دلالة علي أَنَّ إِقْدَامَ الْجَائِعِ عَلَى الِاسْتِطْعَامِ أَمْرٌ مُبَاحٌ فِي كُلِّ الشَّرَائِعِ بَلْ رُبَّمَا وَجَبَ ذَلِكَ عِنْدَ خَوْفِ الضَّرَرِ الشَّدِيدِ، وفيها أيضاً دلالة علي أن للمسافر أن يستطعم من ينزل به إذا عدم ما يأكله، ولا تكون مسألة، لأنهما سألا حقهما لوجوب الضيافة على أهل المنازل للمارة، ألا تراه يقول"فَأَبَوْا أَنيُضَيِّفُوهُمَا"(١).

وفي الآية أيضاً دلالة علي مشروعية ضيافة عابر السبيل إذا نزل بأحد من الحي أو القرية.(٢)

وفي قوله تعالي"قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا" دلالة أَن موسى عليه السلام لم يعترض على الخضر ولم يصدر عليه حكمًا بالخطأ كما فعل في المرتين السابقتين، فقد استفاد من الدرسين الماضيين واكتفى هنا بقوله: لو أردت أن تنال أجرًا على عملك لنلته، وعلق الأمر هنا على مشيئة الخضر وإرادته، وهنا أدرك الخضر عليه السلام أن موسى قد استفاد بما مر بهما من أحداث، وأثمرت التجربة ثمرتها المرجوة، فأنهى الخضر لقاءه مع موسى عليهما السلام مبينًا له حكمة ما صنع مما لم يستطع موسى الصبر عليه، وفيه أيضاً ودلالة على أخذ الجعل لينتعشا به، أو تعريضاً بأنه فضول لما في"لَوْ " من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه. (٣)

ومن الدلالة أيضاً في قوله "هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" أنه لو آل امر الصحبة الى المفارقة بالاختيار أو بالاضطرار فلا يفارقه ألا على النصيحة فينبئه عن سر ما كان عليه الاعتراض ويخبره عن حكمته التي لم يحط بها

(١) ينظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: ٣٦٠هـ)، (٢/ ٢٢٠)، تحقيق: علي بن غازي التويجري، إبراهيم بن منصور الجنيدل، شايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار النشر: دار القيم، دار ابن عفان، ط١ ١٤٢٤هـ٢٠٠٣ م

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ٨).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء، مجمع البحوث (٥/ ٩٠٥)، الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية نجم الدين بن عيد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ص: ٤١٦)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٨٩).

خبرا ويبين له تأويل ما لم يستطع عليه صبرا لئلا يبقى معه انكار فلا يفلح إذا ابدا، وفيه دلالة على استحباب التبرؤ من التهم وإقامة الأعذار بكشف الأسرار. [١]

ودلالة تكرار "بَيْنِي وَبَيْنِكَ" وعدوله عن بيننا، فلمعنى التأكيد، وأيضاً دلالة السين في قوله "سَأُنَبِّئُكَ" مفرقة بين المحاورتين والصحبتين، ومؤذنة بأن الأولى قد انقطعت، ثم أخبره في مجلسه ذلك وفي مقامه بِتَأْوِيلِ تلك القصص والتأويل هنا المآل.[٢]

ودلالة التعبير بقوله "سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" دون أن يقول بتأويل ما فعلت أو بتأويل ما رأيت ونحوهما، تعريض به عليه السلام وعتاب له، ودلالة التعبير بحرف السين في قوله "سَأُنَبِّئُكَ" للتأكيد لعدم تراخي التنبئة. [٣]

(١) ينظر: روح البيان إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، (٥/ ٢٨٣)، دار الفكر – بيروت، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير]

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٣٤). بتصرف يسير.

(٣) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١٧/ ١٢).

المبحث الرابع

رحلة الفراق بين موسى عليه السلام والعبد الصالح - التفسير والدلالة - وبيان حكمة ما وقع فيها من أحداث. " الآيات من ٧٩ – ٨٢ "

قوله تعالي "أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا " "الكهف: ٧٩ "

تفسير قوله تعالي "أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا"

رُوِيَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا عَزَمَ الْخَضِرُ عَلَى مُفَارَقَتِهِ أَخَذَ بِثِيَابِهِ، وَقَالَ:لَا أُفَارِقُكَ حَتَّى تُخْبِرَنِي بِمَ أَبَاحَ لَكَ فِعْلَ مَا فَعَلْتَ، فَلَمَّا الْتَمَسَ ذَلِكَ مِنْهُ أَخَذَ فِي الْبَيَانِ وَالتَّفْصِيلِ فَقَالَ" أَمَّا السَّفِينَةُ" فَبَدَأَ بِقِصَّةِ مَا وَقَعَ لَهُ أَوَّلًا فقال: أما السفينة التي أنكرت عليَّ خرقها؛ فكانت لضعفاء يعملون عليها في البحر لا يستطيعون الدفع عنها، فأردت أن تسير معيبة بما أحدثته فيها؛ حتى لا يستولي عليها ملك كان أمامهم يأخذ كل سفينة صالحة كرهًا من أصحابها، ويترك كل سفينة معيبة [1]، قِيلَ: كَانَتْ لِعَشَرَةِ إِخْوَةٍ، خَمْسَةٌ زَمْنَى وَخَمْسَةٌ "يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ" وَقِيلَ: كَانُوا أُجَرَاءَ فَنُسِبَتْ إِلَيْهِمْ لِلِاخْتِصَاصِ، " لِمَساكِينَ" والمسكين::الدائم السكون إلى الناس، لأنه لا شيء له[2]، وقيل:لمحاويج، وفي المراد بمسكنتهم قولان: أحدهما: أنهم كانوا ضعفاءَ في أكسابهم، والثاني: في أبدانهم، وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك أو لزمانتهم، وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: مَسَاكِينَ بِتَخْفِيفِ السِّينِ جَمْعُ مِسْكِينٍ، وَقَرَأَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ بِتَشْدِيدِ السِّينِ جَمْعُ مَسَّاكِين جَمْعُ تَصْحِيحٍ، مفرده مسّاك، وَالْمَسَّاكُ الَّذِي يُمْسِكُ رَجُلَ السَّفِينَةِ وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَصْلُحُ لِذَلِكَ...، وَالْقِرَاءَةُ الْأُولَى تَدُلُّ عَلَى أَنَّ السَّفِينَةَ كَانَتْ لِقَوْمٍ ضُعَفَاءَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْفِقَ عَلَيْهِمْ وَقَوْلُهُ "فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا" أن أجعلها ذات عيب، وكان حق النظم أن يتأخر قوله "فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا" عن قوله "وَكانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ" لأن إرادة التعيب مسببة عن خوف الغصب وإنما قدم للعناية أو لأن السبب لما كان مجموع الأمرين خوف الغصب ومسكنة المُلاك رتبه على أقوى الجزأين وأدعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وفي هذا يقول الزَّمَخْشَرِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ قَوْلِهِ "فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا" مُسَبَّبٌ عَنْ خَوْفِ الْغَصْبِ عَلَيْهَا فَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يَتَأَخَّرَ عَنِ السَّبَبِ فَلِمَ قُدِّمَ عَلَيْهِ؟ قُلْتُ: النِّيَّةُ بِهِ التَّأْخِيرُ، وَإِنَّمَا قُدِّمَ لِلْعِنَايَةِ وَلِأَنَّ خَوْفَ الْغَصْبِ لَيْسَ هُوَ السَّبَبَ وَحْدَهُ، وَلَكِنْ مَعَ كَوْنِهَا لِمَساكِينَ فَكَانَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: زَيْدٌ ظَنِّي مُقِيمٌ. [3]

---

(١) ينظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم، تصنيف: جماعة من علماء التفسير، (١/ ٣٠٢)، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط٣، ١٤٣٦

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (١/ ٢١٩).

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٧٤١)، البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢١٣).

وقوله "كانَ وَراءَهُمْ" فيه قولان: أحدهما: أمامهم، قاله ابن عباس وقتادة وأبو عبيدة وابن قتيبة، وقرأ أُبيٌّ بن كعب وابن مسعود "وكان أمامَهم مَلِك" والثاني: خلفهم قال الزجاج: وهو أجود الوجهين، فيجوز أن يكون رجوعهم في طريقهم كان عليه، ولم يعلموا بخبره فأعلم الله تعالى الخضرَ خَبَرَه، وقيل: كان خلفهم يطلبهم، وقيل: قدامهم مرصدا لهم، و"وراء" مشترك بينهما؛ لأنه مشتق من المواراة، وكلا الجهتين يحصل ذلك منه، وَهُوَ لَفْظٌ يُطْلَقُ عَلَى الْخَلْفِ وَعَلَى الْأَمَامِ وَمَعْنَاهُ هُنَا أَمَامَهُمْ، وقوله تعالى"يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً" أي: كل سفينة صالحة، وفي قراءة أُبيٍّ بن كعب: "كلَّ سفينة صحيحة" قال الخضر: إنما خرقتها، لأن الملك إذا رآها منخرقة تركها ورقعها أهلُها فانتفعوا بها. (١)

يقول صاحب التحرير والتنوير: وقد ذكروا في تعيين هذا الملك وسبب أخذه للسفن قصصا وأقوالا لم يثبت شيء منها بعينه، ولا يتعلق به غرض في مقام العبرة. (٢)

وروي في تفسير هذه الآية أن الله جعل هذه الأمثلة التي وقعت لموسى مع الخضر، حجة على موسى وعجبا له، وذلك أنه لما أنكر أمر خرق السفينة، نودي يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحا في اليم، فلما أنكر أمر الغلام، قيل له أين إنكارك هذا من وكزك للقبطي، وقضائك عليه؟ فلما أنكر إقامة الجدار نودي أين هذا من رفعك حجر البير لبنات شعيب دون أجر؟ (٣)

تفسير قوله تعالى "وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا" "سورة الكهف ٨٠"

قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ الْغُلَامَ كَانَ بَالِغًا وَكَانَ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ وَيُقْدِمُ عَلَى الْأَفْعَالِ الْمُنْكَرَةِ، وَكَانَ أَبَوَاهُ يَحْتَاجَانِ إِلَى دَفْعِ شَرِّ النَّاسِ عَنْهُ وَالتَّعَصُّبِ لَهُ وَتَكْذِيبِ مَنْ يَرْمِيهِ بِشَيْءٍ مِنَ

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٩٠)، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ١٠٢)، البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢١٢)، الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية نجم الدين بن عيد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ص٤١٧)، البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢١٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ١٢).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٣٣).

الْمُنْكَرَاتِ وَكَانَ يَصِيرُ ذَلِكَ سَبَبًا لِوُقُوعِهِمَا فِي الْفِسْقِ. وقيل: إنه كان صبياً إلا أنه علم منه أنه لو صار بالغاً لحصلت فيه هذه المفاسد والخلاف في بلوغه أو صغره، وفي الحديث: أن ذلك الغلام طبع يوم طبع كافرا، وهذا يؤيد ظاهره أنه كان غير بالغ، ويحتمل أن يكون خبرا عنه، مع كونه بالغا. (١)

يقول أبو العباس القرطبي: "والجمهور على أن هذا الغلام لم يكن بلغ سن التكليف، وقد ذهب ابن جبير إلى أنه بلغ سن التكليف، وقد حكي ذلك عن ابن عباس كما تقدَّم. والصحيح عنه أنه كان صغيرًا لم يبلغ". (٢)

ويقول فضيلة الشيخ الشعراوي: الغلام الولد الذي لم يبلغ الحُلُم وسِنّ التكليف، وما دام لم يُكلَّف فما يزال في سِنِّ الطهارة والبراءة من المعاصي؛ لذلك لما اعترض موسى على قتله قال"أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً""الكهف: ٧٤"أي طاهرة، ولا شكَّ أن أخْذ الغلام في هذه السِّنِّ خَيْر له ومصلحة قبل أنْ تلوّثه المعاصي، ويدخل دائرة الحساب.(٣)

وقوله تعالي "فكان أبواه مؤمنين" التثنية للتغليب يريد أباه وأمه فغلب المذكر وهو شائع ومثله العمران، وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ "وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ". (٤)

يقول الشيخ الشعراوي: وكثيراً ما يكون الأولاد فتنة للآباء، كما قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فاحذروهم" "التغابن: ١٤" والفتنة بالأولاد تأتي من حِرْص الآباء عليهم، والسعي إلى جعلهم في أحسن حال، وربما كانت الإمكانات غير كافية، فيُضطر الأب إلى الحرام من أجل أولاده، وقد عَلِم الحق سبحانه وتعالى أن

(١) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٤٩١)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى٩٧٧هـ) (٢/ ٣٩٨)، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥هـ، شَرْحُ صَحِيح مُسْلِم لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) (٣٧٤/٧)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨م.

(٢) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٢١١).

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٩٧٠).

(٤) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٢/ ٣٩٨)، تفسير البغوي (٣/ ٢١٠).

هذا الغلام سيكون فتنة لأبويه، وهما مؤمنان ولم يُرِد الله تعالى لهما الفتنة، وقضى أن يقبضهما إليه على حال الإيمان. (١)

":فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَكُفْراً" والخشية: الخوف الذي يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه، وقيل: فَخَشِينا أَيْ فَعَلِمْنَا، والمعني: فخشينا لو بقي حيا هذا الغلام أن يوقع أبويه في الطغيان والكفر، لشدة محبتهما له، وحرصهما على إرضائه.(٢)

فالواحد منا يولد له ابن فيكون قرة عَيْن وسنداً، وقد يكون هذا الابن سبباً في فساد دين أبيه، ويحمله على الكذب والرشوة والسرقة، فهذا الابن يقود أباه إلى الجحيم، ومن الخير أن يبعد الله هذا الولد من طريق الوالد فلا يطغى.(٣)

وضميرا الجماعة في قوله "فخشينا "وقوله "فأردنا " عائدان إلى المتكلم الواحد، بإظهار أنه مشارك لغيره في الفعل، وهذا الاستعمال يكون من التواضع لا من التعاظم لأن المقام مقام الإعلام بأن الله أطلعه على ذلك وأمره فناسبه التواضع فقال: "فخشينا""فأردنا"، ولم يقل مثله عند ما قال "فأردت أن أعيبها" لأن سبب الإعابة إدراكه لمن له علم بحال تلك الأصقاع.(٤)

وقيل في قوله تعالى "فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً" "الكهف: "٨٠" الضمير يرجع إلى الخضر والفعل بمعنى الخوف، وجائز أن يكون لله، لأن الخشية بمعنى الكراهية(٥)، وزاد ابن عطية أن الضمير إلى الخضر واصحابه الصالحين الذين أهمهم الأمر وتكلموا

(١) ينظر: تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٩٧٠).
(٢) ينظر: التفسير الوسيط ا.د طنطاوي (٨/ ٥٦٠)، تفسير البغوي (٣/ ٢١٠).
(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٩٧١).
(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ١٣).
(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ابو اسحاق ابراهيم ابن السري، شرح وتحقيق/الدكتور عبدالجليل عبده شلبي (٣٠٥/٣)، دار عالم الكتب ـ بيروت، الكشاف ٤٩٥/٢.

فيه[1]، وقد استدل بعضهم على أنه من كلام الخضر بقوله"فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا" "الكهف:" ٨١"[2].

والظاهر أن عودة الضمير هنا تتوقف على المراد بالفعل (خشينا) والذي تطمن اليه النفس هو الرأي الأولوذلك لسببين: أحدهما أن الفعل معطوف على الكلام السابق وهو من قول الخضر، والأخر أن المعنى الأرجح للفعل هو الخوف، وهذا لا يصح أن يكون له عز وجل، والله تعالي أعلم.

وإنما خشي الخضر منه ذلك؛ لأن الله تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره، وأمره إياه بقتله كاختراميه لمفسدة عرفها في حياته.[3]

قوله" أَنْ يُرْهِقَهُما" يُغْشِيَهُمَا، وقيل: يُكَلِّفَهُمَا، طُغْياناً وَكُفْراً، قال سعيد بن جبير: خشينا أَنْ يَحْمِلَهُمَا حُبُّهُ عَلَى أَنْ يُتَابِعَاهُ عَلَى دِينِهِ، "يرهقهما" من الإرهاق وهو أن يحمّل الإنسان ما لا يطيقه، وقوله" أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَكُفْرًا " فِيهِ قَوْلَانِ الْأَوَّلُ:أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ ذَلِكَ الْغُلَامَ يَحْمِلُ أَبَوَيْهِ عَلَى الطُّغْيَانِ وَالْكُفْرِ كَقَوْلِهِ "وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً ""الْكَهْفِ: ٧٣" أَيْ لَا تَحْمِلْنِي عَلَى عُسْرٍ وَضِيقٍ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَبَوَيْهِ لِأَجْلِ حُبِّ ذَلِكَ الْوَلَدِ يَحْتَاجَانِ إِلَى الذَّبِّ عَنْهُ، وَرُبَّمَا احْتَاجَا إِلَى مُوَافَقَتِهِ فِي تِلْكَ الْأَفْعَالِ الْمُنْكَرَةِ، وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ الْوَلَدَ كَانَ يُعَاشِرُهُمَا مُعَاشَرَةَ الطُّغَاةِ الْكُفَّارِ، فَإِنْ قِيلَ:هَلْ يَجُوزُ الْإِقْدَامُ عَلَى قَتْلِ الْإِنْسَانِ لِمِثْلِ هَذَا الظَّنِّ؟ قُلْنَا:إِذَا تَأَكَّدَ ذَلِكَ الظَّنُّ بِوَحْيِ اللَّهِ جَازَ.[4]

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٥٦٣/٣).

(٢) ينظر: زاد المسيرفي علم التفسير، ابوالفرج بن عبد الرحمن الجوزي (٥٩٧هـ) (٣/ ١٠٣)، دار بيروت ١٩٦٤.

(٣) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) شرف الدين الحسين ابن عبد الله الطيبي (ال متوفى٧٤٣هـ) (٩/ ٥٣٤)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د/ جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د/ محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٧٤١).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (٣/ ٢١٠)، تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٩٧١)، التفسير الكبير (٢١/ ٤٩١).

"فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا"أي "فأردنا" بقتله "أن يبدلهما ربهما" بدل هذا الغلام الكافر الطاغي، ولدا آخر "خيرا منه" أي: من هذا الغلام "زكاة" أي: طهارة وصلاحا "وأقرب رحما" أي: وأقرب في الرحمة بهما، والعطف عليهما، والطاعة لهما. (١)

أَيْ "أَرَدْنَا" أَنْ يَرْزُقَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى وَلَدًا خَيْرًا مِنْ هَذَا الْغُلَامِ زَكَاةً أَيْ دِينًا وَصَلَاحًا، وقيل:إن ذكره الزكاة هاهنا عَلَى مُقَابَلَةِ قَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ"أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ""الْكَهْفِ:" ٧٤" فَقَالَ الْعَالِمُ:أَرَدْنَا أَنْ يَرْزُقَ اللَّهُ هَذَيْنِ الْأَبَوَيْنِ خَيْرًا بَدَلًا عَنِ ابْنِهِمَا هَذَا وَلَدًا يَكُونُ خَيْرًا مِنْهُ كَمَا ذَكَرْتَهُ مِنَ الزَّكَاةِ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ مِنَ الزَّكَاةِ الطَّهَارَةَ فَكَأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:أَقَتَلْتَ نَفْسًا طَاهِرَةً لِأَنَّهَا مَا وَصَلَتْ إِلَى حَدِّ الْبُلُوغِ فَكَانَتْ زَاكِيَةً طَاهِرَةً مِنَ الْمَعَاصِي فَقَالَ الْعَالِمُ: إِنَّ تِلْكَ النَّفْسَ وَإِنْ كَانَتْ زَاكِيَةً طَاهِرَةً فِي الْحَالِ إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى عَلِمَ مِنْهَا أَنَّهَا إِذَا بَلَغَتْ أَقْدَمَتْ عَلَى الطُّغْيَانِ وَالْكُفْرِ فَأَرَدْنَا أَنْ يَجْعَلَ لَهُمَا وَلَدًا أَعْظَمَ زَكَاةً وَطَهَارَةً مِنْهُ وَهُوَ الَّذِي يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْهُ أَنَّهُ عِنْدَ الْبُلُوغِ لَا يُقْدِمُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَحْظُورَاتِ وَمَنْ قَالَ إِنَّ ذَلِكَ الْغُلَامَ كَانَ بَالِغًا قَالَ: الْمُرَادُ مِنْ صِفَةِ نَفْسِهِ بِكَوْنِهَا زَاكِيَةً أَنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ مَا يُوجِبُ قَتْلَهُ.(٢)

تفسير قوله تعالي "وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا"

وأما قضية الجدار فالخضر تصرف في شأنها عن إرادة الله اللطيف باليتيمين جزاء لأبيهما على صلاحه، إذ علم الله أن أباهما كان يهمه أمر عيشهما بعده، وكان قد أودع تحت الجدار مالا، ولعله سأل الله أن يلهم ولديه عند بلوغ أشدهما أن يبحثا عن مدفن الكنز تحت الجدار بقصد أو بمصادفة، فلو سقط الجدار قبل بلوغهما لتناولت الأيدي مكانه بالحفر ونحوه فعثر عليه عاثر، فذلك أيضا لطف خارق للعادة.(٣)

(١) ينظر: تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٩٧١).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٤٩١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ١٤).

وهذان الغلامان صغيران، بقرينة وصفهما باليتم، وقد قال صلى الله عليه وسلم "لا يتم بعد بلوغ"[1]، هذا الظاهر، وقد يحتمل أن يبقى عليهما اسم اليتم بعد البلوغ أي كانا يتيمين على معنى التشفق عليهما، واختلف الناس في "الكنز: فقال عكرمة وقتادة كان مالا جسيما، وقال ابن عباس كان علما في صحف مدفونة، وقيل:مال مدفون من ذهب وفضة، والظاهر لإطلاقه أنه مال ولأن الكنزُ إذا أطلق إنما ينصرفُ إلى كنز المال، ويجوز عند التَّقييد لكنز العلم، يقال:عنده كنز علم، وهذا اللوح كان جامعاً لهما، وقيل:لوح من ذهب مكتوب فيه: عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، وفِي اللُّغَةِ أَنَّ الْكَنْزَ إِذَا أُفْرِدَ فَمَعْنَاهُ الْمَالُ الْمَدْفُونُ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَالًا قِيلَ: كَنْزُ عِلْمٍ وَكَنْزُ فَهْمٍ.[2]

وفي هذا يقول الامام الرازي: اخْتَلَفُوا فِي هَذَا الْكَنْزِ فَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ مَالًا وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ لِوَجْهَيْنِ :

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمَفْهُومَ مِنْ لَفْظِ الْكَنْزِ هُوَ الْمَال.

الثَّانِي: أَنَّ قَوْلَهُ "وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما" يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْكَنْزَ هُوَ الْمَالُ وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ عِلْمًا بِدَلِيلِ أَنَّهُ قَالَ"وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً "وَالرَّجُلُ الصَّالِحُ يَكُونُ كَنْزُهُ الْعِلْمَ لَا الْمَالَ إِذْ كَنْزُ الْمَالِ لَا يَلِيقُ بِالصَّلَاحِ بِدَلِيلِ قَوْلُهُ تَعَالَى"وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ""التوبة: ٣٤".[3]

وقوله "فِي الْمَدِينَةِ "كلمة" المدينة" تبرز معنى آخر هو أليق بالتعليل لإقامة الجدار: تدور أصول هذه الكلمة على معنى الإقامة، والآية جاءت في سياق بيان وجه ما فعل،

---

(١) ينظر: صحيح مسلم (٣/١٤٤٤)، (ح١٨١٢)، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ النِّسَاءِ الْغَازِيَاتِ يُرْضَخُ لَهُنَّ وَلَا يُسْهَمُ، وَالنَّهْيِ عَنْ قَتْلِ صِبْيَانِ أَهْلِ الْحَرْبِ،

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٣٧، ٥٣٦)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٧٤٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٠)، اللباب في علوم الكتاب ابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (١٢/ ٥٤٨).

(٣) ينظر: التفسير الكبير للرازي (٢١/ ٤٩٢).

وأنَّ العبد الصالح لو لم يقم الجدار لتهدم وساعد في إسراع تهدمه إقامة أولئك من حوله، فيكون عرْضَة انتهابه، فمعنى " الإقامة" الذي هو مركز مدلول مادة" مدن" هو المتناسب مع وجه إقامة ذلك الجدار.(١)

فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى إِطْلَاقِ الْقَرْيَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ، لِأَنَّهُ قَالَ أَوَّلًا "حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ" وَقَالَ هَاهُنَا "فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ" كَمَا قَالَ "وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ" "مُحَمَّدٍ "

"وَقالُوا لَوْلا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ "الزُّخْرُف:"٣١"يَعْنِي مَكَّةَ وَالطَّائِفَ، ومعنى الآية أن هذا الجدار إنما أصلحته لِأَنَّهُ كَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ.(٢)

ولفظ "قَرْيَةٌ":اسم للمباني المتصلة التي يسكنها جمع من الناس، وقد جاءَ في القرآن الكريم أَن القرية والمدينة بمعنى واحد قال تعالى"حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ"، ثم قال "وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ" وقيل القرية بلدة أَصغر من المدينة – والمراد من القرية في الآية أهلها.(٣)

وقوله "وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً" فَكَانَ صَلَاحُهُ مُقْتَضِيًا لِرِعَايَةِ وَلَدَيْهِ وَحِفْظِ مَالِهِمَا، قِيلَ: هُوَ الَّذِي دَفَنَهُ، وَقِيلَ هُوَ الْأَبُ السَّابِعُ مِنْ عِنْدِ الدَّافِنِ لَهُ، وَقِيلَ الْعَاشِرُ "فَأَرادَ رَبُّكَ" أَيْ: مَالِكُكَ وَمُدَبِّرُ أَمْرِكَ، وَأَضَافَ الرَّبَّ إِلَى ضَمِيرِ مُوسَى تَشْرِيفًا لَهُ" أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما" أَيْ: كَمَالَهُمَا وَتَمَامَ نُمُوِّهِمَا "وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما "مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلَيْهِ الْجِدَارُ، وَلَوِ انْقَضَّ لَخَرَجَ الْكَنْزُ مِنْ تَحْتِهِ "رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ" لَهُمَا، وَهُوَ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ: مَرْحُومَيْنِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.(٤)

"رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ" يَعْنِي إِنَّمَا فَعَلْتُ هَذِهِ الْفِعَالَ لِغَرَضِ أَنْ تَظْهَرَ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهَا بِأَسْرِهَا تَرْجِعُ إِلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ وَهُوَ تَحَمُّلُ الضَّرَرِ الْأَدْنَى لِدَفْعِ الضَّرَرِ الْأَعْلَى ثُمَّ قَالَ"وَما

(١) ينظر: الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن (ص:٣٣٢).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٦٧).
(٣) ينظر: التفسير الوسيط – مجمع البحوث (٤/ ١٤٢)
(٤) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٠).

فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي" يَعْنِي مَا فَعَلْتُ مَا رَأَيْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ عَنْ أَمْرِي وَاجْتِهَادِي وَرَأْيِي وَإِنَّمَا فَعَلْتُهُ بِأَمْرِ اللَّهِ وَوَحْيِهِ لِأَنَّ الْإِقْدَامَ عَلَى تَنْقِيصِ أَمْوَالِ النَّاسِ وَإِرَاقَةِ دِمَائِهِمْ لَا يَجُوزُ إِلَّا بِالْوَحْيِ وَالنَّصِّ الْقَاطِعِ.(١)

فقوله " رحمة من ربك وما فعلته عن أمري" تصريح بما يزيل إنكار موسى عليه تصرفاته هذه بأنها رحمة ومصلحة فلا إنكار فيها بعد معرفة تأويلها، ثم زاد بأنه فعلها عن وحي من الله لأنه لما قال "وما فعلته عن أمري" علم موسى أن ذلك بأمر من الله تعالى لأن النبيء إنما يتصرف عن اجتهاد أو عن وحي، فلما نفى أن يكون فعله ذلك عن أمر نفسه تعين أنه عن أمر الله تعالى، وإنما أوثر نفي كون فعله عن أمر نفسه على أن يقول: وفعلته عن أمر ربي، تكملة لكشف حيرة موسى وإنكاره، لأنه لما أنكر عليه فعلاته الثلاث كان يؤيد إنكاره بما يقتضي أنه تصرف عن خطأ.(٢)

ثم قال له "ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا" أي هذا الذي ذكرت لك من الأسباب التي من أجلها فعلت الأفعال التي استنكرتها، هو بيان ما تئول إليه الأفعال التي ضقت بها ذرعا، ولم تصبر حتى أخبرك بها ابتداء.(٣)

و"تسطع" مضارع "اسطاع" بمعنى "استطاع"، حذف تاء الاستفعال تخفيفا لقربها من مخرج الطاء، والمخالفة بينه وبين قوله سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا للتفنن تجنبا لإعادة لفظ بعينه مع وجود مرادفه، وابتدئ بأشهرهما استعمالا وجيء بالثانية بالفعل المخفف لأن التخفيف أولى به لأنه إذا كرر تستطع يحصل من تكريره ثقل.

وأكد الموصول الأول الواقع في قوله "سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا" تأكيدا للتعريض باللوم على عدم الصبر. (٤)

الدلالة القرآنية في قوله تعالى "أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي (٢١/ ٤٩٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ١٤، ١٥).

(٣) ينظر: تفسير المراغي أحمد بن مصطفى المراغي (١٦/ ٩).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ١٥)

وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا " " الكهف: ٧٩ - ٨٢ ".

دلالة قوله تعالي "أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا"

تظهر دلالة تقديم قوله"أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا" "الكهف٧٩" على ما بعده وهو مؤخر عنه في المعنى، لأن ذلك يحصل للتوافق.(١)

قال أبو حيان: وَإِنَّمَا قُدِّمَ لِلْعِنَايَةِ وَلِأَنَّ خَوْفَ الْغَصْبِ لَيْسَ هُوَ السَّبَبَ وَحْدَهُ، وَلَكِنْ مَعَ كَوْنِهَا لِمَساكِينَ فَكَانَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: زَيْدٌ ظَنِّي مُقِيمٌ(٢)، فتقديم المساكين على إرادته تدل على عنايته تعالى بأمرهم ورحمته بهم وتشريع للأمة أن يهتموا بهم، وهذا دأب الأنبياء والصالحين الذين استخلفهم الله على هذه الأرض.

فالرجل الصالح أراد أن يعيب السفينة وليس هدفه إغراق من فيها، وهذا يبين علم الرجل الصالح من ناحية ورد تأويل موسى عليه السلام في إغراق الناس، هذا التباين في فهم الحدث "خرق السفينة" فيه دلالة على عدم علم موسى عليه السلام وفيه كسر لأفق توقعه. (٣)

وأيضاً تظهر الدلالة القرآنية في الآيات الكريمة فنجد في خرق السفينة إرادة مطلقة للإنسان، ومشيئة خالصة له، يتصرف بها كيف يشاء هكذا "فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا" وفى قتل الغلام تبدو مشيئة الإنسان مختلطة مع مشيئة الله داخلة فيها هكذا"فَخَشِينَا"، "فَأَرَدْنَا" فهذا الضمير يشير إلى أن العبد الصالح ليس وحده هنا، وإنما هو مع مشيئة مُشيء، وإرادة مُريد!، وفى إقامة الجدار يتجرد العبد الصالح من كلّ مشيئة وإرادة، إنه هنا ليس أكثر من

---

(١) ينظر: اليرهان في علوم القرآن بدر الدين بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، (٣/٣٢٤)، تحقيق / محمد ابوالفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية ـ ط١، ١٩٧٥هـ.

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢١٣).

(٣) ينظر: رسالة بعنوان " قراءة معاصرة في القص القرآني في ضوء سورة الكهف" د /عبد الباسط مراشدة، د/ عبد الرحيم مراشدة، (ص٢٦).

أداة منفذة لمشيئة الله، عاملة بإرادته وهكذا الإنسان في هذه الحياة، وفى كل ما يأخذ أو يدع من أمورها.[١]

وقيل: اختلاف الأسلوب لاختلاف حال العارف بالله سبحانه فإنه في ابتداء أمره يرى نفسه مؤثرة فلذا أسند الإرادة أولا إلى نفسه ثم يتنبه إلى أنه لا يستقل بالفعل بدون الله تعالى فلذا أسند إلى ذلك الضمير ثم يرى أنه لا دخل له وأن المؤثر والمريد إنما هو الله تعالى فلذا أسنده إليه سبحانه فقط[٢]

في الآية دلالة علي جواز العمل في البحر كما يجوز في البر لقوله"يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ" ولم ينكر عليهم عملهم، وفيها أيضاً دلالة علي أن المسكين قد يكون له مال لا يبلغ كفايته، ولا يخرج بذلك عن اسم المسكنة، لأن الله أخبر أن هؤلاء المساكين لهم سفينة، وفي الآية أيضاً دلالة علي أن خدمة الصالحين أو من يتعلق بهم، أفضل من غيرها، لأنه علل استخراج كنزهما، وإقامة جدارهما أن أباهما صالح.[٣]

كما دل لفظ البحر في قوله "يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ" علي السعة والانبساط والكثرة وكذلك فيه دلالة علي الماء الجاري.[٤]

وفي الآية دلالة علي أن الْمِسْكِينَ وإن كان يملك شيئا لا يزول عنه اسم المسكنة إذ لم يقم ما يملكه بِكِفَايَتِهِ يقول ابو حيان: وَاحْتُجَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الْمِسْكِينَ هُوَ الَّذِي لَهُ بُلْغَةٌ مِنَ الْعَيْشِ كَالسَّفِينَةِ لِهَؤُلَاءِ، وَأَنَّهُ أَصْلَحُ حَالًا مِنَ الْفَقِيرِ.[٥]

والتعبير بقوله " فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا" يدل علي أن أثر الحدث جاء في أعقاب الفعل مباشرة، بحيث لم يكن هناك وقت بين خرق السفينة وصرف نظر الملك أو أعوانه عنها للعيب الذي كان فيها، ولو كان هناك وقت بين خرق السفينة وبين مرور الملك أو أعوانه

---

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) (٨/ ٦٧١) دار الفكر العربي – القاهرة.

(٢) ينظر: روح المعاني الامام الالوسي (٨/ ٣٣٨).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (ص٤٨٥)

(٤) ينظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم د/ محمد محمد داود، (ص١٠٥).

(٥) ينظر: تفسير البغوي – إحياء التراث (٣/ ٢٠٩)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٩٠). البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢١٢).

بها بحيث يسمح لأصحابها بإصلاح ما أفسد العبد الصالح منها لما سلمت من أخذها من أيدى أصحابها، ولما كان للخرق الذي أحدثه فيها حكمة.(١)

قوله تعالي"وَكَانَ وَرَاءَهُمْ" فقد تكررت كلمة وراء في القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرة واستعملت بمعان عدة منها بمعني البَعْديَّة الزمانية كما في قوله تعالي"وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا""سورة مريم ٥"، وللدلالة علي التأخر في المكان كما قال تعالي" وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ""سورة الأحزاب٥٣"وتستعمل بمعني أمام كما في قوله "وَكَانَ وَرَاءَهُمْ" وَهُوَ لَفْظٌ يُطْلَقُ عَلَى الْخَلْفِ وَعَلَى الْأَمَامِ، وَمَعْنَاهُ هُنَا أَمَامَهُمْ، وَلَا خِلَافَ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ وَرَاءَ يَجُوزُ بِمَعْنَى قُدَّامَ. (٢)

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: وأصل الوراء اسم المكان الذي في جهة الظهر، ويطلق على الشيء الخارج عن الحد المحدود تشبيها للمتجاوز الشيء بشيء موضوع خلف ظهر ذلك الشيء(٣)، فلفظ وراء يتميز باتساع دلالته حيث يستعمل بمعني البَعْدِيَّة الزمانية والبَعْدِيَّة المكانية كما يستعمل بمعني أمام وكل هذه الدلالات تعود الي معني الاستتار والحجاب وهو الأصل الدلالي للكلمة.(٤)

وفي الآية أيضاً دَلالةٌ على أنَّ إحياء الحقوق بذهاب بعضها قربة إلى الله إذا لم يوجد السبيل إليه إلا بذلك، لأن الخضر – عليه السلام – قد أنقص بخرق السفينة من ثمنها طمعًا في أن يبقى أصلها لأصحابها، وأيضاً فيها دلالة علي أن كسب الملاحين حلال، واشتراكهم في عمل السفينة جائز.(٥)

كما تظهر دلالة الصوت في الآيات الكريمة من خلال التوافق السياقي بين الأصوات المفخمة والمرققة فشكلت فيما بينها ظاهرة أسلوبية تظهر في قوله تعالى "أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا" يلاحظ أن الآية بدأت واستمرت في الأصوات المرققة في الحديث عن

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (٨/ ٦٦٨).
(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢١٣).
(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٨/ ١٥).
(٤) ينظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم د/ محمد محمد داود، (ص٢٥٠).
(٥) ينظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (٢/ ٢١٩).

السفينة ووصف أصحابها والتعاطف معهم في أصوات لينة رقيقة، حتى ظهر ذكر الملك الظالم فظهر معه الصوت المفخم فجاء قوله "غَصْبًا" فالغين صوت مفخم تفخيما جزئيا يتبعه الصاد المفخم تفخيما كليا متبوعا بصوت انفجاري(١)، ليعبر كل هذا عن ذلك الموقف الصعب والظالم، ونجد ظهور متميز للصوت المفخم في قوله تعالى" وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا "ويلاحظ وبشكل متكرر ظهور الصوت المفخم بعد العرض بأسلوب"أمّا" لينتهي عند"غصبا" و "طغيانا" والجامع بينهما الظلم وعِظمُ الفعل ما قد تم وما يمكن أن يكون، ويلاحظ التوافق الصوتي بين التفخيم والترقيق؛ إذ التوافق لا يحدث مفاجأة أسلوبية وهو مطلوب في مثل هذا الموقف الذي فيه توضيح للمفاجآت التي تتابعت عبر سرد الأحداث السابقة، كما تظهر طبيعة الأصوات المفخمة المنسجمة مع أصوات الترقيق في قوله تعالى"وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا " فبدأت الآيات واستمرت في سياقها مع الحروف المرققة ذات الملمح الهادئ، فارتبطت الأصوات المرققة بموقف التفسير والتعليم، إذ يتطلب ذلك جوا من الهدوء ناشئ عن تلك الأصوات المرققة إلى أن يظهر الصوت المفخم، فينكشف معه سر المفاجأة التي اكتنفت الأحداث فيكمن في" غصبا""وطغيانا"، "وصالحا "السر فيما قام به العبد الصالح من أعمال أدهشت سيدنا موسى عليه السلام.(٢)

دلالة قوله تعالى "وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا" "سورةالكهف ٨٠"

يقول ابن كثير: فيها دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة؛

(١) الصوت الانفجاري وما يسمى بالوقفي؛ وذلك لانحباس النفس عند النطق به، ويصاحب خروجه انفتاح المخرج دفعة واحدة، مما يعطي الصوت قوة؛ فارتبط ذلك بالحالات الانفعالية والتهديد والوعيد وعظيم الجزاء– ينظر: الأصوات اللغوية أنيس إبراهيم (ص١١١)، دار الطباعة الحديثة ـ القاهرة ـ 1961

(٢) ينظر: دراسة أسلوبية في سورة الكهف، مروان محمد سعيد عبد الرحمن، (ص١٦/١٧)

لتقرّ عينه بهم، كما جاء في القرآن ووردت به السنة، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر لهما صلاحا.(١)

وفي الآية دلالة على أن قضاء الله جاء خيراً للغلام وخيراً للوالدين، وجميلاً أُسْدِي إلى كليْهما، وحكمة بالغة تستتر وراء الحدَث الظاهر الذي اعترض عليه موسى عليه السلام، لذلك يُعَدُّ من الغباء إذا مات لدينا الطفل أو الغلام الصغير أَنْ يشتد الحزن عليه، وننعي طفولته التي ضاعتْ وشبابه الذي لم يتمتع به، ونحن لا ندري ما أُعِدَّ له من النعيم، لا ندري أن مَنْ أُخِذ من أولادنا قبل البلوغ لا يُحدِّد له مسكن في الجنة، لأنها جميعاً له، يجري فيها كما يشاء، ويجلس فيها أين أحب، يجلس عند الأنبياء. (٢)

كذلك في قتل الغلام دلالة علي انه كان بوحي من الله جار على قطع فساد خاص عَلِمه الله، وأعلم به الخضر بالوحي فليس من مقام التشريع، وذلك أن الله علم من تركيب عقل الغلام وتفكيره أنه عقل شاذ وفكر منحرف طبع عليه بأسباب معتادة من انحراف طبع وقصور إدراك، وذلك من آثار مفضية إلى تلك النفسية وصاحبها في أنه ينشأ طاغيا كافرا، وأراد الله اللطف بأبويه بحفظ إيمانهما وسلامة العالم من هذا الطاغي، لطفا أراده الله خارقا للعادة جاريا على مقتضى سبق علمه.(٣)

وفي دلالة قوله "فَخَشِينَا" إيماء إلى اضمحلال إرادته في إرادة الله، وإعلاماً بأن علمه مقتبسٌ من المشكاة القدسية، ولا شوب فيه لرأيه وتحقيقاً لقوله "وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً" وأما على الوجه الآخر: فهو عليه السلام إنما عظم نفسه؛ لأنه اختص من عند الله بموهبة لا يختص بها إلا من هو من خواص الحضرة. (٤)

وفي دلالة ضميرا الجماعة في قوله "فخشينا" وقوله "فأردنا" عائدان إلى المتكلم الواحد لإظهار أنه مشارك لغيره في الفعل، وهذا الاستعمال يكون من التواضع لا من التعاظم لأن المقام مقام الإعلام بأن الله أطلعه على ذلك وأمره فناسبه التواضع فقال:

---

(١) ينظر: الأساس في التفسير سعيد حوّى، (٦/ ٣٢١٢)

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٩٦٩، ٨٩٧٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ١٣)

(٤) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (٩/ ٥٣٥).

فخشينا فأردنا، ولم يقل مثله عند ما قال "فأردت أن أعيبها" لأن سبب الإعابة إدراكه لمن له علم بحال تلك الأصقاع.(١)

وتظهر دلالة قوله تعالي" فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا "في التَّعرُّضِ لعُنوانِ الرُّبوبيَّةِ، والإضافةِ إليهما ما لا يَخْفى مِن الدَّلالةِ على إرادةِ وُصولِ الخيرِ إليهما.(٢)

يقول ابن كثير: قد فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب، وفي الْآيَةِ دلالة علي تَهْوِينُ الْمَصَائِبِ بِفَقْدِ الْأَوْلَادِ وَإِنْ كَانُوا قِطَعًا مِنَ الْأَكْبَادِ، وَمَنْ سَلَّمَ لِلْقَضَاءِ أَسْفَرَتْ عَاقِبَتُهُ عَنِ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ.(٣)

دلالة قوله تعالي "وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" "سورة الكهف:٨١"

وفي هذه الآية إقامه الجدار كلّه خير فنسب الفعل لله وحده وأنه يدلّ على أن الله تعالى هو علاّم الغيوب وسبق في علمه أن هذا الجدار تحته كنز لهما وأنه لو سقط سيأخذ أهل القرية المال من الأولاد اليتامى وهذا ظلم لهم والله تعالى ينسب الخير لنفسه عزّ وجلّ، وهذا الفعل في الآية ليس فيه اشتراك وإنما هو خير محض للغلامين وأبوهما الصالح والله تعالى هو الذي يسوق الخير المحض، وجاء بكلمة رب في الآيات بدل لفظ الجلالة "الله" للدلالة على أن الرب هو المربي والمعلِّم والراعي والرازق والآيات كلها في معنى الرعاية والتعهد والتربية لذا ناسب بين الأمر المطلوب واسمه الكريم سبحانه.(٤)

ودلالة قولُه "لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ" وهي القريةُ المذكورةُ فيما سبَق؛ فلعلَّه عبَّر عنها بذلك؛ لإظهارِ نوعِ اعْتِدادٍ بها، باعْتِدادِ ما فيها مِن اليتيمَيْن وأَبيهِما الصَّالحِ...، وفي إضافة الرب إلى ضمير موسى عليه الصلاة والسلام دون ضميرهما تنبيه له عليه الصلاة والسلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لإرادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ١٣).

(٢) ينظر: روح المعاني (٨/ ٣٣٤).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١١/ ٣٧)، تفسير ابن كثير (٥/ ١٨٥).

(٤) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل فاضل السامرائي (ص: ٥٨).

فيما وقع بحسبها من الأمور المذكورة... وأيضاً دلالة قوله "ذلك تَأْوِيلُ... " إشارة إلى العواقب المنظومة في سلك البيان وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجتها في الفخامة.(١)

يقول الأستاذ الدكتور طنطاوي: ولعل التعبير عنها بالمدينة لإظهار نوع اعتداد بها(٢)، فالكلام الأول كان في معرض الذم للؤم أهلها وبخلهم فأكتفي بتسميتها قرية، فلما ذكر الأب الصالح وروعي وجود ولديه فُخمت وعبر عنها بالمدينة. (٣)

وفي إسناد الإرادة في قصة الجدار إلى الله تعالى دون القصتين السابقتين دلالة واضحة علي أن العمل فيهما كان من شأنه أن يسعى إليه كل من يقف على سره لأن فيهما دفع فساد عن الناس بخلاف قصة الجدار فتلك كرامة من الله لأبي الغلامين.(٤)

وفي قوله "وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا "دلالة علي إباحة كنز الكنوز وحفظ الأموال على الصغار إلى وقت البلوغ.(٥)

وتظهر دلالة عدم الحذف في قوله تعالي"سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" ودلالة حذف التاء في الآية "ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا " ذلك لأن المقام في الآية الأولي مقام شرح وايضاح وتبيين فلم يحذف من الفعل وأما الآية الأخرى فهي في مقام مفارقة ولم يتكلم بعدها بكلمة وفارقه فحذف من الفعل،"ذَلِكَ" إشارة إلى ما ذكر من العواقب المنظومة في سلك البيان، وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجته في الفخامة (٦)

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى٩٨٢هـ) (٥/ ٢٣٨، ٢٣٩)، دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٢) ينظر: التفسير الوسيط ا.د محمد سيد طنطاوي (٨/ ٥٦١)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٢٩٦).

(٣) ينظر: تدبر سورة الكهف لناصر بن سليمان العمر (ص١١١).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ١٤).

(٥) ينظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (٢/ ٢٢٢).

(٦) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني فاضل السامرائي (ص١٦)، العاتك للطباعة والنشر القاهرة . مصر ٢٠٠٦م، روح المعاني للالوسي (٨/ ٣٣٧).

يقول ابن كثير: هذا تفسير ما ضقت به ذرعا، ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداء، ولما أن فسره له وبينه ووضحه وأزال المشكل قال "ما لم تسطع" وقبل ذلك كان الإشكال قويا ثقيلا فقال "سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا" فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف، كما قال تعالى"فما اسطاعوا أن يظهروه" وهو الصعود إلى أعلاه، "وما استطاعوا له نقبا""الكهف:"٩٧"، وهو أشق من ذلك، فقابل كلا بما يناسبه لفظا ومعنى والله أعلم.[١]

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٨٨)

خاتمة ـ أسأل الله تعالي حسنها

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بأفصح اللغات، صلاة تصلنا برب البريات، وسلاماً يسلمنا وينجينا من المهلكات، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد..

فإن دراسة القرآن الكريم من أعظم القرب لله – تبارك وتعالى – وهو ذروة سنام البلاغة التي لا تسامى، لأنه معجز في تكوينه إجمالا، وبكل جزء في تركيبه تفصيلاً، فكل كلمة في القرآن بل كل حرف وضع موضعاً يستحق الوقوف في محرابه طويلاً حتى ندرك بعض ما فيه، وقد دارت حوله دراسات لا تحصى كثرةً، وستظل تدور حوله الدراسات إلى يوم القيامة ثم يأتي يوم القيامة بكراً كما نزل –كما أخبر بذلك الصادق صلي الله عليه وسلم– وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عمق ما فيه من المعاني، والوقوف على اللفظة القرآنية يحتاج إلى مراجعة السياق؛لأنه من المعلوم أن القرآن أكسب كثيراً من الألفاظ معاني جديدة وأبعاداً إيحائية متعددة، والحكم على اللفظ المجرد يُفقد الكلمة كثيراً من هذه الإيحاءات والدلالات.

ولباب قصة موسى وفتاه والعبد الصالح ومغزاها هو إثبات قصور الخلق مهما سمت عقولهم وكثرت علومهم، أمام إحاطة الله، وعلم الله، وفي هذا المغزى نفسه برهان لمن تدبر على أن الذي له هذا العلم المحيط والتدبير المحكم، لا ينبغي أن يناقض من أهل العلم المحدود، والتتبع الناقص، فإذا أنبأ الله أن وراء هذه الحياة حياة أخرى فيجب أن يصدق، وأن تقر العقول، وتؤمن القلوب، بأن نبأه هو الحقيقة الواقعة لا محالة وأن ما نعلمه من أمورنا وأحوالنا لا ينبغي أن يقاس بما لا نعلمه مما غاب عنا ولم تتهيأ لإدراكه عقولنا.

وقد جاءت هذه القصة مع ترتيب السورة بعد قوله "وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا".

وفي ذلك إشارة إلى أن علم الناس واستعجال الناس لا قيمة لهما بجانب علم الله، ولا تأثير لهما في تدبير الله وجعله لكل شي موعدا ووقتًا لا تأخير فيه ولا تقديم.

وفي هذه السورة يبدو طابع الثورة على الباطل والمبطلين في صورة عنيفة ظاهرة العنف، فالكتاب إنما أنزل لينذر قومًا ويبشر آخرين فهو فاصل بين فريقين، ومجابه للحقائق، غير مكترث في شأنها بأحد.

فالذين قالوا اتخذ الله ولدا جهلة مفترون، يقولون على الله ما لا يعلمون هم وآباؤهم " كبرت كلمة تخرج من أفواههم.... والنبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي أن يهتم بأمر هؤلاء، سواء آمنوا بهذا الحديث أم لم يؤمنوا، فإن لأمر الله غاية، وهؤلاء مهما طال عليهم الأمر نهاية.

وأصحاب الكهف يثورون على الباطل ثورة تجعلهم يهجرون ديارهم وأهليهم، ويؤثرون حياة التقشف والعزلة، والله يأمر رسوله بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا يتجاوزهم بنظره واعتداده إلى غيرهم يريد زينة الحياة الدنيا، تلك ثورة على الأقوياء والمستكبرين يعلن بها، أنه لا هوادة ولا محاباة وأن الحق حق والباطل باطل ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

والرجل المؤمن يقاوم صاحب الجنتين الكافر، ويعلنه في وجهه برأيه فيه، وأنه كافر بالذي خلقه من تراب ثم من نطفة ثم سواه رجلا، ويباهيه لا بالمال ولا بالولد ولكن بالعقيدة في الله الواحد الأحد، والقادر على أن يؤتيه خيرًا من جنته وماله وولده، وأن يرسل على الكافر حسبانًا من السماء يأتي على ماله وثمراته

والعبد الصالح متبرم من اسئلة موسى واعتراضاته التي هي نتيجة خفاء بعض الأمور عليه وقصور علمه، فهو زاهد في صحبته مسرع إلى الافتراق عنه، مقرر أنه لا يستطيع معه صبرا وكيف يصبر على ما لم يحط به خبرا.

إلى غير ذلك مما يسهل على القارئ تتبعه، ليظهر له أن هذه السورة تعلن الثورة في كثير من جوانبها على الباطل والمبطلين والشرك والمشركين والظلم والظالمين والفساد والمفسدين حتى أنها لتعلن في صراحة وقوة قبيل ختامها أن الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا "قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا "

فتضرب بهذا في صدور كثير من المتعالين المتفاخرين المتشدقين بأنهم أهل البصيرة والعرفان وإنما هم أهل الجهل والعمى والضلالة. [1]

وأخيراً فإن آيات وكلمات قصة موسي والخضر عليهما السلام ما زالت غنية بأبعاد كثيرة بقيت مختبئة في بنيتها التحتية تشكل دلالة عميقة لا يمكن كشفها نهائياً؛ لأن الدلالة النهائية للنصوص القرآنية مرجأة لا يعلمها إلا الله.

وقد تبين لي من عود النظر الي البحث مرَّة بعد أخري، أن تصحيح المكتوب لا يتناهي، فلا يزال الكاتب يقول: ينبغي أن يقدم هذا ويؤخر ذاك، ويزاد في هذا وينقص من الآخر، وهكذا فالكمال عزيز، وهو لكلام الله العزيز وإني لأتمثل قول القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني إلى العماد الأصفهاني: إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر. [2]

فهذة مساهمة متواضعة في خدمة كتاب الله تعالي وعلومه، فاللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل، وارزقنا الثبات على الإيمان، وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آلة وصحبه وسلم.

(١) ينظر: القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف(ص٢٩-٣١)، فضيلة الشيخ /محمد محمد المدني - القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م - يصدر عن المجلس الاعلي للشئون الاسلامية

(٢) ينظر: أبجد العلوم أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م

نتائج البحث

- يزخر القرآن الكريم بتلك الإشارات اللطيفة، والنكت البيانية التي تُستخرج بعد عمق نظر، وطول تأمل، عندها سيدرك المرء عظمة كلام الخالق جّل وعلا وأنه لا حد لإعجازه.
- بيان صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وثبوت رسالته وأن القرآن الكريم من عند الله تعالى فإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عما حدث للسابقين وهو لا يقرأ ولا يكتب ولم يجلس إلى أحبار اليهود والنصارى دليل على صدق نبوته ، وأنه يوحى إليه من الله تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (١).
- تشد القصة القارئ، وتوقظ انتباهه، دون توان أو تراخٍ، فتجعله دائم التأمل في معانيها والتتبع لمواقفها، والتأثر بشخصياتها وموضوعها حتى آخر كلمة فيها ويظهر هذا جلياً في قصة موسي والخضر عليهما السلام.
- أسهمت الدراسة في إثراء الجانب الايماني، من خلال استنباط الدروس العقدية المتوافرة في قصة موسي والخضر عليهما السلام مما له الأثر في تصحيح العقائد
- ترجيح نبوة الخضر عليه السلام من خلال أحداث القصة.
- الصحيح أن الخضر عليه السلام مات قبل بعثة النبي صلي الله عليه وسلم.
- التوقف عن الخوض والجدال فيما ما جاء به الوحي من أخبار الأمور الغيبية، والتي لا تعرف إلا عن طريقه، إذ لا نفع يجدي من معرفة اسم الخضر عليه السلام ولا اسم الغلام المقتول ولا مكان مجمع البحرين وغيرها من الأمور الغيبية التي وردت في القصة
- يعتبر السياق القرآني مصدراً أصيلاًمن مصادر التفسير لما له من أثر كبير في فهم آيات القرآن الكريم ومعرفة المراد من الآيات، والترجيح بين أقوال المفسرين عند الاختلاف، ومعرفة أوجه التناسب بين السور والآيات، وتوجيه المتشابه اللفظي، كما أنه يساعد في دفع موهم الاختلاف والتناقض عن آي القرآن.

المراجع

(١) ينظر: سورة يوسف، الآية: ٣.

١) الإتقان في علوم القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢) إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام ابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].

٣) إحياء علوم الدين أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٤) آداب طالب العلم (العالم والمتعلّم . الاستاذ والطالب) من خلال قصة موسي والخضر عليهما السلام دكتور يوسف نواسة ــ المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة . مجلة الباحث العدد (١٧).

٥) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى٩٢٣هـ) المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣ هـ.

٦) أساس البلاغة أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، طبعة دار الفكر، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩م.

٧) الأساس في التفسير المؤلف: سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ.

٨) أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، دار الفضيلة، المحقق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض.

٩) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبدالقوي بن عيد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (المتوفى ٧١٦ هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ٢٠٠٥ م.

١٠) الأصوات اللغوية أنيس إبراهيم، دار الطباعة الحديثة ـ القاهرة.
١١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ مـ.
١٢) الإعجاز القصصي في القرآن أ.د/ سعيد عطية علي مطاوع، دار الآفاق العربية بالقاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
١٣) إعراب القرآن أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.
١٤) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ط٤، ١٤١٥ هـ.
١٥) الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم، ط١٥، أيار، مايو ٢٠٠٢م للملايين.
١٦) الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، محمود توفيق محمد سعد [الكتاب مرقم آليا].
١٧) إيجاز البيان عن معاني القرآن محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ)، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.
١٨) إيجاز البيان في سور القرآن محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي ـ سوريا، ط٢، ١٣٩٩ / ١٩٧٩م
١٩) البحر المحيط في التفسير أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، ت/ صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط ١٤٢٠ هـ.
٢٠) البحر المديد أحمد بن محمد الادريسي الشاذلي (ت ١٢٢٤هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢١) البداية والنهاية أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١ ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

٢٢) البنى والدلالات في لغة القصص القرآني عماد عيد يحيى، دراسة فنية، أطروحة دكتوراة كلية الآداب، جامعة الموصل، 1992.

٢٣) بدائع الفوائد محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى:٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٤) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ا.د فاضل صالح السامرائي بتصرف، مكتبة النهضة ـ بغداد، شركة العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر بالقاهرة ط٢ القاهرة ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٢٥) بناء الشخصية في القصة القرآنية- مصطفى عليان، دار البشير -عمان- (ط١) ١٩٩٢م.

٢٦) بنية النص في سورة الكهف مقاربة نصية للاتساق والسياق، اعداد / شعيب حمودي، رسالة ماجستير كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري ـ قسنطينة ـ الجزائر ٢٠٠٩/٢٠١٠م.

٢٧) البيان القصصي في القران الكريم، إبراهيم محمد إسماعيل عوضين، السعودية ـ الرياض، دار الأصالة، ١٩٩٠م.

٢٨) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق/جماعة من المحققين، مطبعة حكومة الكويت ١٣٨٥هـ، طبعة دار الهداية.

٢٩) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى:١٣٩٣هـ)، الدار التونسية ـ تونس ١٩٨٤م.

٣٠) التسهيل لعلوم التنزيل أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.
٣١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٢) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين أبو سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ – ١٤١٨ هـ.
٣٣) تفسير الشعراوي – الخواطر محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل، المطبوع، أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م).
٣٤) تفسير العز بن عبد السلام، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي) أبومحمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله ابن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٣٥) تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي) أبو محمد عز الدين عبد العزيز ابن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، تحقيق/ الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي . دار ابن حزم – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٣٦) تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار محمد رشيد رضا، خرج آياته وأحاديثه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية . بيروت.
٣٧) تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩، المحقق: على شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١ ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٣٨) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى ١٣٩٠هـ) دار الفكر العربي – القاهرة.
٣٩) تفسير المراغي أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
٤٠) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.
٤١) التفسير الموضوعي لسورة الكهف "مشروع التفسير الموضوعي لسور القرآن مجموعة بحوث الكتاب والسنة" إعداد أحمد بن محمد الشرقاوي أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة الأزهر وجامعة القصيم، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.
٤٢) التفسير الموضوعي، مناهج جامعة المدينة العالمية، كود المادة: IUQR4093، المرحلة: بكالوريوس، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
٤٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.
٤٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر نالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، (١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م) (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).
٤٥) تفسير بحر العلوم أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير].
٤٦) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
٤٧) تقريب التهذيب أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق/ محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا ط١، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

٤٨) تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٤٩) تهذيب اللغة محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) تحقيق/محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١٢٠٠١م.
٥٠) جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٥١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١ ١٤٢٢هـ.
٥٢) الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
٥٣) جماليات الترابط في قصص سورة الكهف، بحث للدكتور /علي بن محمد الحمودي استاذ مشارك في كلية اللغة العربية ـ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.
٥٤) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢،
٥٥) خصائص القصة الإسلامية- مأمون فريز جرار، دار المنارة -جدة، ط١، ١٩٨٨م.
٥٦) دراسات فنية في القصص القرآني محمود البستاني، دار البلاغة للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، 19841.
٥٧) دراسة أسلوبية في سورة الكهف، "مروان محمد سعيد عبد الرحمن إشراف /أ.د .خليل عودة، قُدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ٢٠٠٦م.

٥٨) دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، دار عمار للنشر والتوزيع الأردن، ط1، ١٤٠٩هـ.

٥٩) دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسي عليه السلام / فهد بن شتوي بن عبد المعين، رسالة ماجستير، جامعة أم القري . مكة المكرمة ٢٠٠٥م ـ كلية الدعوة وأصول الدين.

٦٠) روح البيان إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي والمولى أبوالفداء (المتوفى١١٢٧ هـ)، دار الفكر – بيروت، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير].

٦١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ت/ علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

٦٢) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٦٣) زاد المسيرفي علم التفسير جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٦٤.

٦٤) الزهر النضر في حال الخضر أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: صلاح مقبول أحمد، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية – جوغابائي نيودلهي –الهند، ط١ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٦٥) زهرة التفاسير محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى:١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، أعده للشاملة/ أبو إبراهيم حسانين، جزاه الله خيرا.

٦٦) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، عام النشر١٢٨٥هـ.

٦٧) سلسلة محاسن التأويل – المغامسي بترقيم الشاملة آليا).
٦٨) السنن الكبرى أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٦٩) سنن أبي داود أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م
٧٠) السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة "دراسة نظرية تطبيقية " د/سعد بن محمد بن سعد الشهراني، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ط1 ١٤٣٦هـ ، جامعة الملك سعود . الرياض.
٧١) سيكولوجية القصة في القرآن /د التهامي تقرة، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٤م.
٧٢) شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، عياض ابن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
٧٣) الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة /عبد الرزاق بن عبدالمحسن البدر، مكتبة الرشد . الرياض . المملكة العربية السعودية، العدد الرابع– ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨،
٧٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤ ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م، دار الفكر . بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٧٥) الصدق والواقعية في القصة القرآنية أ.د/ أمين محمد عطية باشا، منشور بالشبكة الدولية للمعلومات.
٧٦) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٧٧) العواصم من الفتن في سورة الكهف لعبد الحميد محمود طهماز، دار القلم . بيروت ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م

٧٨) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د/ابراهيم السامرائي، د/مهدي المخزومي، طبعة دار ومكتبة الهلال.

٧٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيبت.

٨٠) فتحُ البيان في مقاصد القرآن أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ.

٨١) فتح الرحمن في تفسير القرآن مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا نور الدين طالب، دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة – إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلاَمِيّةِ)، ط١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

٨٢) فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

٨٣) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغو، القسم الدراسي د/ جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب د/ محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م

٨٤) فتاوى الشبكة الإسلامية (بترقيم الشاملة آليا)، فتاوى الشبكة الإسلامي، المؤلف: لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية، تم نسخه من الإنترنت: في ١ ذو الحجة ١٤٣٠هـ = ١٨ نوفمبر، ٢٠٠٩ م ـ http://www.islamweb.net

٨٥) في رحاب القرآن . تفسير سورة الكهف، الشيخ بيوض ابراهيم بن عمر، تحرير/عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، نشر جهينة للتراث . غرداية، ط، ١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م

٨٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري(المتوفى١٠٣١هـ) المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦.

٨٧) قراءة معاصرة في القص القرآني في ضوء سورة الكهف"، د /عبد الباسط مراشدة، د/ عبد الرحيم مراشدة، جامعة آل البيت، قسم اللغة العربية، الأردن.

٨٨) القرآن والملحدون، محمد عزة دروزة، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، ط2، 1980.

٨٩) القصة القرآنية (هداية وبيان) وهبة الزحيلي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٩٠) القصة القرآنية، فتحي رضوان، دار الهلال ـ القاهرة ١٩٧٨م.

٩١) القصة في القرآن الكريم مريم عبد القادر السباعي، مكتبة مكة لتوزيع المطبوعات، ١٤٠٧، ١٩٨٧ م، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، بدون طبعة،.1987

٩٢) قصص القرآن الكريم صِدْقُ حَدَثٍ وَسُمُوُّ هَدَفٍ إرْهَافُ حِسّ وتَهْذِيْبُ نَفْسٍ، د/ فضل حسن عباس، دارالنفائس الاردن، ط٣، ١٤٠٣ هـ، ٢٠١٠م.

٩٣) القصص القرآني أ.د/ عبد الباسط إبراهيم بلبول رسالة دكتوراه، مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة.

٩٤) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث د/صلاح الخالدي، دار القلم دمشق، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٩٥) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف عبد الكريم الخطيب دار المعرفة للطباعة النشر، بيروت –لبنان، الطبعة الثانية، 1395 1975م، وطبعة دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

٩٦) القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور لعبد الكريم الخطيب، مؤسسة دار الأصالة، ط1، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤ م.
٩٧) القصص في الحديث النبوي، د محمد حسن الزير، السعودية ـ الرياض ١٩٨٥م.
٩٨) كتاب تدبر سورة الكهف، ناصر سليمان العمر، مكتبة الملك فهد الوطنية ـ الرياض، ط٢ ١٤٣٥هـ.
٩٩) الكليات أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
١٠٠) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله(المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
١٠١) كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري، محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.
١٠٢) اللباب في علوم الكتاب أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.
١٠٣) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، طبعة دار صادر ـ بيروت، الطبعة الاولي.
١٠٤) لطائف الإشارات = تفسير القشيري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق/ إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط٣.
١٠٥) لمسات بيانية الأستاذ الدكتور /فاضل صالح السامرائي حلقات تليفزيونية، تم اضافتها بواسطة islmiyyat

١٠٦) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي – محاضرات، بترقيم الشاملة آليا، أعده للشاملة: أبو عبدالمعز.
١٠٧) مباحث في التفسير الموضوعي مصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١٠٨) مباحث في علوم القرآن، الدكتور مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة مصر، الطبعة السابعة، بدون تاريخ.
١٠٩) محاسن التأويل محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت، ط١، 1418 هـ.
١١٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الاندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق / عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
١١١) مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان.
١١٢) مختصر تفسير ابن كثير (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط٧ ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م.
١١٣) المختصر في تفسير القرآن الكريم، تصنيف: جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط٣، ١٤٣٦هـ.
١١٤) المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١ – ١٩٩٠
١١٥) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١١٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، طبعة المكتبة العلمية ـ بيروت.
١١٧) مع قصص السابقين في القرآن- صلاح عبد الفتاح صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم- -دمشق-ط١، ١٩٨٨م.
١١٨) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي محيي السنة أبو محمد الحسين ابن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
١١٩) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور /محمد حسن حسن جبل، طبعة مكتبة الأدب ـ القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠١٠م.
١٢٠) معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم لبيان الملامح الفارقة بين الألفاظ متقاربة المعني والصيغ والاساليب المتشابهة د/ محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر ـ القاهرة ٢٠٠٨م.
١٢١) معجم الوافي (معجم وسيط اللغة العربية) عبد الله البستاني، طبعة ١٩٩٠ـ مكتبة لبنان ـ بيروت
١٢٢) معجم مقاييس اللغة أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت -لبنان، بدون طبعة، ١٣٩٩، ١٩٧٩، وطبعة دار الجيل، الطبعة الاولي ١٩٩١م.
١٢٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ابو اسحاق ابراهيم ابن السري، شرح وتحقيق/الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب ـ بيروت.
١٢٤) معاني القراءات للأزهري محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م
١٢٥) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ.

١٢٦) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداودي، طبعة دار القلم، الدار الشامية، دمشق . بيروت، الأولي ١٤١٢هـ.
١٢٧) المنار المنيف في الصحيح والضعيف محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق/ عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية . حلب، ط١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
١٢٨) منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو بكر بن أبي طاهر الأزدي السلماسي (المتوفى: ٥٥٠هـ)، المحقق: محمود بن عبد الرحمن قدح، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١ ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
١٢٩) مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزُّرْقاني(المتوفى:١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
١٣٠) منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني- منى عبد الله داؤود، دار ابن حزم -بيروت-(ط١)، ١٩٩٨م .
١٣١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين أحمد بن علي الزاملي عسيري، إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
١٣٢) منهج القصة في القرآن، محمد شديد، عكاظ للنشر -جدة -ط١، 1984م.
١٣٣) موسوعة البحوث والمقالات العلمية جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، علي ابن نايف الشحود، حوالي خمسة آلاف وتسعمائة مقال وبحث.
١٣٤) تأملات تربوية في قصة موسى والرجل الصالح د/عثمان قدري مكانس.
othman47@hotmail.com
١٣٥) الموسوعة القرآنية إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: مؤسسة سجل العرب، الطبعة: ١٤٠٥ هـ.

١٣٦) الموسوعة القرآنية المتخصصة، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر.
١٣٧) الموضوعات جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط١، ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦م.
١٣٨) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم محمد بن عبد الله دراز (المتوفى ١٣٧٧هـ)، اعتنى به أحمد مصطفى فضلية، قدم له أ. د عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة دار الثقافة قطر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
١٣٩) نحو مذهب إسلامي في النقد الأدب د/ عبد الرحمن رأفت الباشا، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
١٤٠) نظرات تحليلية في القصة القرآنية محمد المجذوب، دار الشوق ـ الرياض ط٥.
١٤١) نظرية السياق القرآني عبد الفتاح محمود المثنى، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، الطبعة الاولي، ٢٠٠٨م.
١٤٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
١٤٣) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: ٣٦٠هـ) تحقيق: علي بن غازي التويجري، إبراهيم ابن منصور الجنيدل، شايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار النشر: دار القيم، دار ابن عفان، ط١ ١٤٢٤هـ٢٠٠٣ هـ.
١٤٤) النهر المهاد من البحر المحيط أبو حيان الأندلسي تحقيق/ عمر الأسعد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م.
١٤٥) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد

البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

١٤٦) الواضح في علوم القرآن مصطفي ديب البغا، محي الدين ديب متو، دار الكلم الطيب . دمشق، ط٢ ١٩٨٨م.

١٤٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم والدار الشامية – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٤٨) الوسيط في تفسير القرآن المجيد أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: ا.د عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ ١٩٩٤م.